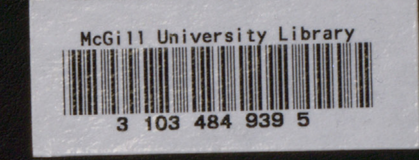
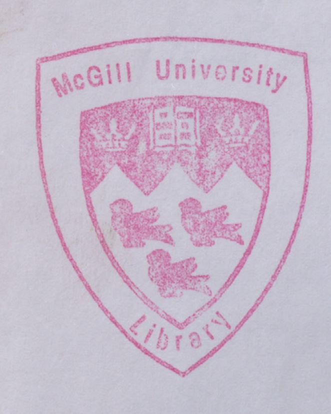

McGill University Library
3 103 484 939 5

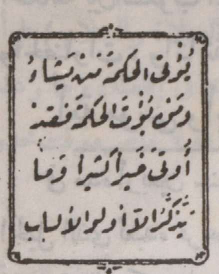

McGill University
Library



(الجزء الأول)　　١　　(المجلد الخامس والثلاثون)

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام　ان للاسلام صُوى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ برج السرطان سنة ١٣١٣ هـ ش ١ يوليو سنة ١٩٣٥

﴿ فاتحة المجلد الخامس والثلاثين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ *
وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا القَوْمُ الكَافِرُونَ * وَمَنْ
يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا القَوْمُ الضَّالُّونَ ؟

نرجو ان ندخل بهذه السنة فى عهد جديد لدعوة القرآن نفتتح بها المجلد ٣٥ من المنار والمجلد ١٣ من تفسير القرآن الحكيم ، والطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي ، بعد أن بينا للمسلمين فى السنين الخالية جميع الاسباب والعلل التى فقدوا بها هداية دينهم ومجد ملكهم وحضارته ، بالاعراض عن تدبر القرآن وجميع مايجب عليهم من علم وعمل لاستعادة ذلك بالقرآن ، وإقامة الحجج والآيات على ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) فى تبليغه وتنفيذه ، وسنة خلفائه الراشدين فى فتوحه وتأسيس دولته وإقامة

أحكامه بين الشعوب المتباينة الاجناس واللغات ، والملل المختلفة الاصول والمذاهب والحضارات ، وانا نذكر القراء بخلاصة من ذلك

أمة موسى وأمة محمد والتوراة والقرآن

فى مدة أربعين سنة انقرض جيل من بنى اسرائيل فى التيه ونشأ جيل آخر : انقرض الجيل الذى تعبده فرعون واستذله فقال زعماؤه لموسى لما دعاهم إلى دخول الارض المقدسة التى كتبها لهم ووعدهم بالغلبة على أهلها إذا دخلوها — (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ونشأ جيل جديد أخذ التوراة بقوة ودخلوا البلاد ففتحها الله لهم كما وعدهم

وفى عشرين سنة أسس محمد رسول الله وخاتم النبيين (ص) بدعوته دينا كاملا وامة متحدة ودولة قوية عادلة فقدربى الجيل الاول من قومه بالقرآن من أول يوم فأخرجهم الله بدعوته من الظلمات إلى النور فى عشر سنين ، وفتح بهم جزيرة العرب فى عشر سنين ، وفتح خلفاؤه من بعده ملك كسرى وقيصر فى عشرين سنة ، ولم ينقض القرن الاول من هجرته إلا وقدتم لامته نشر ملكهم ودينهم من آخر حدود أوربة فى الغرب إلى جدار الصين فى الشرق ، وأدى لهم فغفور الصين الجزية .

بماذا فعل المسلمون هذه المعجزات فى الفتح الدينى الاجتماعى السياسى ؟ مافعلوها إلا بأخذهم القرآن بقوة كما أخذ بنو اسرائيل التوراة بقوة ، وكان تأثير كل من الكتابين بقدره : التوراة هداية لشعب صغير وعد بوطن صغير إلى أجل معلوم ففتحوه وتمكنوا فيه إلى أجل معلوم ، ثم عاقبهم الله بظلمهم وإفسادهم فى الأرض فسلط عليهم من شاء من عباده الى أجل آخر ثم سلب ملكهم ببغيهم ، والقرآن هداية عامة لجميع الشعوب والقبائل وعد أهله بخلافة الارض كلها (٦ : ١٦٥ وهو الذي جعلكم خلائف فى الارض * ٢٤ : ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ووفى لهم بما وعدهم في أكثر الارض التى عرفوها ما أقاموا القرآن باقامة الحق والعدل في الناس والشكر لله ، ثم سلب منهم أكثر ما أعطاهم بكفر هذه النعمة ، والفسوق عن هذه الهداية ، ومن العجب أن يفعل اليهود اليوم ما لا يفعل العرب لاستعادة مجدهم

ولكن أمة محمد ليسوا شعبا صغيراً كقوم موسى (عليهما الصلاة والسلام) بل أمة دعوته جميع البشر وأمة الاجابة لدهم المهتدون بالقرآن وسنته فى إقامته، وما وعدهم به هو الارض كلها لا أرض فلسطين، ودينهم عام باق الى يوم القيامة لا خاص موقت محدود

فتح العرب العالم بالقرآن

إن المسلمين كفروا هذه النعمة قبل أن يتم لهم فتح أكثر الغرب كما فتحوا أكثر الشرق، بأن استبدلوا بهداية القرآن بدعا سرت اليهم نظرياتها الباطلة من الأديان والفلسفة والآداب التى كان عليها الشعوب التى فتحوا بلادها بقوة القرآن لا بقوة السيف والسنان، فقوة العرب الحربية كانت دون قوة الرومان، ودون قوة الفرس، اللتين كانتا اقوى دول الارض، وكان يدين لهما كثير من العرب المجاورين لبلادهما، وكانت أضعف من البربر فى شمال افريقية ومن القوط (والاسبانيول) فى غرب أوربة. ومن الغال في جنوب فرنسة من الغرب، ومن الهنود فى الشرق، وناهيك ببعد المسافات بين جزيرة العرب وبين هذه الاقطار، وما يزعمه بعض الافرنج ومقلديهم من ان سبب فوز العرب بذلك الفتح السريع الواسع هو ما كان طرأ على تلك الدول والامم من الفساد والضعف فهو تعصب ظاهر فمهما تكن عليه تلك الامم من ضعف وفساد فالعرب كانوا افسد وأضعف من كل واحدة منها قبل الاسلام وبه سادتها كلها؛ وما هو الا نور القرآن

عصر الصحابة ومنتهى علمهم

ان الصحابة الكرام (رض) هم الذين اسسوا هذا الملك الاسلامى العظيم العادل الرحيم، فيما يسمى العالم القديم، وكان أكثرهم أميين، لم يكن عندهم كتاب يهتدون به في فتوحهم وحكمهم إلا هذا القرآن وحده، وما كانوا يعتمدون في فهمه إلا على ملكة لغته وما بينه لهم النبي (ص) من هداية القول والفعل وهو سنته وهديه، وتلاهم التابعون الذين حفظوا عنهم القرآن والسنن والآثار فكانوا في الدرجة الثانية لدرجتهم ايمانا وعلماً بالاسلام وعملا وتخلقا به وجهاداً في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وفتحاً للامصار وحكما بين الناس بالحق والعدل، وقل فيهم الاميون وكثر المتعلمون، ولكن لم يكن فى أيديهم كتاب غير القرآن يهتدون به فى تزكية أنفسهم وإصلاحها، ويهدون به غيرهم من الشعوب التى كانت تدخل فى دين الله أفواجا. ويجدون الاسلام خيراً مما كانوا عليه هدى وصلاحا وعلماً وعدلا وأدبا وفضلا

عصر التابعين في هديهم وحكمهم وفتحهم

وبدأ التابعون بكتابة السنن والآثار حفظاً لها من الضياع بيد أنهم لم يتخذوا منها كتابا مدونا مع القرآن يدينون الله بالعمل به فى عباداتهم الشخصية وفى قضاء حكومتهم وسياستها. بل ظلوا يهتدون بالقرآن وبما كان عليه الصحابة من سنن النبي (ص) وهديه وبسيرة خلفائه الراشدين فى الفتح والسياسة والقضاء ، ومن ذلك الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من القرآن او سنة عملية لا تختلف فيها الافهام والآراء : اجتهاد الافراد لأنفسهم فى الأحكام الشخصية الخاصة ، واجتهاد أولي الامر من الأئمة والقضاة وقواد الجيوش فى الاحكام العامة ، مع مراعاة الشورى فيها ، فكانوا على منهاج الصحابة فى ذلك كله ، وناهيك بكتب عمر وعلي الى عمالها ككتاب عمر الى شريح فى القضاء وكتاب علي الى الاشتر النخعي فى السياسة العامة

عصر العلم ومايجب من النظام الواقى من الشقاق فيه

ثم جاء عصر التدوين والتصنيف للحديث والسير والآثار والفقه ، وتلا ذلك تدوين اللغة وفنونها ووقائع التاريخ ، وترجمة علوم الاوائل بأنواعها كالرياضيات والتاريخ الطبيعي والطب والفلك والفلسفة بأقسامها والتصوف بنوعيه الخلقي والفلسفي ، ودرسوا هذه العلوم واجتهدوا فيها ونقدوا ونقحوا وأتموا ما كان ناقصا وزادوا على من كان قبلهم ، عملا بارشاد القرآن الى النظر فى آيات السموات والأرض وما بينهما وما خلق الله من شيء وسنن الله فى الأمم

كان من سنة العمران وطبيعة الاجتماع فى ذلك أن تصير علوم الدين والدنيا كلها فنوناً صناعية ، وأن يختص بكل جنس منها طوائف من الناس للتوسع والنبوغ فيها ، وأن يكون لكل منها تأثير فى أنفس النابغين فيه قد يعارض غيرهم باختلاف الفهم والقصد من العلم وموضوعه وفائدته

وكان يجب فى هذه الحال أن يكون للتعليم نظام جامع يوجه كل علم الى الغاية منه دينية كانت أو عقلية أو عملية كما أرشد اليه القرآن الحكيم ، وأن يظل القرآن والاسوة بالرسول (ص) فى تبليغه وتربية الامة كما كان فى عهده وعهد خلفائه الاربعة هديا إلهيا عملياً لانزاع فيه وينزه عن أن يكون صناعة بشرية ، وفناً جدلياً يضرب بعضه

يعض لتأييد المذاهب والشيع الدينية والسياسية ، وأن تكون حرية الدين على أكملها فيما هو من كسب البشر ونتائج أفكارهم وأفهامهم ، فالاسلام أباح لأهله الحرية فى هذه دون ما هو فوقه وفوق كل شيء بشري وهو كلام الله اليقيني القطعي الرواية والدلالة من الدين الذي شرعه الله لهم ، وأما ما كان ظنى الرواية او الدلالة منه فقد اباح لهم الاجتهاد فيه بشرط أن لا يكون اختلاف الفهم والرأي سبباً لتفرق الامة والشقاق بين أهلها ، ولو فعلوا ذلك لاتقوا الشقاق والتفرق بما حدث من البدع فى الدين، ولكنهم لم يفعلوا فضلوا وابتدعوا ، فتفرقوا واختلفوا ، وفسقوا وضعفوا

كان هذا التأليف بين العلوم والفنون والدين أول واجب على الامام الاعظم خليفة المسلمين ولكن خلفاء العباسيين أطلقوا العنان اولا فلم يقوموا بالواجب ثم نصروا بعض المتفرقين فى الدين على بعض بما أضعف سلطان الدين في الهداية ، وفوائد العلوم والفنون في الحضارة ، وأنى للمعتصم العامى وكذا المأمون العالم المتفنن أن يفهم حكمة امير المؤمنين عمر بن الخطاب في عقاب صبيغ المجادل المشكك في القرآن ونفيه من المدينة الى البصرة وأمر الناس بهجره حتى تاب ، تلك جناية فوضى العلم فى العرب وجنايتها على هداية القرآن بالابتداع والتفرق والاختلاف

حضارة العرب وتأثير الاسلام فيها

وقد كانت للمسلمين من جملة ذلك كله حضارة عربية زاهية زاهرة ، جمعوا فيها بين زينة الدنيا ونعمتها والاستعداد لسعادة الآخرة . ألطف مثل لها ما حكي عن امرأة كانت ترفل فى حليها وحللها مخضبة الكفين مطرفة البنان وهي تسبح الله تعالى وتذكره ، فرآها رجل ناسك فقال لها ما هذا مع هذا ؟ فقالت

ولله منى جانب لا أضيعه وللهو مني والخلاعة جانب

وكانت قيانهم ووصائفهم تحفظ القرآن وتروي الحديث بالأسانيد وتنظم الشعر وتلحنه ، وما كان من إسراف بعضهم وفسوقهم تجد تجاهه غلو آخرين فى دينهم ، وانقطاعهم إلى العبادة وجهاد النفس بحرمانها من الطيبات المباحة

كان أهل بغداد فى عهد حضارة العباسيين يتنزهون فى زوارق دجلة أصيل كل يوم كما يتنزهون فى هذه الأيام ، فاتفق أن اقترب قاربان منها فى أحدهما مغن يعزف على عوده وفى الآخر قارىء يرتل سورة التكوير ، فأنصت المغنى واستمع للقرآن يتدبره ، حتى إذا بلغ القاريء قوله تعالى (وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) ضرب بعوده جانب

الزورق فكسره ورماه في دجلة خاشعاً متصدعا من خشية الله، فكان ترتيل القرآن أفعل في نفسه من توقيع الألحان، ومثل هذا لا يقع الآن والقوم هم القوم ولكنهم ضعفوا في لغتهم، فلم يبق للقرآن سلطان على قلوبهم. وغلوا في الدين والحضارة معا فحرم السماع بعضهم واتخذه آخرون عبادة.

لو جرى المسلمون في حضارتهم وعلومها وفنونها على صراط القرآن بكفالة الخلافة لاستفادوا من فلسفة اليونان وتصوف الهند وفنون الروم والفرس وصناعاتهم وتنظيم حكومتهم ما يزيدهم إيمانا بالله وبصيرة في دينه وقوة في دولتهم، واعتدالا في نعمة حضارتهم ولما وجدت بدع النظريات الفلسفية والصوفية وفتن السياسة الشعوبية سبيلا إلى التفريق بينهم في دينهم وحكمهم، ولكنهم نكبوا عنه فانقلبوا بعد ألفتهم وتوادهم أعداء يتنازعون في متشابه القرآن الذي ألف بين قلوب سلفهم بعد تعاديهم وتقاتلهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، وهم يقرؤن قوله عز وجل (٣: ٧ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) الآية وقوله (٢: ٢١٣ وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم) الآية، وقوله (٤: ٥٨ فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا)

سنن الاجتماع في قلب الاسلام لنظم الأمم السريع

كل ما جرى للأمة الاسلامية كان مقتضى سنن الاجتماع في دين قلب نظم الأمم والملل كلها في أديانها ودنياها في جيل واحد، ودخل فيه أفواج لا تحصى من كل جنس وكل ملة وكل حضارة وكل بداوة قضى شرعه أن يكونوا إخوانا متساوين في جميع الحقوق لا يتفاضلون إلا باستعدادهم الشخصي، فنهم من فهمه بلغته وثقافة من جاء به، وهم العرب لأنه لم يكن عندهم ما يزاحمه من التقاليد الدينية والعادات المدنية، بل كانوا كما قيل

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ومنهم من لم يفهم منه إلا بعض تقاليده الظاهرة، ولم يره الا في مرآة ما كان عنه قومه من دين وحضارة، ومنهم من كان مخلصاً فيه ومن كان يكيد له عصبية لقومه وملته ودولته التي قضى عليها، ومن كان يبتغي به الحياة الدنيا وسلطانها وزينتها، ومن كان يريد به وجه الله والدار الآخرة

حكمة الله في ترتيب الخلفاء الاربعة

وكان من حكمة الله ورحمته أن خلف رسول الله (ص) فيه خير أصحابه علما وحكمة وأخلاقاً ليكونوا قدوة لمن بعدهم وحجة لله عليهم، وألهم أهل الحل والعقد أن يقدموا أقصرهم فأقصرهم عمراً من حيث لا يدرون لتستفيد الأمة من كل واحد منهم، وهذه حكمة ألهمني الله تعالى إياها منذ عشرات السنين لم أروها ولم اسمعها من أحد، وهاك وجه كل واحد منهم (رضى الله عنهم أجمعين)

قدموا أبا بكر أولا فكان فى عهده تمحيص الأمة العربية وتصفيتها من النفاق والضعف وكان هو أولى الناس بتنفيذ هذه التصفية فى حروب الردة ودعوى المتنبئين النبوة وبقايا العصبية الجاهلية، وهو مشهود له بأنه كان أعلم الناس بأنساب العرب وأخلاقهم وأحوالهم، فتم ذلك بسياسته على أكمل وجه

وخلفه عمر فكان فى عهده فتح الأمصار والقضاء على ملك كسرى برمته، وملك قيصر الروم فى الشرق كله، والاستيلاء على الأمم والملل الكثيرة وخضوعها للاسلام فى دينه وحكمه أو فى حكمه فقط، وقد ظهر لجميع الأمم فى عهده ومن بعده أنه خير من قام بهذا الفتح ونظمه علما وعقلا وعدلا وقوة وإخلاصا

فبحكمة أبي بكر صارت الأمة العربية أمة واحدة موحدة متفقة، وبحكمة عمر صارت أمة فاتحة حاكمة عادلة مصلحة للبشر. ولما كان من سنن الاجتماع أن يظهر فى هذه الدولة العربية ما هو كامن فى بعض أهلها من الاستعداد للفتن والمطامع، وما ينفخ فى ضرمه خصومها الذين قضت على ملكهم، ومن المصلحة أن يظهر حكم الاسلام فى إخماده بالحق والعدل، ألهم الله أهل الشورى أن يقدموا عثمان على علي، وجل عصبة الأول من بنى أمية الطامعين في الملك. وجل عصبة الثاني من بنى هاشم الذين يغلب على أكثرهم الزهد فى الدنيا. وقد كان بينهما فى الجاهلية ما كان من (التنازع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم) الذي الف المقريزي فيه مصنفا خاصا بهذا الاسم

كان عثمان على عدله وفضله شديد الحياء لين العريكة، فغلبه قومه على وصية عمر السياسي الحكيم له بأن لا يحمل أبناء أبي معيط على رقاب الناس، فركبوا الرقاب من غير أن يحملهم هو عليها، فنجمت رءوس الفتنة فى عهده وكان كارهاً لها، إلا أنه لم يستطع كبح جماحها، فكان شهيد أول ثورة على ولي الامر في الدولة العربية، وكان هذا أشأمها فى الحكم الاسلامي

ثم جاء علي ونار الفتنة مشتعلة وكان أولى إمام فى الأمة أن يقاومها علماً وعدلا وإيثاراً للحق على الخلق ، وللهدى على الهوى ، ولو لم يكن لها فى تأخر زمنه وقد أطال الله عمره إلا هذه الحكمة والرحمة لكفى ، فهو قد سن من سنن الحق والعدل فى قتال البغاة والخارجين على حكم الاسلام ما لم يكن يرجى من غيره مثله ، وخيرها اتقاء تكفير أهل القبلة بخطأ الاجتهاد كما كان هذا التكفير شر ما فعلوه ، فالايمان والكفر إنما يكونان بالقطع لا بالاجتهاد

وقد بينا من قبل أن التنازع فى الامامة بين شيعة علي وجمهور الأمة قد كان تنازعا بين ما يسمى في هذا العصر السلطة الارستقراطية أي حكم الأشراف ، والسلطة الديمقراطية أي حكم الامة الشوري الانتخابي ، ولذلك كان أشد أنصار الشيعة من بعده الاعاجم الوارثين للعبودية للملوك ، وأن عليا لو ولي الأمر من أول الامر بسبب قربه من النبي (ص) أو بحجة وصيته له ولذريته من فاطمة بنت الرسول (ص) لكانت فتنة عبادته وعبادة آله ودعوى عصمتهم قضت على توحيد الاسلام من اول وهلة إن ثبتت

استحالت خلافة النبوة بعد علي والحسن (ع . م) ملكا عضوضاً كما ورد وهو من سنن الاجتماع ، وكان بنو أمية وقد صفا لهم الملك من أقدر قريش على استمرار الفتح ، وتوسيع دائرة الدولة وعظمتها ، ولكن تحويل زعيمهم الأول (معاوية) لحكم الاسلام الشوري (الديمقراطي) إلى عصبية النسب (الارستقراطية) كان سنة سيئة دائمة قضت على دولتهم قبل أن يتم لها قرن كامل ، وهم الذين أحدثوا بسياستهم الجنسية فتنة الشعوبية فكانت عاقبة هذه العصبية أن آل الحكم إلى الأعاجم ، وصار قائماً على قوة العصبية دون أصل الشرع ، وزال سلطان الامامة الديني الذي تخضع الأمة له بوازع العقيدة ، فصار الحكم الاسلامي عسكريا مذبذبا لا ارستقراطيا ولا ديمقراطيا

هذه جملة أسباب ترك الدول الاسلامية لهداية القرآن وهداية السنة وجماعة الامة ولو ظلت الأمة متبعة لها لأكرهت الدولة على هذا الاتباع في أي وقت تجتمع به كلمتها ، ولكن جمهور الأمة تحولوا عن هذا الاتباع بفساد التعليم وتقصير العلماء في بيانه والدعوة إليه والعمل به ومطالبة الحكومات بالتزام هدايته بل إلزامهم إياها بنظام تكفله الامة ، وتيسير السبيل لذلك بجعل لغته ملكة راسخة في الأمة بتعلمها بالعمل كما كان عليه أهل العصر الأول ، ولم يفعلوا شيئاً من هذا وهو الذي اضاع حكم القرآن من ناحية السلطان

إضاعة علماء النقل والعقل للقرآن

تقدم أن سنة العمران اقتضت الاختصاص في العلوم وانفراد طوائف تعنى بكل علم منها بمقتضى جعلها من الصناعات فعلماء الرواية عنوا بتدوين ما نقلوه عن التابعين و بعض الصحابة من تفسير القرآن وأ كثره مراسيل لا تصح ، واسرائيليات يجب نبذ ما تصح روايته منها بله ما لا تصح ،وعني الفقهاء بآيات الاحكام دون غيرها ،والمقلدون منهم حاولوا جعلها حجة لمذاهبهم على ما خالفها ولو بالتأويل ، وكذلك علماء الكلام حتى انهم يفسرونه بنظرياتهم الفلسفية واصطلاحاتهم المخالفة لأصل اللغة، ويوجبون تأويل كثير من ظواهره لدعواهم أن العقل يثبتها دون اعتقاد الظاهر وإن وافقته الاحاديث الصحيحة ، ويعنون بالعقل الذي خاطبه القرآن نظرياتهم الفلسفية،وعلماء الفنون العربية يجعلون أ كبر همهم من تفسيره إعرابه وبيان نكت البلاغة في آياته ، وكل ذلك شاغل عن تدبره وهدايته ، وكان الواجب وضع كل شيء من ذلك في كتب الفن الخاصة به

ثم استقر الرأي العام عند جماهير المسلمين بعموم التقليد على أن عقائد الاسلام يجب أخذها من كتب الكلام ، وأحكامه من كتب الفقه المذهبية، وآدابه وأخلاقه من كتب التصوف ، وبهذا أمست فائدة القرآن محصورة في التبرك به والتعبد بتلاوة ألفاظه ـ ندبا لا وجوبا ـ بغير فهم له ولا عمل به، بل لما ورد من أن لتاليه بكل حرف عشر حسنات، وأنه لا يفترض على مسلم أن يعلم أو يقرأ منه شيئا إلا ما تصح به صلاته كسورة الفاتحة ، بل هبط بكثير منهم الجهل بالقرآن والاعراض عن القرآن والكفر بالقرآن ان حرموا أخذ الدين من القرآن حتى كتب بعض من يسمونهم كبار العلماء حديثا ان الايمان بظاهر القرآن في بعض آيات الصفات هو الكفر الصراح ! يعني المخرج من الملة الذي يخلد صاحبه في النار ؟ (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ــ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)

القرآن لا تغنى غناءه جميع كتب الإسلام

كلا، فوحق القرآن إن جميع ما كتبه علماء الكلام لا يغني عن سورة صغيرة ولا عن آية من آيات القرآن في بيان أصل الدين الذي هو التوحيد فضلا عن جميع عقائد الاسلام، وإن جميع ما كتب المفسرون من المحدثين والمتكلمين والفقهاء والصوفية والبلغاء في تفسير القرآن وفي الفقه والتصوف لا يغنى عن تدبر القرآن نفسه في هداية الافراد ولا الجماعات في انفسها. ولا الأمم والحكومات فى حضارتها وسياستها، وإنه ما سلب الله أكثر المسلمين ملكهم وعزهم وقوتهم إلا عقوبة على إعراضهم عن القرآن، والاستغناء عنه بكتب للبشر ما أنزل الله بها من سلطان، يصدق عليهم به ما قاله فى الذين من قبلهم (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ٣ : ١٨٧)

اطلت فى بيان اسباب اعراض المسلمين عما كان عليه سلفهم الصالح من هدى القرآن بغير قصد، وبغير شعور باننى أطلت، وإنما كنت أريد أن أقول إن بعض علماء التقليد الرسميين ناصبوني العداوة فى الدعوة الى القرآن والسنة وحضارة الاسلام وناهضوا المنار بدعاية سرية وجهرية فى داخل الأزهر وخارجه بشبهة دعوى الاجتهاد الذي أقفل بابه على انفسهم أمثالهم من المقلدين الجاهلين، وإننى على تفنيدي لشبهتهم بالحجج الناهضة فى محاورات المصلح والمقلد التى نشرتها فى المجلدين الثالث والرابع من المنار فى سنتى ١٣١٧ و١٣١٨ وفي مقالات وفتاوى كثيرة بعدها في عشرات المجلدات — كنت أحاول إقناعهم بأن هداية القرآن لا يستغنى عنها مسلم مجتهد ولا مقلد لأنه حبل الله الذي أمر عباده بالاعتصام به، فكل من ترك هذا الاعتصام فقد قطع الصلة بينه وبين ربه فى الدين، والرحمة الخاصة بالمؤمنين، وان ما أدعوا اليه من استقلال الفهم وقصد الاهتداء بالكتاب والسنة لا يستلزم دعوى ما يسمى الاجتهاد المطلق، ولم يفهم مرادي هذا إلا أفراد متفرقون فى الاقطار، وقبله كثيرون على إطلاقه حتى بمعنى الاجتهاد، وكاد الجيل ينقضى وهو يدور بين بعض مستقلي الفهم، ولم يظهر للدعوة المرادة أثر عام ينتشر فى بلاد الاسلام، حتى كان من تأثير كتاب (الوحي المحمدي) فى هذين العامين ما كان،

وهو ما نوهنا به فى تصدير الطبعة الثالثة التى نشرناها فى هذا الشهر ، وصرحنا فيه بأنه حدث لنا به أمل جديد فى حياة المسلمين الملية لا تعرف حقيقتها إلا بتجربة عملية جديدة ، وهو ما عزمنا عليه فى هذه السنة

الدعوة الجديدة هي أساس الاصلاح كله

سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد في أعلى مقصديها أو فيما عدا التعليم الاسلامى المدرسى منه الذي ضاق زمان هذا العاجز عن السعي له وتولي النهوض به فتركه لمن يعده التوفيق الالهى له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوحيده ووحدة أهله وجماعته ، ولا يصلح له غيرهم

لما ألفنا جماعة الدعوة والارشاد وأنشأنا مدرستها وجدنا عقلاء المسلمين وأذكياءهم في مصر واستانبول وأمصار الهند الاسلامية الكبرى وبغداد وسورية متفقين على أنها أعظم عمل إسلامي لا يرجى الاصلاح المنشود بدونه ؛ حتى إن كبار رجال الترك أكبروه وعلموا أنه يحيي الدولة العثمانية حياة جديدة إذا هي كفلته ونفذته على الوجه الذي اقترحته عليها و قررته الجمعية التي اسست له من أذكى رجال الدولة ، ولكن زعماء جمعية الاتحاد والترقي الملاحدة منهم كانوا قد أجمعوا أمرهم على اسقاط دولة آل عثمان وخلافتهم وإقامة دولة تركية لادينية على أنقاضها ، ولولا ذلك لما منعوا الحكومة من تنفيذه بعد أن صدر به أمر مجلس الوزراء وقرر أن تكون نفقات المدرسة السنوية في ميزانية وزارة الأوقاف

وكان الأمير عباس حلمي باشا خديو مصر علم بالأمر وأكبره فلما عدت من استانبول والأمر مقرر رسميا اقنعنى بأنه هو يكفل مساعدتي على تنفيذه في مصر وبأن الدولة العثمانية إن ارادت تنفيذه فى استانبول فان من السهل أن يكون فى كل من العاصمتين مدرسة تابعة لمقاصد الجمعية ومنهاجها ، ففعلت وصدق هو وعده ، وفتحت المدرسة أبوابها لجميع الشعوب الاسلامية ، وتعاون على نفقتها ديوان الاوقاف الخيرية العامة ومصلحة الاوقاف (الملكية) الخاصة ، حتى اذا ما اشتدت سيطرة الانكليز على مصر فى عهد الحرب الكبرى كادوا للمدرسة كيدهم وأوعزوا عميدهم إلى وزير الاوقاف (إبراهيم فتحى باشا) وكان من صنائعه فقطع الاعانة التى كانت قررت لمدرسة الدعوة والارشاد . وتعذر عودة الخديو الى مصر . فاضطررت بعد صبر جميل الى تعطيلها

وجملة القول أنني على هذه التجارب وما هو أوجع منها وألذع من أمر مشتركي المنار ، وعلى ما أقر به من عجزي عن النهوض بالأعمال المالية الخاصة والعامة بالأولى ، وعلى دخولي في سن الشيخوخة وضعفها ، لم أزدد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعي لأهم أصول الاصلاح الاسلامي وتجديد أمر الدين بما يظهره الله به على الدين كله ، حتى تعم هدايته وحضارته جميع الامم ؛ ولم أيأس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقاً لبشارة رسول الله (ص) بأنه لا يزال في أمته طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة . رواه الشيخان في الصحيحين وغيرهما بألفاظ من عدة طرق ، وهذه الطائفة كانت في القرون الأخيرة قليلة متفرقة ، وانني منذ سنتين أكتب عناوين خيار الرجال المتفرقين في الاقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصفاتهم وأعمالهم لمخاطبتهم في الدعوة الى العمل ، وأرجو من كل من يرى من نفسه ارتياحا إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب الينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم الى أن تنشر دعوتهم الرسمية

وأهم ما يرجى من الخير لأمة محمد (ص) في هذا العصر الذي تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو في تعارف هذه الطائفة القوامة على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الامة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذي يرجى أن تثق به فهي لا ينقصها الا هذا ، وقد طال تفكيري فيه ، وعسى ان ابشرها قريبا بما يسرها منه ،

وأعجل بحمد الله تعالى ان تجدد لي على رأس هذه السنة ما كان لي ولشيخنا الاستاذ الامام (قدس الله روحه) من الرجاء في مركز الأزهر - وهو ما يعبر عنه في عرف عصرنا بشخصيته المعنوية - وقد قضى هو يائسا مما كان يحاول فيه ، وظللت أجاهد في سبيل إصلاحه على ما عرض من أسباب اليأس منه التي تفاقم أمرها أخيرا وكتبت فيها بضع مقالات في المقطم ثم (كتاب المنار والازهر) وما هذا الا لانني لم أيأس ، وهذا الرجاء الذي تجدد بتوسيد أمره الى الشيخ محمد مصطفى المراغي عظيم أشرت اليه في تصدير الطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي بعد ان كتبت عنه في الجزء الماضي من المنار ما كتبت

كان الأزهر كنزاً خفيا أو جوهرا مجهولا عند أهله وحكومته وعقلاء بلده لم يفطن أحد قبل الاستاذ الامام لامكان إصلاح العالم الاسلامي كله به ، والاستيلاء على زعامة جميع الشعوب الاسلامية في الدين والادب واللغة باصلاح التعليم العام فيه ، ولكن تعليم الامام رحمه الله وأفكاره هما اللذان احدثا هذا الرجاء في طائفة من شيوخه ، والاستعداد في جمهور طلابه ، ولم يبق إلا العمل الجد ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثالث عشر

من تفسير المنار

(٥٣ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

هذه الآية تتمة إقرار امرأة العزيز على الراجح المختار وقيل من قول يوسف (ع.م) ويرده عطفه على إقرارها وعطف أمر الملك بالاتيان به من السجن عليه، وقد جعلت أول الجزء، لأن تقسيم القرآن إلى الاجزاء والاحزاب مراعى به مقادير الكلم العددي دون المعاني، وهذا لا يمنع من يجعل ورده من القرآن جزءاً في كل يوم ليختمه في كل شهر أن يزيد أو ينقص في القراءة آية أو اكثر ليقف عند ما يتم به سياق سابق أو معنى فيه، ثم يبدأ بعده بسياق آخر أو معنى مستقل منه في ورد اليوم الذي بعده

تقدم أن قولها (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) يجوز أن يراد به يوسف (ع.م) لأن كلامها في جواب الملك عما سألها هي وسائر النسوة عن خطبهن في مراودته. ويجوز أن تعني به زوجها للعلم به من قرينة الحال وان لم يذكر، والأول أظهر، وهذه الآية في معنى الاستدراك على ذلك النفي فهي تقول

٥٣ ﴿ وما أبرّىء نفسي ﴾ في دعوى عدم خيانته بالغيب من كل سوء وعيب غير هذه الخيانة وما عرف أمره ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ أي النفس البشرية لكثيرة الأمر بعمل السوء بداعي الشهوات البدنية والاهواء الغضبية،

ونزغات الوسوسة الشيطانية، ومنها التحريض على سجن يوسف وسوء النية فيه، وكانت مما يسوءه ويسوء الزوج من ناحيتين مختلفتين، وعن ابن كثير ونافع قراءة (بالسو)

بتشديد الواو على لغة من يقلب الهمزة واوا ويدغمها في الواو ﴿ إلا ما رحم ربي ﴾ أي إلا نفسا رحمها ربي رحمة خاصة فصرف عنها السوء والفحشاء بعصمته كنفس يوسف. هذا هو المعنى المتبادر من سياق القصة، ويجوز في الجملة نفسها أن يجعل الاستثناء منقطعا بمعنى لكن رحمة ربي هي التي قد تكفها عن الأمر بالسوء أو تحفظها من إجابة دعوته وطاعة أمره، وأن تكون (ما) زمانية، والمعنى أن من شأن النفس أن تكون أمارة بالسوء في عامة الاوقات إلا وقت رحمة ربي الذي يوفقها

فيه لمراقبته والاعمال الصالحة التي ترضيه ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ تعليل للاستثناء بأن مقتضى مغفرته ورحمته تعالى ان يصرف بعض الانفس عن الامر بالسوء أو عن طاعتها فيه أو يصرف السوء نفسه عنها ويحول بينه وبينها، وأن يغفر لمن يطيع أمرها فيقترف السوء ثم يتوب إليه منه

وقد أخذ علماء النفس وصفاتها من آيات القرآن أن أنفس البشر على ثلاث درجات أدناها الامارة بالسوء، وأعلاها النفس المطمئنة بذكر الله الراضية منه المرضية عنده، وهي التي يخاطبها تعالى في آخر سورة الفجر بقوله (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) الخ، وبينهما التي سماها في أول سورة القيامة بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على كل ذنب وتقصير في طاعة الله ومعرفته، ومن التقصير في طاعته التقصير في حقوق عباده الشرعية ولا سيما أولي القربى والجيران والمحتاجين إلى البر، وكذا الحقوق العامة للملة والأمة. وبعضهم يجعل النفس الراضية والنفس المرضية قسمين من أقسام النفس المطمئنة، ولفقهاء الصوفية تفصيل لهذه الانفس وتربيتها فيه علم يزيد المطلع عليه بصيرة في دينه وتربية نفسه ونفس غيره من ولد وتلميذ ومريد ومعرفة ربه

كان الفصل الاول من قصة يوسف (ع. م) في نشأته وما وقع بينه وبين أخوته وانتهى ببيعه بثمن بخس، والفصل الثاني حياته الاولى في مصر وهو قسمان

أحدهما في بيت عزيز مصر وثانيهما في السجن ، وكانت هذه الاطوار كلها أطوار بؤس وشدائد ، رباه الله تعالى بها أكمل تربية ، وجعله خير أسوة لأفراد الناس في عفته ونزاهته وصدقه وأمانته وخير أهل لما بعدها من إدارة ملك مصر ، وإتمام النعمة عليه وعلى آل يعقوب كما تنبأ أبوه من قبل ،

(الفصل الثالث من قصة يوسف ، توليته حكومة مصر)
وما وقع لاخوته معه فيها

(٥٤ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٥) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)

﴿ ٥٤ وقال الملك ﴾ بعد انتهاء التحقيق في أمر النسوة وظهور براءة يوسف فيه من كل سوء وهو ما اشترطه في قبول الدعوة أول مرة ﴿ ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ أي أحضروه من السجن الي وقد وفينا له بما اشترطه لمجيئه - أجعله خالصاً لنفسي لا يشاركني أحد فيه من وزير يدخل بيننا في إدارة الملك ولا حاجب يبلغه عني ويبلغني عنه - فأتوه به ﴿ فلما كلمه ﴾ وسمع ما أجابه به ﴿ قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ أي انك في هذا الزمن لدى حضرتنا الملكية الخاصة ذو مكانة ثابتة ومنزلة عالية ، وأمانة تامة موثوق بها ، فأنت مفوض في إدارة ملكنا غير منازع في تصرفك ولا متهم في أمانتك، وفي الآية تنبيه إلى تأثير الكلام في إظهار معارف الانسان وإرادته وأخلاقه وإقناع مخاطبه بما يريده منه

أخذ الملك استحقاقه لهذه الثقة من فحوى كلامه وما كان من أمانته في بيت وزيره العزيز على ماله وعرضه وحسن تصرفه في كل ذلك ، ومن سيرته الحسنة في السجن وما علم عنه فيه من علم وفهم، وتأويل الرؤيا بما يعبر عن معناها، ويرشد إلى ما يجب

من العمل فيما تدل عليه من التدبير، ثم ما كان من حرصه على إظهار شرفه وكرامته في مسألة النسوة، فدلته جملة هذه الاعمال والاحوال والاخلاق على ما يستحق به تلك المكانة والامانة. وهذا يدل على أن ذلك الملك كان وافر العقل، محبا للعدل، بصيرا بمزايا الرجال وهذه الاخيرة يقل في الملوك من يقدرها قدرها، ويعطيها حقها، فلا تصرفه عنها الاحوال العارضة ككون الرجل غريبا أو اجنبيا أو فقيرا أو مملوكا أيضا، وما قام ملك ولا سقط إلا بهم، وقد قال عمر إذ ظهر له خطؤه في تقدير رجل: رحم الله أبا بكر كان أعرف مني بالرجال

والظاهر أن الملك كلمه مشافهة بدون ترجمان بينهما، وكذلك كان يوسف يكلم العزيز وامرأته من أول يوم وكذا كلم النسوة اللاتي دعتهن امرأة العزيز لرؤيته عندها وصاحبيه في السجن بالاولى، وذلك أن لغة يوسف كانت فيما يظهر لغة جده ابراهيم وأولاده وأحفاده وهي لغة حكام وطنه الكلدانيين وكانوا من العرب القحطانيين، ثم تفرعت من هذه العربية الاسماعيلية فالمضرية والعبرانية والسريانية والفينيقية، وكان ملوك مصر وكبراء حكامها في ذلك العهد من أولئك العرب أيضا وهم الذين يسمونهم الرعاة (الهكسوس) وفي التواريخ العربية أن ملك مصر هذا كان يسمى الوليد بن الريان، ولولا هذا وذاك لكان المتبادر أن يوسف تعلم لغة مصر في هذه المدة الطويلة في مصر وكلمه ملكها بها، على أن العربية أصيلة وعريقة في مصر لغة وأدبا، وعرقا ونسبا، وانما كان الفراعنة وأشياعهم يعدون ملوك الرعاة العرب غرباء وأجانب لعصبية الملك، وقد أثبت المرحوم أحمد باشا كمال العالم الاثري أن الهيروغليفية ممزوجة بالعربية المضرية من قبلهم، ولو عرفت العربية القحطانية القديمة لجاز ان تكون هي أصلها، ويرى بعض علماء الغرب أن اللغة العربية ما غلبت بعد الاسلام وثبتت إلا في بلاد الشعوب التي هي عربية الاصل أو للعرب فيها عرق واشج، ونسب راسخ

﴿ ٥٥ قال اجعلني على خزائن الارض ﴾ هذا جواب سؤال تقديره ماذا قال يوسف للملك وقد سمع منه ما سمع ورأى من تأثير لقائه وكلامه في نفسه ما رأى؟ أي ولني خزائن أرضك كلها أكن المشرف عليها لأتمكن من تنفيذ ما أولته من رؤياك بنفسي

فيكون منقذاً للبلاد والعباد من المجاعة والمراد بالخزائن-وهي جمع خزينة-الأهراء التي يخزن فيها غلات الارض أو ما يشمل كل مال ﴿إني حفيظ عليم﴾ أي شديد الحفظ لما يخزن فيها بحيث لا يضيع منه شيء أو يوضع في غير موضعه، راسخ العلم بطرق حفظه ووجوه تصريفه والانتفاع به، فهو قد طلب أهم ما تتوقف عليه إدارة الملك وسياسته، وتنمية العمران وإقامة العدل فيه، فكان مضطراً إلى تزكية نفسه بالحق فيه فالجملة تعليل لما قبلها، ونحن نرى دهاة الافرنج في كل بلاد يستولون أو يسيطرون عليهم، يعنون بادىء ذى بدء بالاستيلاء على إدارة الامور المالية فيها، لأنه يتوقف على تنظيمها تنظيم غيرها من أمور الدولة، وبهذا ترسخ أقدامهم فيها، فاذا لم يسرفوا في تحويل الثروة إلى أنفسهم وأبناء جلدتهم فضلهم أهل البلاد على أنفسهم أي على ملوكهم وحكامهم، او يهديهم الله للعدل وحسن الادارة فتعود الامة الى تفضيلهم بعد الثقة بها. وأما الجاهلون الظالمون فانهم يسرفون في إفساد النظام المالي واحتكار الثروة لأنفسهم حتى يمقتهم أبناء جلدتهم ويفضلوا الاجنبي عليهم، وما أضاع ملك المسلمين وغيرهم من الشرقيين في هذه القرون الاخيرة إلا الجهل والتقصير في إدارة النظام المالي وتدبير الثروة وحفظها سواء في ذلك الدولة والامة

---

(٥٦) وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ، نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٧) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ

هذا بيان لسنة الله تعالى في تأسيس الرياسة الفضلى والحكومات المثلى في الامم، ونيل الافراد المناصب العالية فيها وإن كان أهلها غرباء عنها وافدين عليها. يقول تعالى

﴿٥٦ وكذلك مكنا ليوسف في الارض﴾ أي ومثل هذا التمكين الذي سبق

بيان أسبابه ومقدماته مكننا ليوسف في أرض مصر وقد جيء به مملوكا فأصبح مالكا ، فهذا التشبيه في « كذلك » ينبيء عن علم غزير هو موضع العبرة في القصة، وهو إعداده تعالى إياه بما تحلى به من الصبر واحتمال الشدائد والعفة والامانة والصدق

﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ﴾ يقال أصابه الشيء وأصابه الله به ، أي نخص برحمتنا من عطاء الملك والرياسة والغنى وغير ذلك من نعم الدنيا من نشاء من عبادنا بمقتضى سنتنا في الاسباب الكسبية ، وموافقة لاحداث الكونية والاجتماعية

﴿ ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ في أعمالهم بشكر هذه الرحمة والنعم بأن نأجرهم عليها في الدنيا بالزيادة والهناءة فيها ، فان نعم الدنيا مبذولة لكل من يطلبها من طرقها وأسبابها، ولكن المحسنين للتصرف فيها هم الذين لا يضيع عليهم شيء من أجرها في الدنيا كالذي يصيب المسيئين من المنغصات،وغوائل الاسراف والبطر والخيلاء، وإثارة أضغان المظلومين والحساد ،والخوف على النعم منهم ومن غيرهم. وقلما يصيب المحسنين الشاكرين شيء من هذا .وما عسى أن يصيبهم منه يكون عليهم أخف، ويكونون عليه أصبر ، ولا ننس هنا قوله تعالى في يوسف (٢٢ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) وقوله حكاية عن صاحبي السجن (٣٦ إنا نراك من المحسنين)

٥٧ ﴿ ولأجرُ الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ هذه جملة مؤكدة بالقسم مثبتة أن أجر الآخرة وهو نعيمها الذي يكون فيها للجامعين بين الايمان والتقوى خير لهم من أجر الدنيا لاهلها وإن بلغوا سلطان الملك ومتاعه ، ليكون المؤمنون المتقون المحرومون من هذا النعيم راضين عن الله عز وجل،موقنين بأن ما أعده لهم في الآخرة يصغر ويتضاءل بجاهه كل ما في الدنيا من مال وجاه وزينة وشهوات

ولاشك أن الجامعين بين السعادتين أكمل ، وفضل الله عليهم أعظم، اذا هم أعطوا النعمة حقها من الشكر ، قال فقراء المهاجرين (رض) للنبي ﷺ يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال« ماذاك ؟ قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون كما نتصدق ويعتقون ولا نعتق

قال ﷺ «أفلا اعلمكم شيئا تدركون به من قد سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون احد افضل منكم، الا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا بلى يارسول الله قال «تسبحون وتكبرون وتحمدون الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة» رواه الشيخان عن ابى صالح عن ابى هريرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله ﷺ فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»

---

(٥٨) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٩) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ؟ (٦٠) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦١) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦٢) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

جاء في كتب التاريخ وأقدمها سفر التكوين أن يوسف عليه السلام عني أشد العناية بما أجمله من ذكر التدبير في تأويل رؤيا الملك فبنى الأهراء العظيمة وخزن فيها الحبوب التي استكثر منها مدة سني الخصب السبع الاولى فلما جاءت السبع الشداد وعم القحط مصر وغيرها من الاقطار القريبة منها وأقربها اليها فلسطين من بلاد الشام واشتهر ما فعله يوسف (ع. م) في مصر ومافيها من الخير وحسن تصرف يوسف في بيع الغلال، أمر يعقوب (ع. م) أولاده بأن يرحلوا الى مصر ويأخذوا معهم ما يوجد في بلادهم من بضاعة ونقد فضة ويشتروا به قمحا لان المجاعة أوشكت أن تقضي عليهم، والمقصود من العبرة الدينية والادبية في هذه الاخبار هو ما وقع بين يوسف وإخوته في مصر فاقتصر عليه في التنزيل وهو

﴿ ٥٨ وجاء إخوة يوسف ﴾ أي جاءوا مصر يمتارون ﴿ فدخلوا عليه ﴾ لأن أمر الميرة وشراء الغلال بيده ورهن أمره ﴿ فعرفهم ﴾ إذ دخلوا بلا تردد ولا طول تأمل كما يفهم من العطف بالفاء. إذ كان عددهم وشكلهم وزيهم محفوظا في خياله لنشوئه بينهم، وما قاساه منهم في آخر عهده بهم وكان في سن السادسة عشرة على رواية سفر التكوين وقد استكثرناها، ويجوز أن يكون هنالك سبب آخر لسرعة هذه المعرفة كأن يكون عمال يوسف وعبيده لا يدخلون عليه إلا من عرفوا أمرهم وعرضوهم عليه ونالوا إذنه بادخالهم ﴿ وهم له منكرون ﴾ أي والحال انهم كانوا إذ دخلوا عليه منكرين له لتغير شكله بالدخول في سن الكهولة، ولما كان عليه من عظمة الملك وزيه وشارته وما كان من حاجتهم كغيرهم لبره وعطفه، وكل ذلك مما يحول دون إطالة النظر اليه والتثبت من معارف وجهه، وكانوا يظنون انه هلك أو طوحت به طوائح الزمن بالانتقال من سيد الى آخر، فلو فطنوا لبعض ملامحه وتذكروه بها لعدوها مما يتشابه فيه بعض الناس ببعض عادة، ولم يخطر ببالهم ان اخاهم وصل الى هذه العظمة

﴿ ٥٩ فلما جهزهم بجهازهم ﴾ أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة اهـ من الكشاف

قال الفيومي في المصباح المنير: جهاز السفر أهبته وما يحتاج إليه في قطع المسافة بالفتح وبه قرأ السبعة (وذكر الآية) والكسر لغة قليلة، وجهاز العروس والميت باللغتين أيضاً يقال جهزهما أهلهما بالتثقيل، وجهزت المسافر بالتثقيل أيضا هيأت له جهازه وما يحتاج إليه في قطع المسافة اهـ فتجهيز يوسف إياهم بالجهاز اللائق بهم الكافي لهم هو غير الميرة التي جاؤا لامتيارها أي الطعام الذي جاؤا لشرائه، وهو يدل على انهم أخذوا الميرة أيضاً فهو من إيجاز القرآن الدقيق، وجعله الزمخشري شاملا له بالمعنى لاستلزامه إياه. وقد نقل البيضاوي عبارته ثم قال والجهاز مايعد من الامتعة للنقلة كعدة السفر وما يحمل من بلد إلى آخر وما تزف به المرأة إلى زوجها اهـ فجعل الميرة وغيرها من البضائع داخلة في معنى الجهاز وليس كذلك في أصل

اللغة . ﴿ قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ﴾ يريد شقيقه بنيامين ، وفي سفر التكوين أنه كان استنبأهم عن أنفسهم متنكراً لهم إذ عرفهم ولم يعرفوه واتهمهم بأنهم جواسيس جاؤا ليروا عورة البلاد فأنكروا ذلك وأخبروه خبرهم (٤٢ : ١٣ فقالوا نحن عبيدك اثناعشر أخا، نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان، وهو ذا الصغير عند أبينا اليوم والواحد مفقود ١٤ فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قائلا : جواسيس أنتم ١٥ بهذا تمتحنون، وحياة فرعون لا تخرجون من هنا إلا بمجيء أخيكم الصغير إلى هنا) الخ (٢٥ ثم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحاً وترد فضة كل واحد إلى عدله ، وأن يعطوا زاداً للطريق ، ففعل لهم هكذا) اه وهو بمعنى ما قلنا يدل عليه قوله ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل ﴾ أي أتمه وأجعله وافيا كافيا ﴿ وأنا خير المنزلين ﴾ أي وأنا على هذا خير المضيفين للضيوف ، وكان قد أحسن ضيافتهم ومن تمامها تجهيزهم بالزاد الكافي لهم مدة سفرهم، والميرة لا تقتضي هذا ولا تستلزمه ، يقال أنزلت الضيف نزلا وخير منزل بضم الميم وفتح الزاي فهو نزيل - فعيل بمعنى مفعول - والنزل بضمتين طعام النزيل الذي يهيأ له ، وهو مستعمل في التنزيل، واستدل بقوله هذا على ضعف رواية اتهامه إياهم بالتجسس على كون هذه التهمة لا تليق بمن دون الصديق النبي وهو يعلم بطلانها إلا أن تكون ذريعة لغرض صحيح كاتهامهم بالسرقة

﴿ ٦٠ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ﴾ فإذا عدتم تمتارون لأهلكم ولم يكن معكم منع جنس الكيل أن يكال لكم في حضرتي أو ملكي فضلا عن إيفائه وإكماله الذي كان لكم بأمري ﴿ ولا تقربون ﴾ بكسر النون الدالة على ياء المتكلم المحذوفة ، وهو يجوز أن يكون نفيا معطوفا على ما قبله وأن يكون نهيا عن القرب منه فضلا عن إنزاله إياهم في ضيافته خير ضيافة لا توجد عند غيره ، وناهيك بما بين منزلته من الملك والحكم ، ومنزلتهم فيمن لا يحصى من الجائعين المتارين من البعد

٦١ ﴿ قالوا سنراود عنه أباه ﴾ أي سنبذل جهدنا في مراوغة أبيه وتحويله

عن إرادته في ابقائه عنده إلى إرادتنا وإرادتك حتى نقنعه بارساله معنا كما تحب ﴿وإنا لفاعلون﴾ ذلك قطعا وعدا مؤكدا لا ننساه ولا نتوانى فيه

٦٢ ﴿وقال لفتيانه﴾ أي غلمانه الكيالين ، وهذه قراءة حمزة والكسائي وحفص ، وهو جمع كثرة لفتى ، وقرأ الباقون (لفتيته) وهو جمع قلة فهما كاخوة وإخوان ولا وجه للتفاضل بينهما ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ التي جاؤا بها لشراء الطعام ﴿في رحالهم﴾ أي أوعيتهم وهي جمع رحل بالفتح يطلق على كل ما يعد للرحيل (السفر) من وعاء للمتاع ومركب وحلس للبعير ورسن ﴿لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم﴾ أي رجاء أن يعرفوا لنا حق إعادتها إليهم وجعل ما أعطيناهم من الغلة مجانا بغير ثمن إذا هم رجعوا إلى أهلهم وفتحوا متاعهم فوجدوها فيه فانهم انما يفتحونها هنالك ﴿لعلهم يرجعون﴾ الينا طمعا في برنا وإن كانوا غير محتاجين إلى امتيار آخر لضرورة القوت . ويجوز أن يكون رجاء الرجوع منوطا بمعرفة البضاعة من غير تقدير معرفة حق ردها اليهم وما فيه من المنة والكرم ، وهو أن يعتقدوا أن فتيان يوسف نسوها أو وضعوها في رحالهم خطأ؟ وهم لا يستحلون أكلها بالباطل فيرجعون لاعادتها وإيصالها إلى أهلها

---

(٦٣) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٤) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ؟ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

---

٦٣ ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ أي صدر حكم العزيز ولي الامر في مصر بمنع الكيل لنا في المستقبل ، وأخبروه بما قاله لهم ورتبوا عليه

قولهم ﴿ فأرسل معنا أخانا ﴾ بنيامين ﴿ نكتل ﴾ أي نتمكن من أخذ ما نطلب من الطعام بالكيل المعلوم بأن نرفع المانع من الكيل ونكتال من الطعام بقدر عددنا ، وقرأ حمزة والكسائي (يكتل) بالياء يعنون أخاهم بنيامين أي يكتل لنفسه كما يكتال كل منا لنفسه فان الكيل لنا مشروط بارساله ورؤية العزيز له ، تقول كلت له الطعام إذا أعطيته واكتلت منه وعليه إذا أخذت منه أو توليت الكيل بنفسك يقال كال الدافع ، واكتال الآخذ ، قاله في المصباح ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ في ذهابه وإيابه فلا يناله مكروه نخافه ، كأنهم كانوا يعتقدون أن أباهم يعتقد أنهم يحسدونه كما كانوا يحسدون يوسف معه فقالوا له مثل ما قالوا لما طلبوا إرسال يوسف معهم يرتع ويلعب ، فماذا قال هو لهم ؟

﴿ ٦٤ قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ﴾ إذ قلتم (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ؟ أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) ثم خنتم وكذبتم فأضعتم يوسف ؟ فالحالة واحدة ووعدكم بحفظه لا يوثق به « ما أشبه الليلة بالبارحة » ﴿ فالله خير حافظا ﴾ فمن لم يحفظه فلا حافظ له ، قرأ الجمهور (حفظا) على التمييز وحمزة والكسائي (حافظا) وهو يحتمل التمييز والحال : والكلمة كتبت في المصحف الامام بدون الف ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع علي الابتلاء بفقده وفقد أخيه يوسف معاً فرحمته أوسع وأعظم ، وفي قوله هذا لين وميل الى ارساله لشدة الحاجة ولكنه غير صريح

(٦٥) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَـٰأَبَانَا مَا نَبْغِي ؟ هَـٰذِهِ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٦) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ، فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ

﴿٦٥ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم﴾ أي فتحوا رحالهم من غرائر وغيرها وجدوا فيها ما كانوا أعطوه من بضاعة ونقد ثمناً للطعام كما توقع يوسف اذ أمر فتيانه بوضعها في رحالهم ولم يعلموا بذلك من قبل ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي؟﴾ استفهام في سياق استئناف بياني، يعنون أي إكرام نطلب وراء هذا الذي فعل معنا عزيز مصر، أو نفي للمبالغة فيما حدثوه به من كرمه وحسن ضيافته، أي ما نبغي ولا نسرف فيما حدثناك عن كرم هذا الرجل، ثم استدلوا على هذا بقولهم مستأنفاً أيضاً ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ بعينها على حقارتها لم يأخذ العزيز شيئاً منها، وكل ما جئنا به على غلائه وعظم قيمته فهو هبة منه لنا أو صدقة علينا ﴿ونمير أهلنا ونحفظ أخانا﴾ هذا عطف على محذوف تدل عليه القرينة، أي فنحن ننتفع ببضاعتنا ونمير أهلنا بما نجلبه من الميرة من مصر مجاناً ونحفظ أخانا بعنايتنا كلنا به مع عدم المخاوف التي تخشى ان تغلبنا عليه ﴿ونزداد كيل بعير﴾ أي حمله يكال لأخينا ويفهم منه ان يوسف ما كان يعطي أحداً أكثر من حمل بعير حتى لا يسرف الناس في الطعام، وقد أشار في تعبير رؤيا الملك إلى ما يجب من الاقتصاد ﴿ذلك كيل يسير﴾ أي ان حمل البعير كيل سهل لا عسر فيه على عزيز مصر الجواد المحسن، او قليل لا يكثر على سخائه ولا يشق عليه وإن كان يعلم ان كل ما نأخذه لبيت واحد، فالمشار إليه حمل البعير والكيل بمعنى المكيل، واليسير له معنيان أحدهما السهل وهو ضد العسير ومنه قوله تعالى (يوم عسير على الكافرين غير يسير) وقوله (وكان ذلك على الله يسيراً) والثاني القليل في كل شيء حتى الزمن ومنه قوله تعالى (وما تلبثوا بها إلا يسيراً) وقال الزمخشري وتبعه البيضاوي: أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا، يعنون ما يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا اليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ذلك اشارة إلى (كيل بعير) أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه، أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه، ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله

بالولد اه وهذا بعيد ولو كان من قوله لعطف عليه ما بعده ولكنه جاء مفصولا مستأنفا على الاصل في جواب سؤال مقدر كامثاله وهو :

﴿ ٦٦ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ أي حتى تعطوني عهداً موثقا بالقسم بالله ﴿ لتأتنني به ﴾ جواب القسم أي لترجعن به إلي على كل حال تعرض لكم ﴿ إلا أن يحاط بكم ﴾ إلا في حال واحدة وهي أن تغلبوا على أمركم بعدو أو بلاء يحيط بكم فتهلكوا دونه فلا تستطيعوا الاتيان به مجتمعين ولا متفرقين أو لا يسلم منكم أحد ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾ أي أعطوه العهد الموثق الذي اشترطه عليهم ﴿ قال الله على ما نقول وكيل ﴾ أشهد الله تعالى على ما قاله واشترطه وما أجابوه به، يعني أنه سبحانه رقيب عليه وعليهم ، وأمرهم موكول اليه فهو الكفيل الذي يوفق للوفاء بالعهد ، والصدق بالوعد ، فقول القول خبر في اللفظ إنشاء في المعنى

(٦٧) وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ، إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

﴿ ٦٧ وقال يا بني لا تدخلوا ﴾ مصر مجتمعين ﴿ من باب واحد ﴾ كهيئتكم هذه بناء على أنه كان لمصر عدة أبواب لكبرها وكثرة طرقها . وقيل انه أراد بالابواب الطرق ، والراجح عندي أنه أراد الابواب التي يدخل الناس منها على

العزيز في قصره أو الوسائل الموصلة اليه ، فالابواب تطلق على المداخل الحسية والمعنوية ومنه (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) ومنه ابواب جهنم وهي امهات أجناس الاباطيل والمعاصي التي هي سبب دخولها، وكذا أبواب العلم والكتب ﴿وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ بحيث لا يراكم من هنالك مجتمعين فيحسدكم الحاسدون ، ويكيد لكم الظانون ظن السوء ، فاذا وقع بكم مكروه بحسدهم وكيدهم أو بسبب آخر خشيت أن يصيبكم كلكم فيحاط بكم ﴿ وما أغني عنكم ﴾ وما أدفع عنكم بوصيتي هذه ﴿ من الله ﴾ أي مما قضاه الله وقدره في علمه ومن خلقه ﴿ من شيء ﴾ قل أو كثر، فما قضاه وحكم به لا بد من وقوعه ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ أي ما الحكم في تدبير العالم ونظام الاسباب والمسببات إلا لله وحده ﴿ عليه توكلت ﴾ دون غيره ودون علمي ووصيتي ، وحولي وقوتي ﴿ وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ كلهم لا على أمثالهم من المخلوقين ولا على أنفسهم ، بل يجب على كل عاقل يؤمن به أن يتخذ لكل أمر ما يقدر عليه من الاسباب ، وأن يوصي بها بعضهم بعضاً ، وأن يكون اتكالهم في النجاح وقضاء الحاج عليه ، فان من الاسباب ما يخفى عليهم ، ومالا تصل اليه أيديهم

﴿ ٦٨ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ وهو الابواب المتفرقة ﴿ ماكان يغني ﴾ يمنع أو يدفع دخولهم أو أمره لهم وامتثالهم له ﴿ من الله من شيء ﴾ أي أدنى شيء من المكروه الذي من شأنه أن يحول دون رجوعهم ببنيامين ، وقد أخذ عليهم الموثق بان يأتوه به إلا اذا أحيط بهم فلم يبق منهم أحد ، وانما يقع هذا في العادة الغالبة اذا كانوا مجتمعين ﴿ إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ هذا استثناء منقطع بالاتفاق والمعنى أن يعقوب كان يعلم أن الحذر لا يدفع القدر ، ولكن كانت هنالك حاجة تختلج في نفسه ، قضت الحكمة الا يكاشف بها أحدا من الناس هي وراء ما يخطر بالبال من أسباب الاحتياط لسلامة بنيامين والعودة

به قضاها بوصيته لأولاده من حيث لا يفطنون لها ﴿ وإنه لذو علم ﴾ خاص به وبأمثاله الأنبياء ﴿ لما علمناه ﴾ لأجل ما أعطيناه من علم الوحي وتأويل الرؤيا الصادقة والالهام وذلك عندهم فوق صحة الفكر وسلامة العقل ، فهو يعلم به أن يوسف حي سيكون له شأن ، وأن الانسان يجب عليه في كل أمر يحاوله أن يتخذ له كل مايصل اليه علمه من أسبابه حتى ما كان منها احتياطيا ثم يتوكل على الله في تسخير ما لم يصل إليه علمه مما لا تتم المقاصد بدونه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ما نختص به رسلنا من علمنا اللدني ، فهم يتكلون على ما يظنون أو يتوهمون من الاسباب ، والواجب الجمع بين الاسباب الصحيحة وبين الاتكال على الله وهو ما فعله يعقوب عليه السلام.

هذا ما يدل عليه ظاهر الآيتين من تفسيرهما الظاهر المتبادر من لفظهما ، فتلك الحاجة التي كانت في نفس يعقوب تفسير باطن لا يفهمه إلا من عرضها على أول القصة وآخرها ، وهو ما فهم يعقوب من رؤيا يوسف عليهما السلام من أن ربه يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب به ، وما جزم به من تكذيب إخوته في قولهم أكله الذئب ، فقد كان يعلم أن يوسف حي باق وينتظر تحقيق رؤياه له ولآل يعقوب، وقد قلنا إن علم يعقوب بهذا كان علما قطعيا ولكنه مجمل مبهم لا يتناول مكانه بعد أخذ السيارة له ولا ما فعل الله به ، فلما قص عليه أولاده ما كان من ضيافتهم وإكرامهم في قصر ملك مصر ووزيره العزيز المفوض، ومطالبته إياهم بأن يأتوه بأخ لهم من أبيهم ، وأكد هذا الطلب وألح فيه وأنذرهم الحرمان من الكيل لهم إن لم يأتوه به ، ترجح عنده أن هذا العزيز العطوف الرؤف المحسن المضيف لأولاده دون الوفود التي تفد عليه من مصر وغيرها لطلب الرزق هو يوسف بعينه ، ولم يكن له أن يجزم بذلك عقلا ، ولم يخبره الله به وحيا ، لأن كل شيء عنده تعالى بقدر، ولكل قدر أجل ، فلقن يعقوب أبناءه وصيته رجاء أن تنكشف بها الحقيقة أو تزداد قوة إلى أن يكشفها الله تعالى الكشف الاخير بتأويل رؤيا يوسف التام.

قال يا بني لا تدخلوا على هذا الملك الكريم أو الوزير العزيز من باب واحد من أبواب الوصول اليه ، بل ادخلوا عليه متفرقين من أبواب متعددة ، وأراد بذلك أن يروا بأعينهم ما يكون من تأثير كل طائفة منهم في نفسه وما يظهر على اسارير وجهه وحركة عينيه ولمعانهما عند رؤية شقيقه فيمن يدخل معهم، إذ لا يعلم هذا اذا دخلوا عليه كلهم كوكبة واحدة ، وقد ابهم أمر الوصية عليهم ولم يشر إلى سببها ، وانتظر أن يخبروه بما سيقع لهم بعد وقوعه

ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ما تقدم (فلما دخلوا على يوسف) فعلم منه أن المراد من الدخول الاول دخولهم عليه لا على مصر ، ثم يؤكده أنه لم يصدقهم في قولهم إن ابنك سرق) وقال لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) ثم قوله (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) ثم قوله (إني لأجد ريح يوسف) الخ ثم انكشاف الامر كله بما تمت به القصة

هذا ما تبادر إلى فهمي أنه الحق الموافق للسياق والجمع بين أول القصة وآخرها وفهمها بنظر العقل المستقل في الحكم ، بعد أن توجهت إلى الله أن يلهمني الصواب في تلك الحاجة في نفس يعقوب ، كما أتوجه اليه وأدعوه دائما في الاسحار وفي غيرها أن يوفقني في تفسير كتابه لما يحبه ويرضاه من الحق ونفع الخلق

والمشهور عند الخواص والعوام من حاجة يعقوب التي كانت في نفسه أنه كان يخاف على أولاده إصابة العين وهو أول ما قرأته في تفسير الجلالين ثم رأيته في الدر المنثور مرويا عن أشهر علماء التفسير المأثور من الصحابة والتابعين كابن عباس ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد وقتادة والضحاك . ولكن روي عن ابراهيم النخعي في ذلك أن يعقوب أحب أن يلقى يوسف أخاه في خلوة . وهذا الذي قارب الصواب ولم يقرطس في هدفه فزعم أنه كان يعتقد أن يوسف ملك مصر ، ولو صح هذا لما قال بعده (يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن)

فاما الخوف من العين ففيه أنه مخالف للسياق القريب الدال على الحرص على

سلامة بنيامين والاحتياط للاتيان به ، فان الخوف عليهم من العين اذا دخلوا من باب واحد يعنى به الجماعة دون الافراد ، ولا يظهر فيه شيء يخص بنيامين ، وهم قد دخلوا مصر أول مرة من باب واحد فلم تصبهم العين ، ولو صح ما في سفر التكوين من اتهام يوسف إياهم بالتجسس لجاز أن يقال إن رؤيتهم مجتمعين هو الذي أوقع الشبهة عليهم ، وهم إنما اجتمعوا عند يوسف لافي باب من أبواب مصر ،

وحوادث الاصابة بالعين عند المصدقين لها قليلة واكثرها وهمية ولم يروعنهم أنها بلغت أن يقتل بها جماعة من الناس اشداء كاخوة يوسف ، وهم فريقان أحدهما يرى أنها تقع من تأثير بعض الانفس الشريرة الحسود فيما تتوجه اليه توجها قويا ، والآخر يسلكها في خوارق العادات أو الحوادث المجهولة السحرية ، والمؤمن بالله من كل منهما لا يقيم لتأثيرها وزنا ، بل منهم من يقاوم تأثيرها بعد وقوعه بالتوجه الى الله والدعاء والرقية ، فان تأثير الايمان والتوجه الى الله تعالى ودعائه وذكره والرقية بما يعتقد تأثيره قد يكون أقوى من تأثير النفس الشريرة ومنها العين كما بيناه في موضعه ، ونظرية التأثير النفسي ومنه التنويم المغناطيسي مبنية على تأثير القوي من الانفس في الضعيف ، ولقد رأيت في استانبول رجلا نوم امرأة تنويما مغناطيسيا فقلت له ان استطعت أن تنومني فلك حكمك في أوما شئت من الدراهم ، فاعترف بعجزه ، وعلله بأن نفسي أقوى من نفسه

وقد صح في وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب في الحديث الصحيح أنهم « الذين لا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون » فالرقية تنافي التوكل لانها سبب وهمي ضعيف ، ولكن الاخذ بالاسباب القوية المطردة الثابتة بالتجارب المنتظمة في سنن الله تعالى لا ينافي التوكل ، بل تركها هو الذي ينافي التوكل كما قررناه في موضعه من هذا التفسير وغيره وقد صرح يعقوب عليه السلام في هذا المقام بتوكله على الله وحده ، وهو دليل على أن ما قصده بتوصيته لأولاده لا ينافي التوكل ومنه الخوف من العين ، وفي الصحيحين وغيرهما ان « العين حق » والاذن أو الامر بالاسترقاء من العين ، وسنحقق المسألة في خلاصة تفسير السورة إن شاء الله تعالى

فتاوى المنار

﴿ حرمان البنات من الارث ﴾

(س ١) لصاحب الامضاء في مصر القاهرة

حضرة صاحب السيادة مولانا الاستاذ الاكبر السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر نفعنا الله بعلمه وفضله

عرض بعض فقهاء المسلمين في مصر إلى مسألتين- الاولى احتيال الآباء على حرمان بناتهم من أموالهم بطريق النزول عنها الى أولادهم الذكور ببيع مايملكونه لهم . حتى إذا ماتوا لا تجد البنات ماترثه من أموال آبائهن

فقال بعض الفقهاء بجواز هذا ونشرت قوله في الوطنية ، وقال آخر بالتحريم ونشرت قوله كذلك في الوطنية فأصبح المسلمون في حيرة من أمرهم بين هذين القولين المتناقضين وقد لجأت الى فضيلة مفتي الديار المصرية ليكون حكما بينهما فأحالني على سيادتكم وأجل فتواه الى ما بعد اطلاعه على فتواكم

﴿ تعارض القرآن والاجماع ﴾

المسألة الثانية ـ اذا تعارض القرآن والاجماع في أمر فبأيهما نأخذ ؟ ؟ قال بعض العلماء نأخذ بالقرآن ـ وقال أحد كبار الفقهاء نأخذ بالاجماع ـ واستشهد الفقيه المشار اليه على صحة رأيه بقوله : إن القرآن فرض نصيبا من الصدقة للمؤلفة قلوبهم ـ وجاء الاجماع فقرر الغاء هذا النصيب لان الاسلام اصبح قويا ومنتشراً وليس بحاجة الى تأليف القلوب فماذا ترون سيادتكم في هاتين المسألتين. فان العالم الاسلامي ومفتي الديار المصرية في انتظار فتوى سيادتكم في كاتبهما

ايوب صبري

صاحب جريدة الوطنية

(١) الاحتيال لحرمان البنات من الميراث

الاحتيال لحرمان البنات من الميراث ببيع المورث بعض عقاره أو كله للذكور من الوارثين بيعاً صحيحاً في الظاهر أو هبته لهم في غير مرض الموت أو بغير ذلك من الوسائل - هو كالاحتيال لمنع الزكاة أو أكل الربا المحرم قطعاً - حرام لا شك فيه وقد حررنا هذه المسألة في الكلام على الحيلة لأكل الربا، وأشد الفقهاء جموداً على ظواهر الأحكام يصرحون بحرمة هذا إذا قصد به تعطيل حكمة الشارع، وإنما يكابر من يكابر في حكم ظاهر العمل بصرف النظر عن النية فيه. وقد أمر النبي ﷺ بالعدل والمساواة بين الأولاد في عطايا الدنيا فضلا عن الميراث المقرر في كتاب الله تعالى ففي حديث الصحيحين وغيرهما أن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال على المنبر: أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة (يعني أمه) لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال لا، قال «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال فرجع فرد عطيته. وفي رواية لمسلم زيادة «لا تشهدني على جور» وفي أخرى «فلا تشهدني فإني لا أشهد على جور» وفي أخرى «اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر» والنحل جمع نحلة بالكسر وهي العطية التي لا مقابل لها

والظاهر أن هذه التسوية واجبة وإن قال بعض الفقهاء إنها مندوبة. واختلف في صفتها فقيل لا فرق فيها بين الذكر والأنثى، وقيل هي كالميراث، ويتجه التفصيل فيما كان من طعام أو زينة وما يعطى من الدراهم في الأعياد فالظاهر فيه المساواة. لاستواء الحاجة ولأن التفضيل يسوء البنات، وما يقتنى ويدخر أو يستغل لكثرته فالظاهر فيه أنه يراعى فيه نصيب كل في الميراث لأنه أقرب إليه. وعلى الأول يحمل حديث ابن عباس (رض) مرفوعا «سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء» رواه سعيد بن منصور والبيهقي من طريقه وإسناده حسن كما قال الحافظ بن حجر

(٢) التعارض بين القرآن والاجماع

ني لأستنكر هذ التعبير وأقول إن القرآن أعظم وأجل من أن يعارضه دليل وكل ماخالفه فهو خطأ مردود . ومن سوء الأدب أن يقال إنه معارض له وأسوأ من ذلك أن يقال إنه يرجح عليه

وما ذكر في السؤال من سقوط سهم المؤلفة قلوبهم من مستحقي الزكاة لا يصح بل هو باق ولو صح لما كان حكمه معارضا للقرآن وراجحا عليه ، بل يقال فيه إن حكمه قد تعذر تنفيذه بفقد المستحق له كما يقال في غيره من غير حاجة إلى ادعاء الاجماع كالغارمين وابن السبيل إذا فقدوا من بعض البلاد ، ومثل ذلك كفارة العتق في البلاد التي فقد منها الرقيق

وقد بينت في تفسير آية الصدقات أن المؤلفة قلوبهم عند الفقهاء قسمان (١) كفار وهم ضربان (٢) مسلمون وهم أربعة : وانه حدث في عصرنا اقسام أخرى اولى بالتأليف « فاننا نجد دول الاستعمار الطامعة في استعباد جميع المسلمين وفي ردهم عن دينهم يخصصون من أموال دولهم سهما للمؤلفة قلوبهم من المسلمين فمنهم من يؤلفونه لاجل تكفيره واخراجه من حظيرة الاسلام ، ومنهم من يؤلفونه لاجل الدخول في حمايتهم ومشاقة الدول الاسلامية أو الوحدة الاسلامية ، ككثير من امراء جزيرة العرب وسلاطينها !! أفليس المسلمون أولى منهم بهذا ؟ (ص ٤٩٥ ج ١٠ تفسير المنار) وقلت انه روي عن أبي حنيفة انه قد انقطع سهم قسم من الكفار باعزاز الله للاسلام كالذين أعطاهم النبي ﷺ من غنائم هوازن ثم منعهم عمر وقلت ان هذا اجتهاد من عمر (رض) أي فهو يختلف باختلاف الزمن وقد استمر في زمن عثمان وعلي (رض)

« وأما من ادعى انه منسوخ بالاجماع لما تقدم من عمل الخلفاء والسكوت عليه من سائر الصحابة فدعواه ممنوعة : لا الاجماع ثابت بما ذكر ، ولا كونه حجة على نسخ الكتاب والسنة صحيحا وان اختلف فيه الاصوليون بما لا محل لذكره هنا »

وجملة القول ان سهم المؤلفة قلوبهم ضروري في هذا الزمان أشد مما كان في أول الاسلام لضعف المسلمين ودولهم وضراوة الاجانب بهدم دينهم وملكهم ، وانه لا إجماع على ما ذكر في السؤال وان الاجماع الاصولي يختلف في امكانه وفي وقوعه

كتاب الوحي المحمدي

تصدير الطبعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والشكر ، إياه نعبد وإياه نستعين

أما بعد فقد أصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى موعد ذكرى مولد النبي (ص) من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ تيمناً بظهور نوره المشرق الذي أضاء الكون كله ، وإنما أضاءه بزوغ شمس هذا الوحي الالهي ونزوله عليه ، فما أتى على صدوره بضعة أشهر إلا وكانت نسخه قد نفدت . فأعدت طبعه فى تلك السنة منقحاً مزيداً فيه قدر الثلث ونيفاً ، ولولا خوف الملل على القارئين لزدته ضعفاً أو أضعافا ، ولذلك وعدت بأن أجعل له ثانياً ، وأصدرت الطبعة الثانية فى يوم عرفة الذي أنزل الله عليه فى حجة الوداع (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) تفاؤلا بتجديد هذا الكتاب لدعوته (ص) فما جاء يوم عرفة الثاني (سنة ١٣٥٣) إلا وكانت نسخ الطبعة الثانية قد نفدت ، وشرعت فى الطبعة الثالثة ، وتعمدت تأخير إتمامها كالتى قبلها لنشرها فى موعد الاولى من هذه السنة (١٣٥٤)

وفى غضون السنة الماضية تمت ترجمة الكتاب باللغة الأوردية ونشرت فى الهند وهي مترجمة من الطبعة العربية الأولى . وتمت ترجمته باللغة الصينية فيها أيضا مرتين ويتولى طبع الأولى فى قبودان مترجمها الاستاذ صاحب مجلة ضياء الهلال ، وحمل الثانية مترجمة الاستاذ بدر الدين الصيني من الهند إلى مصر وعرضها علي ، وكان يريد إرسالها إلى بلد آخر فى الصين لطبعها فأشرت عليه بأن يزيد فيها كل ما زدته فى الطبعة الثانية لأنها أجمع وأنفع ، ولعلها لا تطبع إلا وقد نفدت نسخ الترجمة الأولى ، ولعله يعيد تنقيحها بمعارضتها على هذه الطبعة الثالثة فانها أصح وأكمل . ولم يبلغني أن أحداً غير هؤلاء قد أتم ترجمته بلغة أخرى

زدت فى هذه الطبعة قليلا من الفوائد ، وإيضاحا لبعض المسائل ، وجعلت

أكثرها في الحواشي كما ترى في الحاشية الثانية من ص ١٥٧ والأولى من ص ٦٥٨ والحاشية (٢) من ص ١٨١ وما جعلته في الصلب أشرت إليه غالبا كشرعية عتق الرقيق من غير المؤمنين، وليس فيها شيء من المقاصد الأصلية المقصودة بذاتها

علمنا إذن أنه أتى على ظهور الكتاب ستتان كاملتان ، فأما انتشاره بالعربية فهو فوق المعتاد في الكتب الدينية ، وقد قررت وزارة المعارف العمومية في هذه السنة صرفه لطلبة دار العلوم العليا وهو يدرس في بعض المدارس الاسلامية في دمشق وبيروت

ويرجى نشره في السنة المدرسية الجديدة أيضا بين طلاب الأزهر والمعاهد الدينية بمصر وقد تولى رياستها شيخ الاسلام وخليفة الاستاذ الامام (الشيخ محمد مصطفى المراغي) الذي كان أول من قدر الكتاب قدره ، وقرأ نصفه في جلسة واحدة وأتمه في جلسة أخرى ، ثم كتب في وصفه تلك الكلمة البليغة التي يراها قراؤه في صدر التقاريظ ، وقد تنبأ أو بشر بأنه سيطبع في كل عام

ترجمة الكتاب باللغات الافرنجية

ولكن قصر المسلمون فيما يجب عليهم من ترجمته بسائر لغاتهم وبلغات شعوب الحضارة التي دعوناها به إلى الاسلام ، وهي الانكليزية والفرنسية والالمانية ، وهو واجب كفائي صرح بتمنيه كثير من أهل العلم والغيرة ، وصرح بوجوبه بعض مقرظي الكتاب ، فمنهم من تعسف وطالبني بهذه الترجمة أو بالسعي لها ، ومنهم من أنصف وطالب به الأمة الاسلامية أو جمعياتها

أما الامة فلا تنهض بالأعمال العامة إلا بزعمائها أو جمعياتها ، وأما هذه الجمعيات عندنا فلا تزال في سن الطفولة ، ولا يرجى من أمثالها عمل عظيم كهذا ، فهي أفقر وأضعف همة من جمعيات المرتدين عن الاسلام جملته وتفصيله كالبهائية ، والملاحدة المدعين للنبوة والمسيحية فيه كالقاديانية ، دع جمعيات النصارى التعليمية والتنصيرية التي تملك مئات الملايين من الجنيهات ، وقد بثوا تعاليمهم في جميع أقطار الارض ، وهم يطمعون في تنصير المسلمين ، على حين تتسلل شعوبهم من النصرانية سراعا بسلطان ونظام كالشعب الجرماني ، أو لواذا بدون سلطان دولي ولا نظام كسائر الشعوب ، وهي تمهد السبيل لنسخ الاسلام لها ، وحلوله محلها ،

ولقد كان أرجى الجمعيات الاسلامية لهذا العمل في مصر «جمعية الدفاع عن الاسلام» التى هدمت باسم أقوى معول من معاول الاسلام قبل أن يتم بناؤها ، وإنما كان هذا الرجاء فيها منوطا برئيسها الشيخ محمد مصطفى المراغي، وما كان السعي لهدمها إلا سعيا لهدم اسمه، وحرمان المسلمين من استعداده، ولكن الله نصره، وخذل من ناهضه، وجعل معول الهدم الذي كان بأيديهم سيفا لنصر الاسلام بيده ، فاذا بعصى موسى تلقف ما يأفك سحرة فرعون (فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)

فان كان أهلا للرجاء بأن يسعى لترجمة كتاب الوحي المحمدي ببعض لغات العلم الغربية تمهيداً لتبليغ الدعوة الاسلامية للناطقين بها - وتلك القوة الرسمية تكيد له - فأجدر به أن يكون أقدر على تحقيق ذلك بالفعل ، وتلك القوة الرسمية وما وراءها من القوة الحقيقية طوع يده ، ولن تكون ترجمة هذا الكتاب فى موضع الثقة بها عند جميع الشعوب كما إذا كانت من قبل شيخ الاسلام وتحت إشرافه ، وكان نشره وبث الدعوة به بارشاده أو إجازته ، مع العلم بأن مؤلفه قلم من أقلامه ، وعلم من أعلامه، وأحمد الله عز وجل أن جدد لي وللأمة بعودته إلى مشيخة الأزهر ذلك الأمل بالزعامة الاسلامية العاملة التى فقدناها بوفاة الاستاذ الامام منذ ثلاثين سنة

إن الأمة لم تفقد بوفاة ذلك الامام شيئا من علم الاسلام، وإنما فقدت زعيم الاصلاح العارف بحاجة زمانه ، الذي نال الزعامة بسمو عقله ، واستقلال رأيه وفهمه ، وعلو همته وشجاعته ، وإنصافه باعطاء كل ذي حق حقه من العلم الصحيح والاخلاص فيه ، وما كان يعوزه للنهوض بالاصلاح العام إلا الاستقلال بالزعامة التى تمكنه من العمل ، ولهذا كنا نسعى، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب

إذن لقد كان من حكمة الله أن « كتاب الوحي المحمدي» لم يترجمه بلغات الافرنج من ليسوا أهلا لترجمته حتى لا أضطر إلى تخطئتهم ، فيكون ذلك محبطا لعملهم ، او مضعفا للثقة بترجماتهم؛ وادخرها العليم الحكيم لمن هو أحق بها وأهلها

بلوغ الدعوة لأحرار الافرنج والمستشرقون منهم

لن يكون بلوغ الدعوة صحيحا مرجوا إلا بوصولها إلى الاحرار مستقلي الفكر من هذه الشعوب بلغاتهم ، وأكثر أفراد المستشرقين الذين تعلموا العربية ليسوا من هؤلاء الاحرار المستقلين المنصفين ، فانهم ما درسوا العربية ولا مارسوا كتب الاسلام ليعرفوا حقيقته ويعرفوا غيرهم بها ، بل ليبحثوا عن عورات يتلمسونها فيها لينفروا أقوامهم عنه بتصويرها لهم بالصور المشوهة التي ينكرونها ، كما نرى فيما اطلعنا عليه من كتبهم وفى معجمهم العلمي الذي وسموه بدائرة المعارف الاسلامية ، ومن خيبة الآمال بعلمهم ومصنفاتهم أن وجدت كتاب (مفتاح كنوز السنة) على غير ما كنت ظننت وخلاف ما قلت فى التعريف به ، فانني لم أستفد منه أدنى فائدة

وأما المستقلون منهم وهم الأقلون فقد غلبتهم الأفكار المادية على عقولهم فقضاياها عندهم مسلمات كأنها لا مجال للبحث فيها ، وقد قربنا مسافة الخلف بيننا وبينهم بما أقمناه في هذا الكتاب من البينات العلمية القطعية ، على أن القرآن لا يمكن أن يكون من كلام محمد (ص) ولا من مدارك عقله الظاهر ولا ما يسمونه العقل الباطن ، فاذا فرضوا أن للانسان عقلا باطنا لا تعرف حقيقته يدرك به من علم الغيب والشهاد ما هو خفي وخارق للعادة فى السنن المعروفة لكسب العلم من الحواس والفكر ، وعللوا به ما يسمونه قراءة الفكر ومراسلة الافكار ، وادراك المنوم بالاستهواء المغناطيسي ـ وقد بينا لهم أنه لا يكفي لتعليل الوحي المحمدي ـ فأي بعد بين هذا العقل الخفي المفروض فى باطن الانسان وبين وجود عقل خفي مثله فى خارجه (وهو ما نسميه الملك كما نسمي الأول الروح) يكون الوحي الحقيقي باتصال أحدهما بالآخر كاتصال الكهربائية الايجابية بالسلبية وتولد النور من اتصالها ، فان ما زعموه من انقداح وحي القرآن من عقل محمد الباطن وحده محال كما قررنا ، وهذا أقرب التعليلين والفرق بينهما قريب جدا فما ثم الا اختلاف الاسماء

وفوق هذا وذاك قيام البراهين الكثيرة على وجود الله الخالق لكل شيء الذي دون الايمان به لا يمكن القطع بشيء من مسائل الكون وسننه ، فانهم كلما أثبتوا شيئا عادوا فنفوه ، وكلما أبرموا أمراً نقضوه

لقد قرب ظهور الحق لأحرار هذه الشعوب وسنراهم بعد ترجمة هذا الكتاب

يدخلون ان شاء الله فى دين الله أفواجا ، وقد بطات ثقتهم بكل ما عداه من الأديان

لعل كتاب « الوحي المحمدي » قد وصل إلى جميع هؤلاء المستشرقين الذين يعرفون العربية فانى أهديته إلى من عرفت عناوينهم وأرسله غيري إلى أناس منهم ، ومن عاداتهم أن يبحثوا عن كل كتاب جديد له شأن ، وقد شكر لي بعضهم هذه الهدية بكلمة لم يزد عليها (كصاحب مفتاح كنوز السنة الدكتور فنسنك) وانفرد العلامة الدكتور موريتس الالماني منهم بابداء رأي فيه فأنشر هنا نص كتاب الشكر الذي تفضل به وهو :

برلين ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣

جناب الشيخ العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بعد التحية والاحترام فتفضلتم بارسال إلي نسخة كتابكم الجديد « الوحي المحمدي » فالرجا قبول جزيل الشكر على هذه الهدية النادرة القيمة وبالخصوص على ما أظهرتم بها من عدم نسيان شخصى ، ولا حاجة للتأكيد لكم أني اطلعت عليه بغاية الاهتمام ولا ريب عندي أنه يجد كمثله فى عالم العلماء

وفى أثناء هذا الاطلاع قد عثرت على جملة مسائل ونقط تستحق ملاحظات لكن نظراً لحجم هذا الجواب الذي لا يتسع أن أدخل فى جميعها أقتصر بواحدة منها أي فى معنى كلمة نبيء الاصلي « ص ٢١ » عند العبرانيين القدماء فكان (نبيأ) فى أوائل عصرهم المتكلم بصوت عال ثم الناطق فى أمور أمته القضائية والسياسية أي مثل ناصح ومستشار لارشادها ، لكن شيئا فشيئا تبعا لتقدم الدين الاسرائيلي تغير موقعه وصفته فصار واعظا وناصحا فى الامور الدينية لانه كان معتقدا أن هذه الوظيفة صارت له بناء على أمر من الله بذلك، وأنه المتكلم باسم الله، والدليل على ذلك أنه يستعمل فى أول كلامه أي نبوته هذه الكلمات : هكذا قال ياهو (وهو اسم إله بنى اسرائيل وغيرهما من الأمم الشرقية المنتشرة بين الحجاز وبين سوريا الشمالية) الخ

وفى الختام أكرر لكم الشكر الواجب مع تمنياتي الصميمة المخلص

دكتور موريتس

يقول هذا العلامة الكبير إن هذه الهدية نادرة القيمة ، وإنه اطلع على الكتاب بغاية الاهتمام ، وانه لا يرتاب فى أنه يجد في عالم العلماء ما ينبغى لكتاب مثله ،

فهولاء العلماء قد بلغتهم دعوته ، وفهموا ما تحديتهم به من الآية الكبرى على نبوة محمد (ص) وما نزل عليه من وحى القرآن ، ولم يقدر أحد منهم أن ينقضها ، او يأتي بتعليل لهذه المعجزة الدالة على إتيان محمد (ص) بهذا القرآن فى أسلوبه ومعانيه وما فيها من العلوم العالية التى لخصتها فى المقاصد العشرة ولتأسيس أقوم دين وأقوى دولة وأمة فى عشر سنين قلبا اعظم دول الأرض وأديانه فى ثلث قرن

وما ذكره الدكتور من الملاحظة على بعض مدلول لفظ النبى عند اليهود فهو منقول من قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوسط ، وقد ذكرت المعنى الذي أشار إليه فى كلامى على النبوة من الطبعة الثانية (ص٢٥) وهو فى (٤١) من هذه الطبعة الثالثة

ولا أزال أتمنى لو يتفضل علي بغير هذه الملاحظة وأخص بالذكر ما عساه ينتقده من جوهر الموضوع ولبابه ، واذن أرويه عنه بنصه وأبلغه جوابي عنه

تعادى الأمم والدول وحاجتها إلى الاسلام

لا تزال دول أوربة وامريكة وشعوبهما على ما وصفتهما به فى مقدمة هذا الكتاب من الشقاء والشقاق ، والرياء والنفاق ، وقد عقدوا فى هاتين السنتين مؤتمرا بعد مؤتمر واتفاقا بعد اتفاق ، ولا يزالون كحمار الرحى يدور ولا يبرح مكانه ، ليس للحق ولا للصدق عندهم قيمة ، فقد ظلوا منذ عقدوا عهد (فرساي) يجرون فيه مع ألمانية على قاعدة البرنس بسمارك ، المعاهدات حجة القوي على الضعيف ، حتى إذا اضطروها الى نقضها سرا كانقضوها جهرا . و تجديد قوة حربية جوية يرهبونها ، أذعنوا لمساواتها لهم فى الحقوق والكرامة الدولية كرها ، وكانوا يمارون فيها و يأبونها طوعا ، بل صاروا يخافونها أن تسطو عليهم ، ويجددون المحالفات الدفاعية التى أفضت الى الحرب العامة السابقة ، حتى ذلوا لمحالفة الدولة الشيوعية عدوتهم كلهم ، وأنى لهم الفرار من حكم كتاب الله فى الأمر بالوفاء بالعهود والنهى عن جعلها دخلا وخداعا لأجل أن تكون أمة هى أقوى من أمة فتكون المعاهدات أنكاثا لا مندوحة عن نقضها كما بينا لك فى محله (١)

---

(١) راجع ص١٤٨ طبعة أولى ، و ص ٢٥٢ طبعة ثانية ، و ص ٢٧٠ طبعة ثالثة

بغوا واستعلوا على ألمانية وهم يعلمون أنها تعلوهم علما وصناعة ونظاما، وفرائصهم ترتعد فرقا من استعدادها السري للحرب، وقد ذاقوا بطشتها القاهرة التى كادت تفتك بهم كلهم من قبل، ولكنهم اتكلوا على خداع معاهدتهم الخاطئة الكاذبة، وعلى تجديد محالفاتهم التى قصدوا بها أن يكونوا إلبا واحداً عليها، وأن تكون فى عزلة لا تجد فيها وليا ولا نصيراً.

صاح زعيمها المجدد (هتلر) صيحة بنقض تلك المعاهدة، وتجديد السلاح الجوي والبحري والتعبئة، فراعتهم كزئير الاسد يجفل الغنم، وقالوا ان سلم اوربة وحربها رهن يديه، وعمرانها وخرابها بين شفتيه، وظلوا يصيخون السمع لما سيقوله فى خطابه السياسى العام، حتى اذا ما ألقاه كان حجة بالغة له دامغة لخصومه، وصادعة لآخر حصن لدول الاتحاد الثلاث فى وجهه (اتفاق ستريزا)، فعادت انكلترة تفاوض ألمانية فى قواتها الجوية والبحرية وكانت تستكبر عن هذا، وكشرت عن أنيابها لايطالية فيما تحشره من جيوش وذخائر للعدوان على دولة الحبشة المعتصمة معهم بعهد عصبة الأمم، الذى هو فى نظرها كسائر العهود الأوربية حجة القوي على الضعيف، وقد رأوا كيف رفسته بل رفسته كل من اليابان وألمانية برجلها، ولكن البلية كل البلية فى تعارض مطامع الأقوياء، فزعيم إيطالية مغتر بقوتها جامح لفتح الحبشة أو نقصها من أطرافها، وانكلترة أعز منها واقوى، وإن هذا لصدع فى اتحاد هؤلاء الاحلاف لا يلتئم، فهذا الزعيم المعتز بسلطانه الشخصي يرى خيبته بعد الشروع فى وسائل الزحف قضاء على نفوذه، وأمته فى اضطراب لا ينقذها منه إلا فوزه فيه، وألمانية لابد لها من استعادة جميع مستعمراتها، وهى اقدر على إخضاع انكلترة فى الهواء والماء، وماذا تفعل فرنسة اذا تركته انكلترة؟

وجملة القول أن هذه الدول وشعوبها لاتزال ولن تزال على ما وصفناها به فى مقدمة الطبعة الاولى للكتاب من فساد لا علاج له الا هداية الاسلام، دين الاخوة الاسلامية والعدل والرحمة والسلام، فيجب المبادرة الى تبليغ دعوته، وإقامة حجته، وهو قد أعد عقلاء المسلمين لتعميم هذه الدعوة عند ماينهض زعيم مسلم لكفالتها وتوحيد النظام لها، ويرى قارئه الشواهد على هذا فيما نشرناه من التقاريظ فى آخره، وفى مقدمتها قول شيخ الاسلام المراغي لمؤلفه «إنكم وفقتم لفتح جديد فى الدعوة إلى الدين الاسلامى» الخ وسائرها مؤيد لقوله، يدل على استعداد فى الامة لتنفيذه

استعداد المسلمين لدعاية الاسلام

ذكرت فى آراء شيخنا الاستاذ الامام من تاريخه (ص٩٣٩ ج ١) أن أمم الحضارة فى الغرب سيذوقون من فتن مدنيتهم ومفاسدها السياسية ما يضطرهم إلى طلب المخرج منها فلا يجدونه إلا فى الاسلام - إسلام القرآن والسنة لا إسلام المتكلمين والفقهاء - وأنه صرح بهذا مرارا فى دروسه فى الأزهر وفى غيره

وأقول الآن: لكنه ما سمع لقوله هذا صدى ، ولا وجد على نار المسلمين هدى ، فكان يرجح أن هداية القرآن ستظهر فى غيرهم من الشعوب الحية ، وأن هؤلاء المسلمين الجغرافيين سيطلبون إسلام القرآن والسنة منهم تقليداً لهم كما يقلدونهم فى الزينة والاباحة والاسراف فى الشهوات الذي أفسدهم جميعا

وسمعت مثل هذا الرأي من الاستاذ المراغي وغيره من الأفراد ، ولعلي أوسع علما واختباراً لمسلمي الأقطار من كل هؤلاء وأجدر منهم بسوء الظن فيهم . ولكن ظهر لي بتقبل عقلائهم لكتاب «الوحي المحمدي» بما تقبلوه به من إيمان وشهادة ورجاء وثناء ودعاء ، أن استعدادهم لهداية القرآن والدعاية له قد دخل فى طور جديد ،

ألم تركيف تجاوبت أصوات المقرظين له فى مصر وسورية والعراق وغيرها من الأقطار بقول القائلين إنهم كانوا يفكرون ويتمنون ويتساءلون قبله عن كتاب يصلح للدعوة إلى الاسلام فلا يجدون ، حتى إذا رأوه وجدوه الضالة التى ينشدون؟ أو لم تركيف شاركهم فيها أئمة المسلمين وملوكهم المتقون

فعلم من هذا أن المسلمين لا يمكن أن تعود إليهم الحياة إلا بمثل ما بدأت به سلفهم من روح القرآن وهدي الرسول (ص) كما قال الامام مالك : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما ذلك إلا أن يكونوا على علم بالقرآن يوقنون به أنه مصلح لجميع البشر ، وأن حملته يجب أن يكونوا أئمة البشر وهداتهم ، والمصلحين لما أفسدته المدنية المادية من عقائدهم وأخلاقهم ، فان لم يملكهم هذا اليقين فلا رجاء فى دينهم ولا دنياهم ، ولكن نشر هذا اليقين فيهم يتوقف على نظام ، وزعامة يثق بها الخاص والعام ، وسيرون الدعوة له تبث فى هذا العام ، وسنرى قدر استعدادهم لتأييدها بأموالهم وانفسهم فيسرنا إن شاء الله (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)

محمد رشيد رضا
منشىء مجلة المنار

خطاب الشيخ الاكبر في الجامع الازهر

نوهنا في الجزء الماضي بحفاوة الازهر بعودة الشيخ المراغي إلى رياسة مشيخة الأزهر والمعاهد الدينية ومشاركة جميع طبقات الأمة لهم فيها ، وقد وعدهم بأن يرد لهم الزيارة فى الجامع الأزهر نفسه ويلقي عليهم خطابا عاما ، ووفى بوعده فكان يوما مشهودا ألقيت فيه الخطب والقصائد فى تهنئة الأزهر وأهله بامامهم المصلح الاكبر ، ثم ألقى عليهم الاستاذ الخطاب الآتي الجامع لمقاصد الاصلاح والتجديد وكانت آلة مضخمة الصوت توصل كلامه إلى أقصى أولئك الالوف المجموعة كأذناهم ، وهذا نص الخطاب ، والعناوين في اثنائه من وضع المنار :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

له الحمد على نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه

وبعد : فقد رأيت واجبا علي أن أزور الازهر قبل بدء الدراسة لأحيي علماء الازهر والمعاهد، وطلبة العلم في الازهر والمعاهد في دارهم كما حيوني في داري، والازهر دار خاصة لكل من ينتسب إلى العلم ، ودار عامة للمسلمين .

وقصدت أيضا إسداء النصيحة إلى اخواني العلماء وأبنائي الطلبة بنسيان ما قد يكون باقياً في نفوسهم من ضغائن وإحن سببتها الحوادث الاخيرة التي تعرفونها لنستقبل الحياة العلمية في صفاء ، ونقبل على العلم بقلوب مخلصة لله ورسوله ، نقية من دنس الغل والحقد ، عامرة بالايمان :

والازهر مكان يستحق الاجلال ، فقد كان ولا يزال مصباحا تستضيء به جميع الامم الاسلامية، ومنبعا صافيا لعلوم الدين، ومستودع فنون العربية وأسرارها وبعض العلوم العقلية .

وقد اضطلع بحمل عبء المعارف الاسلامية وغيرها ، وخاصة بعد سقوط بغداد وضياع ذخائرها العلمية ، وصار المثابة الاخيرة ، والكعبة التي يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار . وما من بلد في مصر ، بل وما من بلد في أي قطر من

الاقطار الاسلامية إلا وهو مدين للازهر بما يعرفه أهله من الدين الاسلامي، وبما بقي عندهم من علوم العربية.

حمل الازهر هذا العبء وأدى الامانة كاملة، وله الفضل على المعاهد العلمية القائمة بجواره في مصر، فهو أستاذها، وهو شيخ هذه المعاهد جميعها.

نعم: قد استقلت عنه بعض المعاهد أخيراً، ولكنه لايزال له نصيب عظيم من التثقيف في المعارف الاسلامية وفنون العربية في أكثر هذه المعاهد. فلكم أن تفخروا بتاريخ طويل كله مجد وعظمة لهذا المعهد الذي تنتسبون اليه: تاريخ ظهر فيه من الائمة والعلماء والمؤلفين من خريجي الازهر من لا يحصيهم العد، وقد كانوا سباقين للخيرات وكلوا أمرهم الى الله جل شأنه، فحفظهم ورعاهم، وشرح صدورهم، وأنار عقولهم، فترسموا آثار الرسول الاكرم صلوات الله عليه وتخلقوا بأخلاقه، واعتصموا بهديه، وانتفع الناس بعلمهم وتأدبوا، وحلت آثارهم في البلاد جميعها كما يحل ضوء الشمس ونور القمر.

أولئك آباؤنا وأجدادنا في سلسلة النسب العلمي، رضي الله عنهم ونفعنا بهم يجب أن نذكر هذا المجد ونفاخر به، ونحرص على الانتساب اليه كما يحرص الاشراف على أنسابهم، وأن نحافظ على هذا المجد ونضيف اليه مجداً طارفا، اقتداء بأولئك الآباء والاجداد.

قد يسأل بعض الناس مافائدة الازهر؟ أو ماهي رسالة الازهر كما يقال اليوم؟ فأقول لهؤلاء: رسالة الازهر هي حمل رسالة الاسلام، ومتى عرفت رسالة الاسلام عرفت رسالة الازهر.

موضوع الاسلام واتفاقه مع علوم العصر والحاجة إليها

الاسلام دين جاء لتهذيب البشر، ورفع مستوى الانسانية، والسمو بالنفوس الى أرفع درجات العز والكرامة. قد طوح بالوسطاء بين الناس وربهم، ووصل بين العبد وربه، ولم يجعل لاحد فضلا على أحد إلا بالتقوى، وقدس العلم والعلماء، وقرر في غير لبس ما يليق بذات الخالق من الصفات. وما قرره في ذلك هو

منتهى ماسمت اليه الحكمة ، ووصل اليه العقل ، وأتى بتعاليم كلها ترجع إلى تهذيب النفس ، وتلطيف الوجدان ، وأبان أصول الاخلاق ، وشرع حل التمتع بالطيبات ،ولم يحرم إلا الخبائث،ووضع حدوداً تحد من طغيان النفوس ونزوات الشهوات ، ورسم أصول النظم الاجتماعية وأصول القوانين . قواعد كلها لخير البشر وسعادة المجتمع الانساني .

هذه صورة مصغرة جداً للدين الاسلامي . ورسالة الازهر هي بيان الدين الاسلامي ، وشرح قواعده وأسراره ، ومتى أدى هذه الرسالة على وجهها فقد أدى نصيبا عظيما من السعادة والخير للجمعية الانسانية .

في القرآن الكريم حث شديد على العلم وعلى معرفة الله وعلى تدبر مافي الكون، وليس هناك علم يخرج موضوعه عن الخالق والمخلوق ، فالدين الاسلامي يحث على تعلم جميع المعارف الحقة . وليس في المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شيء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها.

نعم: قد توجد معارف تناقض بعض ماوضعه العلماء في شرح القرآن والحديث والفقه وغيرها ولكنا لا نهتم لهذا ، فليسر العلم في طريقه ، ولنصحح معارف الماضين لكن على شريطة أن يكون مايخالف معارفنا من العلم البرهاني المستقر

ولست أقصد بحديثي هذا أن يكون الازهر مدرسة طب أو هندسة ، أو كلية للكيمياء أو ما يشبه هذا ، ولكني أعني أن هناك علوما ومعارف لها صلة بالدين وثيقة تعين على فهمه ، وتبرهن على صحته ، ويدفع بها عنه الشبهات . هذه العلوم يجب أن يتعلمها العالم الديني أو يتعلم منها القدر الضروري لما يوجه إليه

هذا وقد تغيرت في العالم طرق عرض السلع التجارية ، وأصبح الاعلان عنها ضروريا لنشرها وترغيب الناس فيها ، ولديكم الحوانيت القديمة ومخازن التجارة الحديثة: وازنوا بينها تدركوا مافي طريقة العرض الحديثة من جمال يجذب النفوس إليها ، وما في طريقة العرض القديمة من تشويه ينفر الناس عنها ، وقد توجد في الحوانيت القديمة سلع أحسن صنفا ، وأغلى قيمة ، وأمتن مادة ، ومع ذلك هي في كساد .

تغيير طريقة التعليم والتصنيف

وكما تغيرت طريقة عرض السلع تغيرت طريقة عرض العلم ، وأحدث العلماء طرائق تبعث الرغبة الملحة في العلم ، وتنفي الملل والسأم

حدثت هذه الطرق في إلقاء الدروس والمحاضرات ، وحدثت في تأليف الكتب أيضا ، وهذا المثل ينطبق علينا : ففي جميع الكتب التي تدرس في الازهر وفي جميع العلوم التي تدرس في الازهر أعلاق نفيسة لا تحتاج إلا إلى تغيير طريقة العرض في الدرس والتأليف ، وفي الفقه الاسلامي نظريات تعد الآن أحدث النظريات عند رجال القانون ، وفي الفقه الاسلامي آراء يمكن أن يسير عليها الناس الآن من غير حرج ، وتحقق العدالة في أكمل صورها ، ولكن هذه النظريات البالغة منتهى الجمال والحكمة يحجبها عن الناس أسلوب التأليف القديم

على الازهر أن يسهل فهم علومه على الناس ، وأن ييسر لهم هذه المعارف ، وأن يعرضها عرضا حديثا جذابا مشوقا

تطهير الاسلام من البدع

ومسألة أخرى يجب أن يعنى الازهر بها : تلك هي تطهير الدين الاسلامي من البدع وما أضيف إليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده . هناك آراء منثورة في كتب المذاهب وفي غير كتب المذاهب يحسن سترها ، ضنا بكرامة الفقه والدين

ومن الواجب أن يعترف بان المذاهب الاسلامية جملة تغني عن الاجتهاد في المسائل التي عرضت من قبل متى تخير العلماء منها

وأذكر قصة طريفة تجدونها في كتاب «الولاة والقضاة» للكندي :

« كان في مصر قاض شافعي المذهب في عصر الامام الطحاوي ، وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه محقق للعدل من آراء الائمة ولا يتقيد بمذهب ، وكان مرضي الاحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه في دينه وخلقه ، سأل ذلك القاضي الامام الطحاوي عن رأيه في واقعة من الواقعات ، فقال الطحاوي : أتسألني عن

رأيي أو عن رأي أبي حنيفة؟ فقال القاضي : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوي: ظننتك تحسبني مقلداً ، فقال القاضي : مايقلد إلا عصى أو غبي ؟

فتخير الاحكام نوع من الاجتهاد، ولكنه الاجتهاد الذي لم يغلق الناس أبوابه

إصلاح التعليم في الازهر واجب اجتماعي لاصلاح الامم الاسلامية في مختلف أقطارها وأجناسها ، وعلى كل مسلم أن يساهم فيه مااستطاع إلى ذلك سبيلا

بل أقول ان هذا الاصلاح ضروري للامم غير الاسلامية كلها بما يؤديه من الخدمة للحضارة الانسانية العصرية التي تنقذها مما هي عرضة من خطر الاباحة المادية والالحاد اللذين يبثهما في الامم دعاة البلشفية والتعطيل الجاحدين لوجود الخالق والبعث والجزاء على الخير والشر ، فهذا الخطر لاعلاج له إلا هداية الدين (١)

وأنا أرجو الله سبحانه أن يوفق العلماء وطلاب العلم إلى الاخلاص في النهوض بالازهر ، فان الاخلاص في ذلك إخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين ، وللدين الحق الذي وعد الله أن يظهره على الدين كله ، وجعله هداية عامة لجميع البشر

احترام حرية الرأى

ونصيحة أقدمها للعلماء وطلاب العلم في الازهر راجيا تدبرها، وهي احترام حرية الرأي ، والتحرج من الاتهام بالزندقة والكفر

ولا أطالب بشيء يعد بدعة ، ولا أحدث في الدين حدثا بهذه النصيحة ، فهي موافقة للقواعد التي وضعها سلف الامة رضي الله عنهم وتروتها مبسوطة واضحة في كتب الاصول وفي جميع كتب الامام الغزالي

وحاصلها – على ما أذكر – أن المسائل الفقهية يكفر منكر الضروري منها(٢) كالصلاة والزكاة ، وحرمة الزنا وشرب الخمر ، وقتل النفس والربا

(١) هذه الجملة مما زاده الشيخ الأكبر في خطابه ولم يكن مكتوبا فيه ولكننا سمعناه منه

(٢) المنار : المراد من الضروري المعلوم من الدين بالضرورة لا الضروري فى العمل أي الذي يضطر الناس إلى العمل به ، واشترطوا فى هذا المعلوم بالضرورة مكفراً أن يكون مجمعا عليه ، وهو يشمل العقائد والاحكام ولعل الشيخ الاكبر خص المسائل الفقهية بالذكر لأجل التفصيل الذي ذكره بعدها

أما إنكار أن الاجماع حجة ، وخبر الواحد حجة ، والقياس حجة ، فلا يوجب الكفر ، وما عدا ذلك من المسائل الفقهية لا إثم في إنكاره مطلقا ، على شرط أن يكون الانكار غير مصادم لنص أو إجماع

على هذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم ، وأجمع عليه الائمة ، ولم يعرف أن بعضهم أثّم بعضا

واجمال القول أنه مادام المسلم في دائرة القرآن لا يكذب شيئا منه ، ولا يكذب ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم بطرق قاطعة ، فهو مسلم لا يحل لأحد أن يتهمه بالكفر

عرضت هذه النصيحة لانها تسهل على أهل الازهر معاشرة الناس، والعمل بها يمكن من نشر الدعوة ومن الجدل بطرقه المقبولة ، والعمل على خلافها منفر يحدث الشقاق ويورث العداوة

أسأل الله أن يهبنا رشداً ، وأن يملأ قلوبنا خشية وهيبة من جلاله ، ويملأها عطفا وشفقة ورحمة لعباده

وإذا كانت مهمة الازهر حمل رسالة الاسلام للعالم، فمن أول واجب على أهله أن يعدوا أنفسهم لتعلم اللغات : لغات الامم الاسلامية وغير الامم الاسلامية ، والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم

فليحقق الازهر القدوة، وليرسل الى الناس رسلا يفقهونهم في دينهم بلسانهم. وسأعنى بهذه المسألة كما أعنى بتثقيف اخواننا الذين أسماهم القانون «أغرابا» فان لهم من الحقوق والحرية في هذا الوطن ما لكل فرد من أهل البلاد . وأرجو أن يفكروا طويلا فيما يفرضه عليهم دينهم من الهداية والارشاد وإسعاد المجتمع

وخليق بنا أن نذكر ما لحضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم من منن وأياد بيضاء على المعاهد الدينية ، وأن نسأل الله جلت قدرته أن يسبغ عليه نعمة العافية ويديم على هذه المعاهد خيره وبره ، وأن يحفظ حضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي عهده المحبوب . والسلام عليكم ورحمة الله .

الهمزية، في مدح خير البرية

﴿ والدفاع عن الدين ، والرد على المبشرين ﴾

(نظمت بمناسبة احتفال الأمة الاسلامية بالمولد الشريف لعام ١٣٥٤)

بقلم (الاديب الشاعر) اليوزباشي محمد توفيق علي

النور المحمدي ـ الشريعة السمحة ـ تحريم الخمر ـ نجاسة الكلب والخنزير ـ حكمة الطلاق ـ حكمة تعدد الزوجات ـ تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام (ص) ـ المبشرون بعيسى (ص) ـ نقائض معقدة ـ مقارنة بين معجزات المسيح ومعجزات غيره من الانبياء والرسل ـ وجوب توحيد الخالق جل وعلا ـ التجاء الناظم اليه تعالى

﴿ النور المحمدي ﴾

ذلك النور ساطعاً والضياء ... وصفه عنه يقصُر البلغاء

نورُ مَن سبح الحصى في يديه ... وجرى منهما وفاض الماء

أكمل الخلق صورة يبدع اللـ ... ـه تعالى من نوره ما يشاء

مرسل جاوز السموات سبعاً ... واليه تناهت العلياء

وارتقى حيث لا ملائكة اللـ ... ـه تعالى ارتقت ولا الانبياء

صاعداً في معارج القرب يحدو ... ه السنا ضافيا ويغشى البهاء

ذو مُحيا يصبو له البدر عشقا ... وله تنتمي ضياء ذكاء

رحمة كله وعلم وحلم ... ووقار ونجدة وسخاء

مثل من أنجبت (كريمة وهب) ... لم تلد عاقر ولا عذراء

﴿ الشريعة السمحة ﴾

ذو أتى بالنعيم ذكراً حكيما ... فاذا الارض جنة والسماء

وحيه للعقول رَوح وريحا ... ن وفيه من كل داء شفاء

آية منه تعجز الانس والجـ ـن ولو أن كلهم فصحاء
لم يكذب موسى وعيسى، وبغياً كذبته الشرور والاهواء
كيف تأتي على الشرائع آيا ت وضاء وسمحة غراء
وكتاب مفصل عربي؟ ليس يرضى بذلك البخلاء
كلما يرتقي الزمان يرى الخيـ ـر أفاضته ملة سمحاء
سكبت صفوة الشرائع في كا س بها ترتوي العقول الظماء

(الخمر)

واشهد اليوم ضجة تنكر الخمـ ـر وكأسا عنها سلا الندماء
بؤرة الشر والجرائر والآ ثام، أفتى بذلك الحكماء
رب بيت أقامت الخمر فيه أجفلت عن رواقه السراء
فالعقول اشتكت الى الله منها والكلى والكبود والاحشاء
حرمتها دهراً حكومة أمريـ ـكا ونادى برجسها الفضلاء
ثم عادت تلغي أوامرها بعـ ـد اهتداء وضلت الآراء
وسيأتي يوم قريب تزول الـ ـخمر فيه وتصرع الفحشاء
ويرى الناس أن شرع أبي القا سم خير ونعمة وهناء

(الكلاب والخنازير)

أثبت الطب فضل شرعك والجـ ـهر والباحثون والعلماء
فلعاب الكلاب سم زعاف ولحام الخنزير داء عياء(١)

---

(١) انتشر إنشاء المستشفيات للمعالجة من داء الكلب وأثبت العلم وجود ديدان سامة في لحم الخنزير لا تقتلها درجة الغليان

(الطلاق)

واشتراع الطلاق أصبح في الـ دنيا مباحا يقره الفقهاء
عانقته كرها محاكم أوربا ونادى بنفعه الاذكياء
كيف عيش الزوجين خانهما الـ حب ولج الاذى وحال الصفاء
أعدوان يقرنان بحبل ؟ حالة لا يطيقها السجناء

(تعدد الزوجات)

(جنسهن اللطيف) يزداد عداً ذلكم مايقوله الاحصاء[1]
غـدا اليوم الاجتماع مريضا واعتناق الزوجات فيه الدواء
ليس في غيرة النساء من المحـ ظور ما تستثيره البأساء
كيف تقوى فضلى على عنت الدهـ ر وما قد يجره الإغواء
فتراهن من ثلاث ومثنى ورباع شعارهن الاخاء
ثمن العدل بينهن وفاق والمساواة ألفة وهناء
وهو فرض على المعدد لا يقـ وى على حمل ثقله الضعفاء
إن في رفق شرع أحمد بالأنـ ثى لفضلا يجله الشرفاء
وقديما حمى الضعاف ونجا هن مما يخفنه الاقوياء

(تبشير الانجيل والتوراة بنبي الاسلام ﷺ)

عظمت تلكمو الاناجيل والتو راة لولا تقول واجتراء
أي عهد — لكنهم ضيعوه إنما يحفظ العهود الوفاء

(١) ومن ذلك الاحصاء ماجاء بالصفحة السابعة بالعمود الخامس من جريدة الاهرام الغراء الصادرة في ٣-٥-١٩٣٥ تحت عنوان (النساء كثيرات) من أنه يوجد في ألمانيا وحدها مليونان ومائتا ألف امرأة زيادة عما فيها من الرجال

بدلوا الوحي والرسالة إطفا ء لنور ما إن له إطفاء
شهد الصادق المسيح عليهم في الاناجيل أنهم أشقياء
في ثياب الحملان منهم ذئاب خاطفات فما همو أنبياء
فاحذروهم وإن أتوا بالاعا جيب فليسوا مني وهم أدعياء
لست أرضى من قال يارب منهم لي ولكن يرضيني الحنفاء
ذلكم ما رواه إنجيل «متى» فليراجع نصوصه القراء(*)

المبشرون بعيسى (ص)

عجباً للمبشرين بعيسى أمة دينها الهدى والصفاء
بعد ما بشر المسيح بهادي ها كما بشرت به الانبياء
فهو (نور الحق) الذي لفت النا س إليه المسيح وهو (العزاء)
وليراجع من شاء انجيل (يوحنا) ففيه للباحثين الرضاء (١)

---

*) جاء بالاصحاح السابع من إنجيل متى عدد ١٥ و٢١ و٢٢ و٢٣ قول المسيح «احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان لكنهم من داخل ذئاب خاطفة . ليس من يقول لي يارب يدخل ملكوت السماء بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط ، اذهبوا عني يافاعلي الاثم

(١) ورد بالاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا بالآيتين ٢٦ و ٢٧ قول المسيح عليه السلام - ومتى جاء (المعزي) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب (روح الحق) الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء - وجاء بالاصحاح السادس عشر منه بالآية ٦ قوله عليه السلام - لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم (المعزي) - وبالآيتين ١٣ و ١٤ وأما متى جاء ذاك (روح الحق) فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به

وهو ذاك النبي يُسأل في الانـ جيل عنه يحيى فأين الخفاء (١)
فلقد بشرت ببعثته التو راة لولا جحودهم والمراء
فهو ذو من (جبال فاران) مبعو ث ومن تلكم الجبال [حراء] (٢)
أينع الوحي وازدهى في ذراه وتغنى فأطرب الانشاء
وتجلى على البسيطة نور وكسا الكون رونق ورُواء
حكمٌ حين أنزلت ختم الوحـ ـي وتمت على الورى النعماء
وطوت معجزات كل رسول ولها الخلد وحدها والبقاء

نقائض معقدة

يا لها من نقائض تحرج الفهـ ـم عليها لبسٌ وفيها التواء
واعتقاد معقد ذنب الضب لديه محجة واستواء
يُصلَب الربُّ في خطيئة عبد كيف يرضى بذلك العقلاء
لم لم يغفر الخطيئة غفرا نا له فيه عزة وإباء
إن يكن ربكم فمن كان يدعو ربه وهو خاشع بكاء
إله في وجهه يبصق الأشـ ـرار هزؤا ويزدرى ويساء
لم لم يقطع اليهود أبوه كيف تنسى حنوها الآباء

(١و٢) يحيي بن زكريا عليهما السلام وهو المعروف في الانجيل باسم يوحنا المعمدان فانه لما جاء قومه كما هو مذكور بانجيل يوحنا بالاصحاح الأول بالآيات ١٩و٢٠ و٢١و٢٢ وسألوه آنت النبي أجاب نفيا وهذا نص الآيات سالفة الذكر-١٩ وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح ٢١ فسألوه إذاً ماذا . إيليا أنت؟ فقال لست أنا - النبي أنت فأجاب لا - وإذاً فقد كانوا يترقبون بعثة النبي (ص) وذلك لما هو مذكور عندهم بالتوراة من أنه يبعث رسول من جبال فاران وهي جبال بمكة منها جبل حراء الذي مازال ينقطع فيه (ص) للعبادة إلى أن أوحي اليه

وبكم باع ذا الجلال يهوذا واشترى منه ربه الاعداء
(أثلاثون فضـة) ثمن الله ؟ تخطاه بيعهم والشراء
بل أحبوك مسرفين وغالوا في ولاء هُداك منه براء

مقارنة بين معجزات المسيح وغيره من الانبياء (ع.م)

أم لأن المسيح قد أنجبته ذات طهر صديقة عذراء
مثله آدم فهل كان ربا آدم ؟ أو إلهة حواء؟
أم لأن المسيح أحيا فتاة إذ دعا الله فاستجيب الدعاء
حزقيال النبي أنشر جيشا عاث فيه البلى وجال الفناء[1]
أم مشى فوق لجة يتهادى فارعوى خاشعاً وقرّ الماء
فالعصا قد علمتم انفلق البحر لموسى بها وحل القضاء[2]
وله البينات والجبل المنتوق والمن واليد البيضاء
ولخير الورى المكمل صلى الله والمتقون والاصـفياء
معجزات ما ان يلم بها الحصر ولا يستطيعها استقصاء
نصرته الرياح والرعب في (الخندق) حتى تشـتت الحلفاء[3]
وتراءى جبريل يسطع في (بدر) تليـه كتيبة شـهباء
وله الجذع حن والقمر انشق وظهر البراق والاسراء
ومشت أيكة إليه دعاها تسحب الجذع غضة خضراء
ولكم سح إذ دعا ربه الغيث ولانت لواطئه صفواء (٤)

«١» من أنبياء بني اسرائيل وقصته مبسوطة في سفره من العهد القديم وليس بثابت عندنا «٢» المنتوق المرفوع «٣» الحلفاء قريش وغطفان ويهود «٤» الصفواء الصخرة الملساء

ماله إن مشى على الارض ظل ساطع النور ماله أفياء(١)
وظلاته بل منه ظللت الشمس لزاما غمامة وطفاء(٢)
كم دعا الله والغداء قليل فنما واستفاض ذاك الغداء

﴿وجوب توحيد الخالق جل وعلا﴾

آن للارض أن تقدس ربا واحد الذات ماله أجزاء
آدم عنده ونوح وموسى والمسيح الذي تجل سواء
وغني عن العباد جميعا ما له زوجة ولا أبناء
وله الخلق أجمعون عبيد وله المجد كله والبهاء
ورءوس الطغاة موطىء نعليه(٣) وتلك الجلالة القعساء
ملأ الكائنات حسنا ولكن لا ترى الشمس مقلة عمياء
فهو نور سطا على كل نور خفيت في ظهوره الاشياء
تتلاشى الشموس فيه وتخبو وتغيب البروج والاضواء

***

أيها المشرك المعدد وحد ان قول المعددين هراء
لو مع الله في السموات والار ض شريك لقامت الشحناء
بل هو الله واحد ماله في الملك ثان ولا له أكفاء

***

أيها الجاحد المعطل صدق لا يكن من هداتك الاغبياء
وانظر الارض والسماء وفكر هل بلا صانع يقوم البناء؟

---

(١) الأفياء الظلال (٢) الوطفاء المسترخية الجوانب لكثرة مائها
(٣) المنار: هذا كناية عن قهره تعالى لهم وهو تعبير يتوقف على النص ولم يرد ولكن ورد لفظ (القدم) في قهر جهنم

انما الارض ذرة في رحيب الـ ـملك فالملك شاسع والفضاء
فاعبد الله لست شيئا ولا تكـ ـفر وتذهب بلبك الخيلاء
أنت رد على جحودك قاض فصلته العروق والاعضاء

التجاء الناظم إليه تعالى

ما الذي تبلغ النوائب مني يامليكي ولي اليك التجاء
أنت درعي وأنت سيفي ورمحي ونبالي وعسكري واللواء
لا أبالي وذو الجلال نصيري أن خصمي الملوك والوزراء
لست بالاقوياء أحفل لكن إن شكاني لمدلك الضعفاء
لك يارب بطشة إن تعاقب عندها الارض والسماء هباء
إن تكن غاضباً عليّ تعاليـ ـت فلا ناصر ولا شفعاء
عملي سيء وظلمي لنفسي ولغيري تضج منه السماء
أستحق الصليَ في النار لكن لي في عفوك الكريم رجاء
ليس مثلي لجنة الخلد أهلا كيف ترنو لمذنب حوراء
ذلك الفضل في غنى عن طلوحي انما يستحقه الصلحاء
رب نعمى على جحود تولت ما لنعمى على جحود بقاء
كيف آسى على سرور تولى ويسار أودت به ضراء
إن من كنت كنزه وغناه يستوي الضيق عنده والرخاء
ليست الكيمياء منا بعيدا انما حمد ربنا الكيمياء
لست أخشى ضلالة ولقلبي بسنا وجهك الكريم اهتداء
فاهدنا للفلاح والخير والتقـ ـوى فمنك الهدى ومنك الحباء
واحمنا في بلادنا من أوربا سيلها جارف ونحن الغُثاء

(انتهى)

كتاب الوحي المحمدي

لداعية الاصلاح العالم المستقل ، والمناظر المستدل ، الاستاذ الشيخ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان بأسيوط وهو مما جاءنا بعد الطبعة الثانية (قال)

نظر أبو العلاء المعري إلى نفسه فرآها وقد صفت ونجت من مزالق معظم النفوس وأدرك عقله نقيا من الخرافات والاوهام التي أضلت العقول، وألفى روحه غنية بالفلسفة الصحيحة التي ترى في المادة ستاراً كثيفا يسدل على الحقائق، ووجد شاعريته فياضة بأرق المعاني ، في أدق الالفاظ والمباني، فهتف من أعماق قلبه منشداً

وإني وإن كنت الاخير زمانه　　　لآت بما لم تسطعه الاوائل

ونحن بدورنا ننظر إلى نفس السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فنراها وقد أشربت حب الدين الاسلامي الحنيف والدفاع عنه إشرابا، ونرى عقله وقد أدرك أسرار الاسلام إدراكا، ونلفي روحه صافية تقية نقية قد أنجبت أسمى الآثار إنجابا ، ونسبح في مؤلفاته فنعلمه الطود الأشم والفارس المجلى ، والمحقق النادر المثال ، والكاتب المبخوت الذي لا يشق له غبار ، ثم نقع في سياحتنا على كتابه (الوحي المحمدي) فنقف طويلا ونهتف مثل ما هتف المعري منشدين مخاطبين السيد الرشيد المرشد :

وأنت وإن كنت الاخير زمانه　　　أتيت بما لم تستطعه الاوائل

ولقد كنا نؤمن بأن الله تعالى أوحي الى عبده ورسوله ﷺ ما أوحى ، مستدلين بنصوص القرآن الكريم وببعض البراهين العقلية التي تخير (؟) الوحي الى النفوس الصافية الراقية ، ولكنا ما كنا قادرين أن نقنع بهذا ذوي العقول العصرية ، وأولي البحوث الدقيقة القوية، فاذا دار النقاش بيننا وبين فريق من هؤلاء لم يعجبهم كثيراً ما ندلي به ، وألقوا في سبيلنا عقابا ، وافتجروا (١) حفراً وأقاموا متاريس،

(١) افتجر الكلام اختلقه لم يتبع به احدا ولم يتابعه عليه أحد. فلعل الاصل: فتجروا شبها ، واحتفروا حفرا

وغرسوا أشواكا ، فتنتهي المناظرة ولا اقتناع ولا رضاء ، وينشر عنا العجز عن بيان وجه الحق في هذه المسألة مع أهميتها ونفاستها ونفعها العظيم إذا أحسن تبيانها ، وأتقن توجيهها وعرضها على طالبيها ، فكان كتاب (الوحي المحمدي) للسيد الشريف والمصلح الكبير ، أستاذنا محمد رشيد رضا صاحب المنار وافيا بالمطلب على أتم وجوهه ، كافيا في الاقناع لأكبر متشبث متعنت ، حجة صادقة لا تدفع على صحة الوحي الرباني لرسول الله ﷺ سيد العالمين ، وخاتم الانبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

يرى القارىء الوحي المحمدي مقدمة وجيزة بديعة تجمل الكتاب وتبرز مغزاه في صورة مستملحة جزلة طيبة ، يعلم منها ما يحجب الافرنج عن الاسلام : من الكنائس المعادية ، والسياسية الخادعة ، وحال المسلمين الواهية ، وما يعوق الاجانب عن فهم القرآن : من جهل بلاغته ، وقصور ترجمات القرآن عن ادراك غايته ، وعدم وجود دولة اسلامية تدافع عن هدايته ، ويفهم منها القصد من الكتاب على أتم وجه من وجوه الصواب . ويجول القاريء بعد ذلك في جنة الكتاب الغناء فيعرف معنى النبوة والوحي والرسالة وحاجة الناس اليها ، ويدرك عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومقدار ما جنت عليها كتب السابقين بما يجري على الشرور والمفاسد ، ويتيقن وجوب ايمان الناس برسول الله ﷺ فاتباعه هو الدواء الناجع لأدواء الهيئة الاجتماعية . وينتقل القاري من شجرة النبوة الوارفة الظلال إلى أن نبوة الرسول ﷺ هي الممتازة ، فنبوة الانبياء الأسرائيلين كانت — على قولهم — أشبه بصناعة تتلقى في مدارس خاصة ، ونبوة موسى الكليم عليه السلام قد ينكرها الملاحدة لانه تربى في بيت فرعون وهو بيت علم وتشريع ، فلا عجب اذا جاء بشريعة كالتوراة . ونبوة المسيح عليه السلام يعقب عليها الملاحدة أيضا فينقصون قدرها ويغضون من قيمتها ، ويقولون إنه لم يأت بشيء جديد . وأما نبوة الرسول ﷺ فلا يمكن الطعن عليها بمثل هذا لان سيدنا محمداً ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يتصل ببيئة علم أو شريعة ، فمجيئه بهذا الدين دليل صدقه وحقيقة رسالته . والحقيقة أن نبوة الرسول ﷺ مثبتة لغيرها من النبوات لا تصح إلا من طريقها ومشكاة نورها .

ويمتلىء القاري، بعد هذا علما وتحقيقا حين يقرأ الفصول البليغة عن الادلة العقلية والكونية على صدق الوحي المحمدي الالهي فيطمئن قلبه وتستريح نفسه، وينشرح صدره :ويشكر لله توفيق السيد رشيد حتى ألف هذا الكتاب الذي أنار طريق الوحي بآلاف المصابيح الكهربائية العاطمه القوية . ثم يرتوي القاري، من نهر فياض عذب صاف يجري منه التحقيق ذهبيا، عسجديا، فيعرف مقاصد القرآن الكريم وهدايته للبشر وإظهار الحق في الايمان بالله تعالى وفي عقيدة البعث والجزاء ويلمس الاصلاح القرآني العظيم للنفس والروح والجسد والافراد والجماعات ، والنهضة التي أزجاها في الدولة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب وحياة الاسرة . فاذا انتهى من الكتاب خرج منه بكنز ثمين من العلم الصحيح النقي ، وانتقل الى جو من السعادة فسبح بما وصل إليه من هدوء في نفسه واطمئنان في قلبه، واقتناع في عقله يملك نفسه أن يصيح : حياك الله أيها السيد الرشيد لقد سدت باصلاحك ، ورشدت بمباحثك القيمة الدالة على اشراق نور الحق في قلبك، فهنيئا لك عملك ، ومشكور لك سعيك

ولقد استوعبت كتاب الوحي المحمدي وهمت باغترافه وارتشافه عدة مرات فرأيته رحيقا من العلم مختوما ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . وأنا أشهد صادقا أن السيد أدى بكتابه إلى العالم الاسلامي أجل الخدمات، وعبّد للباحثين من الغربيين والعصريين منهج البحث الهادي، الوزين ، القوي المبين ، وأسقط حجج الذين كانوا يحتجون بأنهم غير واجدين من يقدم لهم المطالب سائغة ميسورة . وسيكون له ان شاء الله أثر جليل في توجيه المباحث الدينية وجهة طيبة في صالح الاسلام ومستقبله العتيد باذن الله . ولقد ظهر اخلاص السيد في كتابه فطبع مرتين في أشهر وأقبل عليه الشرق والغرب وترجم الى عدة لغات . أدام الله نفعه، ونشر شذاه وعرفه ، وأطال عمر السيد ليتحف العالم الاسلامي بدرره الغالية وتحقيقاته السامية انه أكرم مسئول وعلى كل شيء قدير مصطفى أحمد الرفاعي اللبان .

(المؤلف) ذات المقرظ الكلام في دعوة علماء شعوب الحضارة الى الاسلام وتحديهم بمعجزات القرآن

﴿ الوحى المحمدى ﴾

بقلم الاستاذ العلامة المتكلم الفقيه الكاتب النظار ابراهيم إطفيش الميزابى الجزائري

أجل كتاب في علوم القرآن، وأفخم سفر في جلال القرآن، ومعجزة من معجزات القرآن. كتاب (الوحي المحمدي) طالع أيها المعتز بالقرآن، وياطالب منهاج الهداية المحمدية هذا السفر الجليل تر أبدع مؤلف وأسنى ما جاء به القرآن من هداية البشر أجمعين، إن (الوحي المحمدي) علم وفق الله اليه مؤلفه العلامة الجليل السيد رشيد رضا، علم مستخرج من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لقد كتب في علوم القرآن كتب كثيرة ولكنها لم تبلغ أن تأتي بما جاء في الوحي المحمدي حتى أصبح هذا الكتاب آية في الابداع، وغاية في كشف معاني الكتاب المنزل على قلب محمد ﷺ. فيه الحجة على البشر أجمعين، إن القرآن يدعوهم إلى الانضواء تحت لوائه، ضامنا لهم كمال السعادة، والشمول بالنعم الرحمانية وجلال العزة، إن هم أخذوا بما جاء به من عند الله الرحمن الرحيم. كشف هذا الكتاب مناهج السعادة للأمم، وسبل الهداية الشاملة لطبقات البشر وأجناسه، حتى أصبح علما برأسه، يجب أن يعتنى بتدريسه بين الفنون العالية لتخريج رجال عالميين في الهداية إلى شريعة الله التي أكملها وأتم بها نعمته على خلقه

لقد أخرج المصنف هذا الكتاب للامم، وهو أحسن ما أخرج للناس من جهود العلماء، فلا ريب أن العلماء في جميع الامم ستتلقاه بالقبول وسيترجم إلى جميع اللغات، لانه هو الكتاب الذي تنشده اليوم العقول السليمة في كل الشعوب وسيهتدي بهداه من أراد الله له السعادة من بين أولئك العقلاء الذين يسعون وراء الحق لانه الحق، ويدركون أن القرآن كتاب من عند الله هدى وبشرى لأولي الالباب، لا سعادة للبشر إلا به، ولا سلام إلا باتباع هديه

ولعلي أكون قد أديت واجبا إذا لاحظت للمؤلف الجليل أن يعيد النظر في مسألة الرقيق فان الاسلام جعلها حكما مستمراً لما فيه من حكمة اجتماعية، ولم يوجد وضعاً لابطال الرقيق بالتدريج السريع ولكن الرقيق يبطل بطبيعته إذا دخل كافة الشعوب في الهداية الربانية فوحدوه وعبدوه واتبعوا النور الذي أنزل على محمد ﷺ وعلى آله

(أول كتاب من حضرة صاحب السعادة هارون سليم باشا أبو سحلي)

(مدير المنوفية في ذلك العهد)

سيدي الاستاذ الاجل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلني كتاب الوحي المحمدي الطبعة الثانية يوم سفري في رحلة بحرية إلى مرسيليا وكانت فرصة لمطالعته كله وقد خرجت منه بأنه خير ما أخرج للناس في موضوعه وقد أعطيت التعليمات لمجلس المديرية لطلب ٦٦ نسخة ليكون في كل مدرسة أولية وابتدائية نسخة ولما كان واجبُ كل مسلم نشر هذا الكتاب بأوسع ما يمكن أرجو أن ترسلوا باسمي ٣٠٠ ثلثمائة نسخة على محطة شبين الكوم لتوزيعها، وثمنها ٣٠ جنيه حسب البيان الوارد في كتابكم نرسلها عند إتمام التوزيع. وأختم كتابي هذا بتوجيه واجب الشكر لكم لتلقاء هذا المجهود العظيم المضي، واني في انتظار الجزء الثاني ولكم وافر التحية من المخلص في ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٤ هارون سليم

(المؤلف) ان هارون باشا هذا من خير رجال حكومتنا عناية بالدين علما وعملا، بل لا نعرف له في رجال الادارة مثلا، وقد طلب منا بعد ما تقدم مائتي نسخة ثم ارسل ثمنها، ولما كان المعهود من امثاله رجال الادارة أن يوزعوا على وجهاء مديرياتهم كثيرا من الكتب غير النافعة محاباة لاصحابها فيقبلها الوجهاء ارضاء المدير على كراهة موضوعها وغلاء أثمانها، وكان يعلم أن مثلي ينكر ذلك عليهم ـ كتب إلي انه لم يتبع سنتهم وإنما بين للوجهاء موضوع الكتاب في إقامة حجة الدين وبيان حقيقته وانه يعتقد أن قراءته واجبة عليهم وعلى أولادهم ولا سيما تلاميذ المدارس ويخيرهم، وأني إذا شئت كتب الي اسماء من اشتروه لا سألهم، فكتبت اليه لا إنكار على من يدعو الى الله فيما يتخذ من حض الناس على معرفة عقيدتهم واصول دينهم، فانه يصدق على هؤلاء ما صح في حديث من « يقادون الى الجنة بالسلاسل » ثم اتفق ان رأيت نقيب الاشراف المنوفية بمصر فأخبرني مسلك المدير في الترغيب في الكتاب وكيف تلقوه بالقبول شاكرين

(تقريظ جريدة حضارة السودان)

أهدتنا إدارة مجلة المنار الغراء كتاب (الوحي المحمدي) الذي ألفه العلامة المحقق مصباح الاسلام السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الغراء

وقد جاءت مباحث هذا الكتاب كسائر مباحث مؤلفه الثمينة سواء في تفسيره القرآن الكريم أو في مباحث مجلة « المنار » نوراً وهدى للناس في تبيان حقائق الدين الاسلامى فهو بلا ريب فتح جديد في الدعوة الى هذا الدين الحنيف القويم، وقد تمكن مؤلفه وهو ذلك العبقرى الديني الذي سيط دين الاسلام بلحمه ودمه من أن يوفق بين الدين والعلم بطريقة يعجز غيره عن الاتيان بها، فالرجل عالم قوي الايمان وناهيك ما تنتجه قوة الايمان اذا توافر معها العلم، والكتاب نفدت نسخ طبعته الاولى قبل أن يحول الحول على طبعها لتهافت العوالم الاسلامية على النهل والعلل من مورده العذب، وقد صدر طبعته الثانية بمقدمة استغرقت عشرة مباحث هي وحدها تعد كتابا، ثم اتى بعدها بفاتحة لها قد اشتملت على اربع مسائل، ثم انتقل الي الفصل الاول وهو يشمل ست مسائل، فالفصل الثاني وفيه عشرة مسائل فالفصل الثالث وقد اشتمل على ١٧ مبحثا فالرابع وقد اشتمل على ستة مباحث فالفصل الخامس وقد اشتمل على ٧٥ مبحثا . وما من مبحث من هذه المباحث يمر عليه المطلع الا ويشعر أنه في أشد الحاجة الى تفهمه من الوجهتين الدينية والمدنية

وقد ذيلت طبعته الثانية بنحو ٢٣ تقريظا في مقدمتها تقريظا العاهلين العربيين ملكي الاسلام، الامام يحيي حميد الدين إمام اليمن وصاحب العظمة السلطان عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد، في كتابين موجهين من لدنهما الى المؤلف، وتقريظ صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي المصلح الاسلامي الكبير المعروف لدي سكان هذه البلاد، وتقريظ أمير البيان المشهور الامير شكيب أرسلان، وغيرهم من الائمة الاعلام ورجال العلم والدين

وإنا لنرى أن هذا السفر واجب على كل مسلم وجوبا عينيا ان يطلع عليه وان يتفهمه ليتذوق منه حلاوة الاسلام ويرى بمرآته بهجة القرآن ونوره ساطعا يهدي الى سواء السبيل

عن حضارة السودان بتاريخ ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٣٤

(كتاب للفاضل الغيور الشيخ محمد عثمان في إلدورت - غنيا)

﴿بسم الله﴾

حجة الله على العالمين فضيلة الاستاذ الأفخم، والمصلح الأعظم، السيد محمد رشيد رضا المجدد لدين الله والناشر لوحيه، أمد الله له في الحياة منصوراً، ولا زال لاعلاء كلمة الله ظهيراً. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرفع لفضيلتكم بأنه وافاني كتابكم الوحي المحمدي فخررت ساجداً لله شكراً عندما ظهر لي انتصار نوره الساطع، المنذر من لا يؤمن به بعذاب واقع، ما له من دافع، وكم كان فرحي عظيما، وسروري جسيما، لا أستطيع أن أشرحهما، فتلوته مراراً وكلما كررته ازداد شغفي حبا لتلاوة كتاب الله وتدبر معانيه، وزادني همة ونشاطا في تبليغه إلى أبناء وطني المهاجرين، وحضهم على نشر الدين في هذه المستعمرة وأحيائها التي تقلص منها ظل الاسلام السائد سابقا، وتهدمت فيها لغة القرآن، وتقوض منها مجد الاسلام العربي الزاهر، في العصر الغابر، بسبب تفريط مسلميه في نصرته وركونهم إلى التوسل بأصحاب القبور والتقرب اليهم بالقرابين والنذور، والآن بفضل الله وإرشاد مناركم الأغر، شرعت تتلاشى البدع والخرافات، وتضمحل العقائد الفاسدة في أبناء الناطقين بالضاد.

نعم يا صاحب الفضيلة لقد أرهقتمونا بنعمكم الروحية، وتعاليمكم الدينية، التي أخرستنا حيرة بأي لسان نقدم شكرا، وجوارحنا وإحساساتنا كلها ألسنة شكر، يا ليت شعري كيف أشكر، ويا ويح قلبي كيف أثني وأحمد بعد أن أثنت عليكم نجوم الهدى، وكواكب الارشاد، وشموس البلاغة، وأعلام الاسلام، وأرباب الاقلام، وأمراء البيان، ولا يسعني والضعفاء إلا الدعاء لكم بما يحبه الله ويرضاه، وأن أهنئكم بأصدق التهاني على نجاحكم الباهر في هذه المساعي الجليلة للاسلام وأهله التي سيشتاقها كل سيد، ويقصر عن إدراكها المتناول، لا سيما إبرازكم لهذا الوحي المحمدي

المقدس أمام الاديان والملل نقيا من الخرافات والبدع التي ألصقها به علماء السوء المبتدعون، وكن عليه حجابا من اهتداء العقلاء ومفكري الامم الراقية بهديه المبين، ووسائل لمطاعن الملحدين، ومثالب المكذبين، ولما مزقت هذه الحجب الجسام ببيانك، ودمغت حججهم ببلاغته السماوية، انقلبوا على أعقابهم خاسئين، بتحدي آياته الكونية وعجائبه العصرية، ومعجزاته السرمدية. فأخرست أفواههم عن الجدال، وبهرت أعينهم عن الاحتقار، ودككت عقائدهم عن النضال، حتى آمنت القلوب، ولكن الالسنة والافواه بآيات الله يجحدون الخ

﴿ كلمة الاستاذ العلامة النقادة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي ﴾

من علماء جامع الزيتونة الاعلام من كتاب طويل له في رمضان سنة ١٣٥٣

وكنت في أثناء هذه المدة أطالع مناركم المنير، وما يتخلف عني من أعداده أشتريه من إحدى المكتبات، وكان فيما قرأت من مباحث التفسير ما كتبتم عن الوحي المحمدي، فحمدت الله أن كان في علماء المسلمين في هذا العصر مثلكم، وكنت أقول: لو قرأ هذا منكرو الرسالة المحمدية بانصاف وفهموه حق فهمه لآمنوا بسيدنا محمد ﷺ كلهم أجمعون.

وقد كنت قرأته في المنار متفرقا، ثم أعدت قراءته متصلا في الجزء الحادي عشر من التفسير، فجزاكم الله أفضل ما جزى به خادما لدينه، وبارك في عمركم تخرجون للناس أمثاله، فتكون كلمة الحق هي العليا، وكلمة الباطل هي السفلى

وما أنكرت فيه إلا كلمات في آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام أذكر أنني رأيت مثلها في إحدى مقالاتكم في (شبهات النصارى وحجج الاسلام) اه

قد اختصرت في هذه الطبعة الثالثة أكثر التقاريظ التي نشرت فيما قبلها وحذفت بعضها لطولها وما فيها من التكرار ونقل بعض مسائل الكتاب للتنويه بها أو مشاركة أصحابها لنا فيها، وبهذا وجدنا مكانا لغيرها، ولم نتصرف بشيء من ذلك بزيادة ما ولا باختصار يغير المعنى

﴿ حكمة نشر هذه التقاريظ ﴾

(ختمت بها تقاريظ الطبعة الثالثة)

الغرض من نشر هذه التقاريظ إعلام قراء الكتاب من غير المسلمين (ومن الجامدين على تقليد المتقدمين منهم الذين إذا رأوا كتابا في الدين لمؤلف عصري أعرضوا عنه ولم يقرءوه لظنهم أن الاحياء لا يوثق بعلمهم) أن ما فيه من أصول الاسلام وحكمته متفق عليه ليس رأيا مني فيه ، وإن كان فيه مالا يوجد في غيره

ذلك بأن الاحرار المستقلي الفكر منهم يقيسون دين الاسلام على غيره من الاديان فيظنون أنه أكثر عقائده وأصوله مسلمات غير متفقة مع العقل والعلم الصحيح والمصالح العامة ويظنون أن مايسمعون من حكماء المسلمين موافقا لذلك هو رأي لهم ، كما قال بعضهم في رسالة التوحيد للاستاذ الامام إنها فلسفة الشيخ محمد عبده سماها اسلاما ، وقال لي مستر متشل انس الانكليزي الذي كان وكيلا للمالية بمصر مرارا عند ماكنت أشرح له بعض أصول الاسلام وحكمته : هذا فلسفة لا دين ، حتى قال لي مرة اذا كان علماء الازهر يوافقونك ويوافقون الشيخ محمد عبده على ماتقولون فأنا أعلن أني مسلم .

وهذا كتاب فيه من حكم الاسلام في أهم أصوله وفروعه أكثر مما في رسالة التوحيد ومما كان يسمعه مني متشل انس وأمثاله ، وفيه من شواهد القرآن مالا يمكن أن يقال معها إنه من رأيي ، وقد اتفق على الشهادة له العلماء والادباء والكتاب في الاقطار ومن جميع الطبقات وفي مقدمتهم شيخ الازهر بما هو صريح في تفضيله على جميع الكتب في موضوعه (إثبات الوحي والنبوة وإعجاز القرآن وأصول الاسلام الدينية والمدنية) وسيرون من فائدته في دعوة غير المسلمين الى الاسلام وفي تثبيت المسلمين في دينهم ما هو فوق ذلك إن شاء الله تعالى ، ولله الفضل والمنة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وصلوات الله وسلامه على رسوله محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه الهادين المهديين ، وجميع المهتدين بهديه إلى يوم الدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

كتاب حياة محمد (ص)

﴿ الحكم بين المختلفين فيه ﴾

(٢)

(المنكرات التسعة التي خصها الاستاذ الشيخ محمد زهران بالذكر)

أبدأ بكلام وجيز على هذه المنكرات فأبين أنه ليس فيها شيء مما عبر عنه الاستاذ الشيخ محمد زهران بصوادم الحجج القاطعة ، التي لجأ إلي لاستئصال شأفتها ببواهر البراهين الساطعة ، ثم أعود إلى مسألة أحاديث المعجزات وهي أهم وأكبر فأقول

(١) قصة أبرهة والكعبة في الصفحة ٦٤

لم أر في هذه الصفحة شيئاً يصح أن يقال انه من الالحاد ، ولا من صوادم البراهين القاطعة ، ولا مما هو من مخالفة أصول الاسلام ولا فروعه . وخلاصة مافيها ان أبرهة أجمع أمره على هدم البيت الحرام وان عبد المطلب ومن معه دعوا واستنصروا آلهتهم وانصرفوا وخلت مكة منهم ، وكان وباء الجدري قد تفشى في جيش أبرهة وفتك بهم فتكا ذريعا لم يعهد من قبل قط وأصابت العدوى أبرهة ملكهم فأمر قومه بالعودة إلى اليمن وبلغ هو صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض حتى لحق بمن مات من جيشه . قال : « وبذلك أرخ أهل مكة بعام الفيل هذا وقدسه القرآن بذكره » وذكر السورة بنصها ولم يقل في تفسيرها شيئاً ، فهما يقل فيه فهو لا يرد عليه

(٢) أسطورة شق الصدر : هكذا عنوانه ص ٧٢

أخطأ الدكتور محمد حسين هيكل أن نقل خبر هذه المسألة عن مؤلف أصل كتابه بالفرنسية وسيرة ابن هشام واعتمد على نقدهما له ، واستشكال وقوع ذلك في بني سعد إذ كان ﷺ في السنة الثالثة وكان المخبر لحليمة الخبر أخوه ابنها الرضيع للنبي ﷺ وهو في سنه

وقد أخرج هذا الحديث عنها ابن اسحاق وغيره من طريق عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب وهو لم يسمع من حليمة وإنما قال الذي أخرجوه عنه انه قال حدثت عن حليمة ولم يذكر من حدثه . وقد أخرجه ابن اسحاق من طريق نوح بن أبي مريم وهو ممن ثبت عنهم الكذب ووضع الحديث . وعبدالله بن جعفر ولد في الحبشة في عهد الهجرة اليها

وأخرج البيهقي وابن عساكر حديثا آخر عن حليمة فيه هذه المسألة مطولة مخالفة للرواية الاولى في سياقها وفي موضع وقوعها وهي التي يذكرونها في بعض قصص المولد . وهو من طريق محمد بن زكريا الغلابي وقد قال الدارقطني مخرجه عنه : انه كان يضع الحديث وصرح غيره بكذبه أيضا . فمن اطلع على هذه الروايات في تعارضها فله العذر في الطعن عليها مع استشكال متنها وكونه غير معقول

ولكن مسلماً أخرج عن أنس مايقوي معنى رواية عبدالله بن جعفر من طريق شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عنه وشيبان كان يهم اي يخطىء وحماد هذا من أثبت من روى عن ثابت ولكن ثابتا تركه البخاري وقد تغير بعد كبر سنه وساء حفظه، ويقال إن مسلما تحرى من رواية حماد عن ثابت ما سمعه منه قبل تغيره . على أن أنسًا نفسه كان بعد كبر سنه ينسى بعض ما حدث به وهو لم يرفع حديثه هذا الى النبي ﷺ

وأخرج أيضا عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه — وهو نائم بالمسجد الحرام — وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه وأخر وزاد ونقص ورواية شريك أخرجها البخاري في كتاب التوحيد برمتها وفيها ان قصة الاسراء والمعراج في جملتها ومنها شق الصدر كانت رؤيا منامية . وقد غلطوا شريكا فيها من جهات خالف فيها من هو أوثق منه

وأقوى الروايات في شق الصدر حديث الاسراء والمعراج الطويل الذي أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة — وليس لمالك غيره — وفيه ان النبي ﷺ حدث عن ليلة أسري به قال « بينما أنا في الحطيم - وربما قال في الحجر - مضطجعا إذ أتاني آت فقد - قال وسمعته يقول فشق - ما بين هذه وهذه أي وأشار الى ثغرة نحره وآخر بطنه - فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد » الخ وفي رواية شريك بن أبي نمر انه جاءه ثلاثة نفر وهو نائم وهم الذين تعاونوا على عملية شق الصدر وأشرنا اليها آنفا

فأنى للدكتور هيكل أن يحيط بهذه الروايات وأسانيدها واختلاف متونها الدال على روايتها بالمعنى في موضوع من الخوارق - ويحكم فيها بين ماحكاه عن المستشرقين وغيرهم حكما معقولا؟ ولقد كنت سئلت عنها فلخصت الروايات بأوسع مما هنا واستظهرت من مجموعها أنه تمثيل لتطهير قلب النبي ﷺ وحفظ نفسه من كل ما لا يليق به من وسوسة الشيطان والشهوات والاهواء كما تمثل له كثير من المعاني والحقائق في تلك الليلة وفي رؤاه الصادقة بصور مناسبة لمعانيها، ولعالم المثال في الكشف الروحاني شأن عظيم عند أهله . ومن المعلوم بالضرورة أن الايمان والحكمة اللذين حشيا في قلبه (ص) ليسا من المواد الجسمانية التي توضع في الطست ثم تحشى في القلب . ومن شاء التفصيل في المسألة فليراجع الفتوى ١٢ من المجلد ١٩ ص ٥٢٩ - ٥٣٧ ودونها ف ٨ ج ٤ م ٣٣

وجملة القول أن الدكتور محمد حسين هيكل لم يطلع على حديث يعتقد صحته ويعبر عنه بأنه أسطورة، فان كان مقصراً في هذا الاطلاع فليس بمليم بأكثر مما يلام أكثر علماء هذا العصر ومما تلام عليه مجلة الازهر (نور الاسلام) بما تذكره كثيراً من الاحاديث الضعيفة ، وكذا الموضوعة أحيانا . فلا يصح ان يجعل طعنا في دينه

(٣) مسألة بدء الوحي ص ٩٥

لا أدري ما الذي أنكره الاستاذ زهران من كلام الدكتور هيكل في هذه المسألة وأما أنا فانني أنكرت عليه متابعته فيها لأميل درمنغام مؤلف الاصل بما يستدل به الماديون على دعوى الوحي النفسي الذي بسطته ورددت عليه في كتاب الوحي المحمدي بالتفصيل كما أشرت إليه في مقدمة المقالة الاولى وسأعود إليه ، فانني رأيت المنكرين على كتاب هيكل والمعجبين به سواء في عدم فهم هذه المسئلة المهمة وهي اساس الدين ، ولهذا أقول إنه يجوز أن يكون مثلهم لم يفطن لكون تلك المسائل العشر شبهات يستدل بها الماديون على أن ذلك الوحي ذكاء نفسي وعمل كسبي استعد له محمد ﷺ بما زعموه من الروايات الباطلة والآراء المخترعة التي فندناها في كتاب الوحي المحمدي تفنيداً

وأنكرت عليهما مع العلم بعذرهما الاعتماد على رواية سيرة ابن هشام في مسألة بدء الوحي وما صورا به جزئياتها من التخيل الشعري الذي تعارض بعضه الروايات ، ولا شك في حسن نية هيكل فيها ومراعاته للادب الواجب ، فان كان الاستاذ زهران ينكر شيئا كتبه بعينه فعليه أن يكتبه لنا ، لا أن يكلفنا قراءة الكتاب كله والرد على كل ما أنكره هو منه لظنه أن رأينا فيه كرأيه ولكننا أقدر على الرد عليه بما «يروق الكافة ، ويخلب ألباب الخاصة والعامة» كما قال ، ورب شيء أنكره انا من هذه السير لا ينكره الاستاذ زهران ، وقد ينكر إنكاري ان لم يقف على دليلي مفصلا

إنني يا أخي أنكر كل ما رواه ابن اسحق وما تبعه به ابن هشام مخالفا لرواية الصحيحين في بدء الوحي حتى رواية عبيد بن عمير التي قال شيخنا الاكبر في الحديث (الحافظ ابن حجر) انه يمكن الجمع بينها وبين حديث البخاري في أول صحيحه ، وما أظن أنك أنت ولا أمثالك من المبالغين في الانكار على كتاب (حياة محمد) تنكرون مثلي رواية رؤية النبي ﷺ ملك الوحي في المنام وتلقيه منه أول سورة العلق مكتوبة في صحيفة أقرأه إياها ، وهي مرسلة لا ندري لعل الساقط من سندها

أحد زنادقة اليهود ، وأنكر كذلك جميع الروايات التي في كتب السير ودلائل النبوة في انه ﷺ كان يرى ويسمع من الإرهاصات ما اعتقد به انه سيكون نبي هذه الامة فتعلق به رجاؤه ، وأنا اعهد ان أمثالكم يطعن على من ينكرها أشد الطعن إلا من طريق علمي كجرح الرواة أومعارضة المتون بمخالفة القرآن مطلقاً والضعاف منها للصحاح كما فعلت في كتاب الوحي المحمدي مما تلقاه كل قارئيه بالقبول

(٤) مانسبه الى السيدة خديجة ص ١٠٠

يعني الاستاذ زهران بهذه المسألة قول الدكتور هيكل إن خديجة قالت للنبي ﷺ عند ما فتر الوحي « ما أرى ربك الا قد قلاك » أي ابغضك . وقد تابع بهذا درمنغام وهما لم يخترعاه اختراعا . وكان من شأن المنكر عليهما ان يعلم ان ابن جرير رواه مرسلا من طريقين قيل ان رواتهما ثقات ، ولكنهما معارضان بما رواه الشيخان عن جندب قال اشتكى النبي فلم يقم ليلة أو ليلتين فاتته امرأة فقالت له يامحمد ما أرى شيطانك الا قد تركك ـ فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى اه

وأقول إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب عدوته ﷺ وما قيل في الجمع بينها من أن خديجة قالت له ذلك توجعا وأم جميل قالته شماتة فهو مردود وكان يجب على هيكل ألا يأخذ كلام درمنغام قضية مسلمة ولو بحث وراجع لعرف الصحيح وعلم ان هذه الفترة القصيرة في الوحي ليست هي التي استوحش لها النبي ﷺ وكبر عليه الأمر ، بل تلك الفترة هي التي كانت بين بدء الوحي في حراء وبين الامر بالتبليغ وهي ثلاث سنين كما بينته في كتاب الوحي المحمدي وكان ينبغي للدكتور هيكل ان يتأمله ويعتمد عليه فهو لباب التحقيق

بل هذه الفترة مشهورة في كتب الحديث وكتب السير لا ينبغي لمن يجهلها أن يكتب مصنفا في حياته ﷺ يدعي أنه يتحرى فيه الحقائق فماذا فعل بالكتب التي طالعها لأجله

(٥) ما قاله في الاسراء والمعراج ص ١٥٣

أجمل الاستاذ زهران إنكاره على ما كتبه الدكتور في هذه المسألة وكلفني أن أبين ما أنكره منها وأثبت ما أعرفه ، وهو إرهاق يتقاضاني أن أصنف كتابا أو رسالة طويلة فيها ، وقد سبق لي أن ارتجلت محاضرة فيها استغرقت ساعتين ونيفا في جمعية مكارم الاخلاق اذ كانت في قاعة دار السادات

الدكتور يثبت الاسراء والمعراج وينقل فيهما ماهو مشهور بين الناس من الاختلاف بين العلماء هل كانا في النوم أو اليقظة ، وبالروح والجسد أم بالروح فقط ، وينفرد بتعليل القصة بأنها من مشاهد وحدة الوجود الخيالية ، ويصف هذه الوحدة بغير ما يصفها به أهلها من الصوفية الغلاة الذين يعرفون بصوفية الحقائق ، لانه موضوع ليس من علمه ، كما ان التمييز بين صحاح الروايات وضعافها ومنكراتها واختلاف متونها وتعارضها في المعراج ليس من شأنه بالأولى وقد أشرت إلى بعضها آنفا في الكلام على حديث شق الصدر والجمع بينها متعذر حتى قيل بتعددها وهو لا يعقل

ومما أخطأ فيه كما نرى ما نقله عن موسيو اميل درمنغام في وصف المعراج وقد خلط فيه بين الروايات المضطربة فلم يميز بين صحيحها ومنكرها ، ووصفها وصفا شعريا خلب الدكتور ببلاغته الفرنسية فعرج هو من أفقه إلى أفق أبعد منه في التخيل الشعري وهو أفق وحدة الوجود التي يعجز صوفية الهند ومقلدتهم من الافرنج أن يبلغوا فيها شأو محيي الدين بن عربي في نثره وعمر بن الفارض في شعره وقد قال الدكتور فيها بما لم يعقله من الجمع بين الازل والابد

مسألة وحدة الوجود عقيدة هندية قديمة لا تتفق هي وعقيدة الاسلام في كون الخالق تعالى فوق جميع خلقه بائنا منهم ، وخلاصتها أن وجوده تعالى وتقدس عين وجودها وهي مظاهر له كمظاهر الماء من جامد ومائع وبخار وغاز كما قال عبد الكريم الجيلي :

وما الخلق في التمثيل إلا كثلجة   وأنت لها الماء الذي هو نابع

وأقرب مما ذهب اليه الدكتور في تصوير مسألة الاسراء والمعراج أو تقريبها الى الاذهان بما يوافق العلوم العصرية هو ما ثبت عند القائلين باستحضار الأرواح من تمثل أرواح الموتى المجردة بصور جسدية من الاثير تتكاثف أحيانا بما تستمده

من مادة الكون أو من جسم الوسيط حتى يمكن تصويرها بالآلة العاكسة للنور ، وقد قرأنا في كتاب (المذهب الروحاني) وغيره من الكتب والصحف شواهد على ذلك ، وأصل هذا معروف عند أهل الدين بما ثبت من تمثل أرواح الملائكة والشياطين بصور البشر وغيرهم وأمثلته كثيرة في كتب أهل الكتاب المقدسة وفي القرآن العظيم والاحاديث الصحيحة ، ويحكون في كتب الصوفية أن بعض الروحانيين منهم يتجردون من أجسادهم الكثيفة ويتمكنون من تحويلها إلى أجساد أثيرية لطيفة أحيانا تقطع المسافات البعيدة في طرفة عين وتنفذ من الاجسام الكثيفة، فالمسألة معروفة مسلمة عند غير الماديين من المليين وغيرهم من الروحانيين

فعلى هذا يمكن أن يقال إن روح النبي ﷺ أعطيت من القوة في تلك الليلة ما كانت به كقوة روح جبريل الذي كان يتمثل له ﷺ بصورة دحية الكلبي وغيره، وتمثل للسيدة مريم عليها السلام بشرا سويا. وفي هذه الحالة تتصرف الروح بجسدها الاثيري اللطيف فتحمله من مكة الى بيت المقدس ، ومنه إلى حيث شاء الله من السموات العلى إلى سدرة المنتهى ، وقد بينت هذا من قبل في المنار وفي محاضرتي الطويلة التي اشرت اليها آنفا وقلت إنه مذهب الصوفية الموافق لقول جمهور المحدثين إن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد

ولعل هذا ما أشار اليه الاستاذ الاكبر المراغي في التعريف بالكتاب بقوله (وعلم استحضار الارواح فسر للناس شيئا كثيرا مما كانوا فيه يختلفون، وأعان على فهم تجرد الروح وامكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة في طي الأبعاد وقد انتفع الدكتور بشيء من هذا في تقريب قصة الاسراء فأتى بشيء طريف) اه

اشتبه بعض قراء هذه العبارة المجملة الوجيزة في فهمها فظنوا أن الاستاذ وافق المؤلف على القول بأن الاسراء كان بالروح منفصلة من الجسم وعلى مسألة وحدة الوجود ولكن قوله (فأتى بشيء طريف) لا يدل على فهمهم هذا ولذلك لم يقل « بشيء طريف فيه » بل هو يشير الى ما قلته،

وجملة القول ان الدكتور هيكلا نقل بعض أقوال علماء المسلمين في مسألة الاسراء والمعراج وقول درمنغام من غير تمحيص ولا تحقيق كما فعل بعض أهل

السير وغيرهم من المسلمين ، وزاد عليها مسألة وحدة الوجود بعبارة مبهمة تدل على أنه لا يعتقد انها مخالفة لنصوص الكتاب والسنة لخفائها المعروف فلا يباح لمنكريها عليه الطعن في دينه، ولا يصح للمعجبين به أن يقولوا إنه محقق لروايات السيرة

(٦) ماعقب به معجزة الغار ص ١٧٧

يعني الاستاذ الناقد المنكر بهذه المعجزة ما نقله الدكتور هيكل عن اميل درمنغام عن بعض كتب السير كالسيرة الحلبية من أن النبي ﷺ حين دخل مع صاحبه الغار وجاء المشركون يبحثون عنه وجدوا شجرة تدلت فروعها إلى فوهته وبيتا من العنكبوت يستر من فيه وحمامتين باضتا عند بابه . وذكر أن وجه المعجزة في هذه الاشياء انها لم تكن موجودة وإنما وجدت وقتئذ وأن درمنغام قال: «هذه الامور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ الاسلامي الجد (كذا) وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في أرض الله نظائر »

(أقول) حديث هذه الثلاث أخرجه ابن سعد وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم عن أبي مصعب المكي قال أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة ابن شعبة فسمعتهم يتحدثون ان النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله بشجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا في فم الغار ، واقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وهراويهم وسيوفهم الخ

قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان - ذكر حديث أبي مصعب هذا: قال العقيلي مجهول ذكره في ترجمة عون بن عمرو . وذكر الحافظ في ترجمة عون هذا انه منكر الحديث مجهول وذكر حديثه هذا عن أبي مصعب وقال إنه لا يعرف

فهذه المعجزات لم يصح بها الخبر بل انفرد بروايته مجهول منكر الحديث عن رجل لم يعرف قط ، فالظاهر انه هو الذي وضعه عليه ، ولو كان له أصل لأمكن أن يقال من ذا الذي حقق ان هذه الثلاث وجدت عند دخوله ﷺ في الغار وأنها لم تكن من قبل ، وكيف كان عبدالله بن ابى بكر وراعي غنمه مولاه عامر بن فهيرة يدخلان الغار في كل ليلة ؟ ولم لم يحدثا بها أحدا ولا حدث بها من أكرمه الله بها

وهو النبي ﷺ وكذا صاحبه « رض » حتى حدث بها ابو مصعب المجهول الذي أعيا رجال الجرح والتعديل أن يعرفوه أو يعرفوا عنه شيئا ، ولم يحدث بها عنه إلا عون ابن عمرو المنكر الحديث ؟ وأي حاجة إليها في حفظ من كفل الله حفظه وعبر عن ذلك بأنه تعالى معه ومع صاحبه ؟ ههنا يظهر الفرق بين شعور الاستاذ زهران والدكتور هيكل وامثالهما : الفريق الأول يرتاح إلى روايات خوارق العادات مطلقا ويرون أنها أعظم الحجج على إثبات النبوة فلا يعنون بتحقيق رواياتها ، والآخرون ينفرون منها لكثرتها عن جميع الملل ولا يرون فيها حجة قاطعة على النبوة كالآيات العلمية والعقلية وأعظمها القرآن ، ولذلك يميلون إلى تكذيب روايات تلك الخوارق وسنبين تحقيق الحق في ذلك (للنقد بقية)

وفيات الاعيان

(شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي)

فاجأنا في ضحوة يوم شديد الحر من هذا الشهر المحرم (سنة ١٣٥٤ـ مارس سنة ١٩٣٥) نبأ وفاة شاعر العرب المطبوع وعلم الفصاحة المرفوع الشيخ عبد المحسن الكاظمي بعد مقاساة أمراض طال أمدها عدة سنين صبر عليها صبر الكرام ، ويحزنني أنه لم يتح لي تشييع جنازته ، وقد قمت بكل ما استطعت من حقوق مودته (المادية والادبية) في أكثر من ثلث قرن حتى انني عرضت نفسي لمرض طويل كاد يكون مزمنا بزيارتي له ليلا وأنا مصاب بنزلة صدرية شديدة ، وكان يزورني في وسط العهد بيننا في يوم الجمعة من كل أسبوع وقد يزيد عليها لأسباب عارضة وانني أنشر هنا ما كتبته في شأنه بعد تعارفنا بمصر بأيام قليلة وهو ما تراه في ص ٣٢٨ من مجلد المنار الثالث بتاريخ ربيع الاول سنة ١٣١٨ يوليو سنة ١٩٠٠ بعنوان (القديم في الحديث ، والاول في الآخر) وهذا نصه :

ذهبت بلاغة الشعر العربي بذهاب دول العرب حتى صار القرن يمضي كله ولا يظهر فيه شاعر عربي الاسلوب بليغ الكلام وحتى صرنا نعد وجود مثل

سعادة محمود سامي باشا (البارودي) من قبيل مايسميه الحكماء بالرجعة كأن السليقة العربية رجعت اليه بالوراثة لاحد أجداده الاولين من غير عناء في كسب ملكتها ، والظاهر أن بلاد العراق لاتزال أقرب الى السليقة العربية من أهل هذه البلاد وان النابغين فيها أكثر منهم في غيرها . ولقد وافى هذه البلاد من أشهر رجل فاضل جدير بلقب (الاديب) وقل الجدير به في هذا العصر ألا وهو الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمي (نسبة الى الكاظمية بلدة في ضواحي بغداد) لقيناه فلقينا الادب الصحيح والاخلاق الحسنة من الشاعر المفلق، العذب المنطق، الذي ناهز المقدمين ، وخاطر المقرمين ، ومن السجايا الفاضلة الظاهرة فيه الاباء وعزة النفس حتى انك لا تشعر في أول عهدك به بما عنده من لطف المعاشرة ورقة الطبع ولين العريكة . قال صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري وكيل الحقانية وأحد أركان الادب في مصر : انني عند ما لقيته أول مرة ظننت أنه لا تطيب معاشرته، فلما خبرته علمت أنه لا تطيب مفارقته ، اه وما أجدره بقول شاعرنا احمد بن مفلح المشهور بابن منير الطرابلسي

إباء فارس في لين الشام مع الظر   ف العراقي واللفظ الحجازي

أما شعره فعلى الطريقة العراقية العذبة القديمة — طريقة الشريف (الرضي) ومهيار (الديلمي) وأما انشاده فهو يناسب شعره في التأثير الذي هو المقصود الاهم من بلاغة القول اه

ونشرت بعد هذا قسما من قصيدته العينية وهي أول ما سمعناه من انشاد شعره ونشرت القسم الآخر منها في جزء آخر ، ولعمري إن إنشاده للشعر لأبلغ من نظمه له في إثارة الشعور، بما شاء من شجو وشجن، وحنين إلى سكن ووطن، وشوق إلى لقاء حبيب ، وحزن على فراق عشيق أو صديق ، وإن أنس فلن أنسى إنشاده إيانا قول الشاعر :

وارحمتا للغريب في البلد النا   زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا   بالعيش من بعده وما انتفعا

فلئن قال ابن المنير في يائيته :

وما المدامة بالالباب ألعب من فصاحة البدو في ألفاظ تركي

فان لنا أن نقول : ما لعب المدامة بالعقول ، ولا عزف الفارابي بالقانون ، بما أضحك الثغور وأثار الشجون ، وأجرى الشئون وران على العيون ، ولا نعي جميل لبثينة أمام دارها ، ولا كلمتها للناعي سافرة نابذة لو قارها ، باعظم سلطانا على القلوب من إنشاد الكاظمي لهذين البيتين بصوته الرخيم ولهجته العراقية ، وتقطيعه للبيت بغير أوزانه الشعرية ، كوقوفه على كلمة الغريب ، والنازح ، والعيش ، فانى لأتذكر الآن خفقات قلبي لسماعها ، فاجد الذكرى تعيدها سيرتها الاولى ، ولقد كانت كلمة بثينة اشجى كلمة سمعتها من كلام البشر ، ولا بأس بذكرها هنا لما شعر جميل العذري بدنو أجله في مصر عهد الى رجل أن ينعاه الى بثينة في حي أهلها وأعطاه حلته آية لها ، فوقف فأنشد هنالك

صرخ النعي وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول

فخرجت حاسرة وقالت : ياهذا إن كنت كاذبا فقد فضحتني ، وإن كنت صادقا فقد قتلتني !! فأخرج لها حلته فأنشدت :

وإن سلوي عن جميل لساعة من الدهر لاحانت ولاحين حينها
سواء علينا ياجميل بن معمر اذا مت بأساء الحياة ولينها

هكذا كان الكاظمي يخلب ألبابنا بانشاده العراقي الشيعي وكل أدباء العراق يخلبون الالباب بضروب الانشاد ، وإن كان لأشجى من سمعنا منهم ، ولقد أحببناه لانشاده ولشعره معا ، ثم انصل بشيخنا الاستاذ الامام وخصه بمدائحه المؤثرة وكان بالمدائح ضنينا ، فعشقناه لتنويهه بالاصلاح وإمامه ، وقد ذكرته في تاريخ الاستاذ الامام منوها بما كان من عطف الامام عليه ومواساته له ، ومما لم أذكره أنه كان له منه راتب شهري قدره عشرة جنيهات ما عدا الهدايا ، وكان انكر ما عددته عليه من كنوده عدم رثائه له ، وكان يعتذر لنا بوجده وكمده ، ثم علمنا أنه انما كان يخشى غضب الخديوي عليه اذا هو رثاه ، إذا سعى له صاحب المؤيد عند سموه براتب من الاوقاف

انني كنت صدقت الكاظمي زعمه أن شدة الحزن والاسى على الامام أخرست لسانه ، وحيرت وجدانه ، وأطاشت جنانه ، فأمسى عاجزا عن رثائه لا يستطيع منه شيئا . وظللت سنين مصدقا له ، وأرى من حق الوفاء لاستاذنا علي بره والوفاء له ، على أنه حدثني فيما كان يقصه علي من سيرته الشخصية ان الخطوب ليس لها على نفسه سلطان ، وان الحزن ليس له في شجون قلبه ولا في شئون عينيه مكان ، وانه كاد هجومها عليه يغلبه على جلده مرة أو مرتين ففطن لذلك فكان لارادته الغلب والرجحان ، فكان عصي الدمع شيمته الصبر ، ليس للحزن عليه نهي ولا أمر

ولقد كان يقول لي انه لم يجد بعد الاستاذ الامام من أخلص له الوفاء مثلي ، ويظهر لي انه على رأيي ومذهبي فيما أدعو اليه وأحيا لأجله من الاصلاح الاسلامي والوحدة العربية ، وكان ينشدني بعض قصائده في مدح من يرجو برهم ويقف لي عند ما تتضمنه من الاشارة إلى ما أحب من المصلحة العامة ، في تضاعيف ما أكره من المدائح الشخصية ، بله ما نظمه في المسألة العربية ورجالها ، ومنه ما يخصني بزعمه دون غيري ، ولم أكن لأحفل بالتصريح بشيء يخصني فكيف أحفل بالتلويح والتعريض الذي لا يكاد يفهم المراد منه أحد؟ ولكن خطر ببالي كثيرا مالم أذكره له ولا أشرت إليه من تقصيره في رثاء شقيقي اللوذعي الاحوذي السيد حسين الشاعر الاديب الخطيب وقد كان عشقه الكاظمي غراما ، ووده له لزاما : وكان وكيلي في إدارة المنار مدة غيبتي في الاستانة عاما كاملا لم يكد يفارقه فيه يوما ، ثم عاد الى سورية فقتل بيد مجرم أثيم ، فكان من إكبار خطبه عندي ان قلت في تأبينه أنه ليعز علي أن أرثيه وكنت أرجو أن يرثني ، وأكبر المصاب فيه أهل الفضل والادب في جميع البلاد العربية ، وعقدوا له في بيروت حفلة رثاء وتأبين تبارى فيها أدباء الطوائف الدينية بما كان أقوى مظهر لرابطة الادب الجامعة ، فكانت حفلة نادرة في ذلك الوقت ، ولكن كان صديقي وصديقه أبخل بشعره عليه منه بدمعه ، وهو الغني الملىء بالشعر ، الفقير الشحيح بالدمع ، وانما يجود بالشعر حيث يرجى به النوال الجزل

لقي الملك فيصلا في مصر فرأى من لطفه وتواضعه وتكريمه له ما أحدث

له أملا بأن يحيا بجوده حياة جديدة من الإتراف والسعة أقلها أن يكون له راتب شهري كبير وهو في مصر ، أو ينقل الى منصب كبير ، في بغداد ، فمدحه كما مدح أخاه الامير عبدالله وبيتهم الشريف بقصائد غر ، كان ينشدنيها كلها أو بعضها قبل ارسالها ، ويحاول إرضائي وأنا المنكر لسياستهم البريطانية بما فيها من التنويه بالاصلاح والوحدة العربية ، حتى اذا ماخاب أمله فيهم ، وغلبهم ابن السعود على الحجاز وحدث له من الرجاء في جوده وسخائه ما يئس من مثله منهم ، طفق يمدح هذا وآله ، ويعرض بل يصرح بهجو أولئك ، ومن ذلك قصيدة في الفرق بين الفيصلين فيصل بن عبدالعزيز وفيصل بن الحسين ، وكان يدعي انه لم يكن له من باعث على هذا وذاك إلا ما يهمنا جميعا من مصلحة العرب والاسلام

كذلك كان يستشيرني في القصائد التي كان ينظمها في القضية العربية التي يقيمها حزب الاتحاد السوري فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ويكل إلي السعي لما يرجوه من الجائزة عليها من الوجيه ميشيل بك لطف الله ، وهي من غر قصائده

وكثيراً ما كان يزيد في هذه القصائد التي نظمها ولم يكتبها ، وكثيراً ما كان يرتجل غيرها ، فقد ثبت عندنا أنه أوتي من ملكة الارتجال ما يساهم به فحول العرب من الجاهلين والمخضرمين والمولدين ، وهو يعد من فصحائهم لا من بلغائهم ، فشعره فحل في لغته وأسلوبه ، دون فلسفته وتأثيره الروحي

وما كان لي أن أطمع بارجاعه عما يبغيه من الكسب بشعره وهو بضاعته الرائجة ، فكنت أحمد من قصائده ما فيها من الآراء العامة ، وأقتصد في الانكار على المبالغة الشعرية في المدح فيوافقني على ما أقول ، ولا أدري ما يكتبه بعد ذلك ويرسله ، وما يثبته في ديوانه الذي يدخره لمستقبله وورثته ، فقد كان يحفظ كل ما ينظمه وينشدني وينشد غيري من حفظه ، وقد ينقح ما ينتقده عليه السامع في المجلس ، ويزيد فيه ما شاء وينقص منه ، وكان يرجو أن يبذل له أحد الملوك أو الامراء أو الكبراء ما يكفي لوفاء ما يذكر من دينه وطبع ديوانه ، فان لم يتح له

ما يرجو وكل أمر طبعه من بعده الى أبر الاوفياء له الذي اختار أن يجعله وصيا على كريمته الرباب ، واياي كان يعني

هذه خلاصة ما يقال في شعره وأدبه ومودته وكسبه : ولقد علمت انه كان له كسب نسائي خفي من كتابة التمائم للحب والبغض ، وكان أمين سره في هذا العمل صديقه المرحوم توفيق أفندي الرافعي ، وأول من أفشاه لنا امرأته الأولى التي عشق أختها وتزوجها ، حملت الى أهل بيتنا بعض هذه التمائم فأبيت أن أنظر فيها ، وحدثتهن عن اسرافه في النفقة ، وما كان يوهمني (قبل بنته الرباب) من أن له عيالا ينفق عليهم ، وقد سمعت منه ورأيت ما يعد من عجائب اسرافه ، فلقد كان يشتري ثمر المنجا الجيدة بالعشرات أو مئة بعد مئة وهي اغلا الثمار ثمنا ، وكان دائما يشكو الحاجة أو الضرورة ، ويطرق أبواب الكبراء الواسعة والضيقة ، وقد لجأ أخيراً الى المرحوم سعد باشا زغلول ومدحه بالقصائد الفياضة التي ذكر فيها الاستاذ الامام أول مرة بعد وفاته !! ثم لجأ الى زعيم الوفد من بعده ، وظهر في هذه الاثناء بشعر بنته الرباب ، وقد شبت على استبدال البرنيطة بالحجاب

وجملة القول فيه انه كان شاعر العرب المرتجل المفلق كما كان قال قبل اختيار هذا اللقب لنفسه

لتخل القوافي ميادينها فقد عصف الشاعر المفلق

وكانت حياته الشخصية في داره ومع اصدقائه وزواره مفاكهات أدبية أكثرها في شعره وأغراضه منه ، ثم لم يكن يتحدث في السنين الاخيرة الا عن مصائبه وامراضه وخلته ، حتي صار مملولا بالطبع . نذكر هذا للعبرة والموعظة ، ونسأل الله تعالى لنا وله العفو والمغفرة ، والرحمة الواسعة

ويسرنا جد السرور عناية الحكومة العراقية باكمال تربية كريمته ، وعناية أدبائها وادباء فلسطين وسورية بتأبينه ، وهمّ بعض أصحابنا باقامة حفلة تأبين له حافلة ، ثم أرجؤها إلى انتهاء هجير الصيف ، وما كان لمصر أن تهضم حق أدبه وما كان ظهوره واشتهاره الا فيها ،

﴿ باب مختارات الصحف ﴾

تفاقم شر الطلاق في اميركا

لمراسل الاهرام في امريكا

أشرت في احدى رسائلي الماضية الى القاضي بن لندسي في مدينة لوس انجلوس بولاية كليفورنيا الملقب بقاضي الطلاق لتساهله في تسهيل سبيله على الطالبين ولكثرة عدد الذين أعتقهم من ربقة الزواج كما يعتق السجناء حال انتهاء المدة المحكوم عليهم بها، وقد أعلن هذا القاضي اليوم اعتقاداً جديداً أبداه بشكل نبوءة مفادها امحاق عهد الزواج بهذه البلاد في وقت غير بعيد إذ قال:

« إن الزواج في هذه البلاد صائر الى حالة توجب الاسف وتحمل على الاحتساب فان لم نفتح عيوننا للحقائق ونصرح بها غير متهيبين ونعمل على تغيير ما نفهمه من علائق الجنسين تصبح الاباحة في الحب والفوضى في الزواج والتطرف في حسبان الطلاق من ضروريات المعيشة الهنيئة شيئا سهلا وواجبا وإن كان مخالفا لما قررته الاديان وأوجبته قوانين الهيئة الاجتماعية

« فالزواج عندنا قد أصبح ألعوبة أو مهزلة بحيث لا يختلف عن شركة تجارية يعقدها شخصان ويبقيان فيها متعاونين ما بقيت رابحة وما اتفق ذوقاهما، وينفصلان عند ما يشعران بالخسارة أو بالنفور المتبادل. ولا ريب في أن البواعث الطارئة على عدننا في هذا الزمان تعمل على تقويض أركان التوازن الديني وتشويه آداب المجتمع، وتمهد السبل للطبيعية البشرية الميالة الى الشر في طغيانها فتتمادى فيه بلا وازع من الدين ولا رادع من القانون. والقاضي الذي تبدو له هذه المساويء في القضايا المختلفة لا يرى سوى علاج واحد ناجع وهو أن تستعين الهيئة الاجتماعية بالدين والعلم والتهذيب على استئصال ما طرأ في هذا العصر من التطورات الغريبة العاملة على خراب الحياة الزوجية وفساد أخلاق الناشئة

« وقد يحسبني بعضهم من المفكرين المتفوقين في هذا الباب بالنظر إلى كثرة عدد الذين أفلتوا من قيود الزواج في محكمتي، فأنا على الرغم مما يقال من تساهلي

في حل ما عقده الشرع من أشد الناس تمسكا بزي الزواج القديم القائل ببقاء الاثنين جسدا واحدا الى أن يفرقهما الموت ولا يحل هذا المشكل الا العمل بهذه القاعدة، وأعتقد أن أجدادنا كانوا أسعد حالا وأهنأ عيشا من الوجهة الزوجية مما نحن عليه الآن

«ومهما كان اعتقادنا بنظرياتهم فان تلك النظريات قد انطوت ومعها الحياة الزوجية القديمة المبنية عليها أو انها تنطوى الآن بسرعة وحل محلها جنوح(١) لا يعترف بقيود، خال من كل مسؤولية ومن الحب الحقيقي في تعاقد الجنسين بحيث اصبح الناس يعتقدون أن الزواج قضية موقتة يحافظون عليها ما وفرت لهم الغبطة وضروب الشهوات والمسرات فاذا عدمت هذه الميزات ذهبوا الى المحامي

ويظن هذا القاضي أن الحالة الاقتصادية في الحياة العصرية التى تزاحم فيها المرأة الرجل في الاعمال على اختلافها والتي جعلت الزواج صعبا أو مستحيلا على الشبان من سن ٢٠ الى ٣٠ لقلة دخلهم هي التي سببت هذا التشويش والفوضى في الطلاق ايضا . لان الزوجة التي تفرك(٢) او يحاول زوجها التخلص منها قلما تعارض لانفتاح ابواب العمل امامها بخلاف ما كانت الحال عليه في الماضي

وتنبأ القاضى لندسى من سبع سنوات عن ان عدد المطلقين في السنوات العشر التالية سيضارع عدد الذين يتزوجون وقد مضى من تلك الاعوام سبعة وبقي ثلاثة ومع ذلك فقد تم ما خمنه قبل انتهائها حسبما يقول اه

(المنار) إن سوء عاقبة هذا الفساد أكبر مما يحسب هذا القاضي ويقدر، وإن له اسبابا وعللا كثيرة، وان علة العلل كلها انحلال العقيدة الدينية وما تعقبه مع الحرية الواسعة من اباحة الشهوات، وقد كان الدين عندهم نظاما اجتماعيا أدبيا تكفله التربية والتعليم وتحميه القوانين فضعفت الكفالة والحماية بحرية التعليم العالي للنساء والرجال معا فصار من المتعذر أن يدين هؤلاء بالنصرانية المبنية على التسليم بما يقال لهم من غير برهان معقول مقنع، وهذا الدين لا يجدونه الا بالاسلام فهو العلاج الوحيد لجميع مفاسد الحضارة الغربية كما فصلناه في كتاب الوحي المحمدي»

(١) كذا والجنوح الميل ومنه ميل السفينة الى حيث ترتطم بوحل فتقف

(٢) فركت المرأة ابغضت زوجها فهي فارك وفروك

باب الرسائل

العقبة من الحجاز في عهد الدولة العثمانية

حضرة الاستاذ العلامة حجة الاسلام بهذا العصر، وقائد كتيبة المحققين الذي كتب له النصر، السيد رشيد رضا أطال الله بقاءه ونفع به

قرأت في الجزء المؤرخ في ٣٠ المحرم ١٣٥٤ من المنار فصلا وافيًا عن العقبة وفيه كلام نقلتموه عن أمين أفندي سعيد معناه ان العقبة أدخلت سنة ١٩٠٦ ضمن الحدود العثمانية وألحقت بلواء الكرك (شرقي الاردن اليوم) وصارت جزءاً من أجزائه

والذي أعرفه أنا أن العقبة لم تلحق في وقت من الاوقات بلواء الكرك، وهذا هو أصل المعترك، فان الانجليز يريدون أن يجعلوا العقبة من البلاد التي كانت الدولة العثمانيــة ألحقتها بلواء الكرك حتي يقولوا إنهم لم يغيروا شيئًا من الوضع القديم بل أبقوا العقبة تابعة للخطة التى كانت تابعة لها من قبل. والحقيقة أنه لما تشكل لواء الكرك ألحقوا به قصبة معان وتوابعها ماعدا العقبة، وكان ذلك من الدولة قصداً وعمداً حتي لا تجعل العقبة تخرج من أرض الحجاز نظراً لاستثناء الحجاز من أمور كثيرة كان متفقًا عليها بين الدولة والدول الاجنبية ومن جملتها عدم جواز تملك الاجانب. وقد كنت مرة في دمشق في أيام ولاية ناظم باشا وعلمت من المرحوم محمد فوزي باشا العظم وكان هو عمدة مجلس الادارة ان ولاية سورية راجعت الباب العالى في أن العقبة باتصالها بأرض معان وبكونها ميناء لمعان وبلاد الشراه يجب إلحاقها بمتصرفية الكرك تسهيلا للاشغال.

فأجاب الباب العالى ولاية سورية قائلا: ان هذه الملاحظة لاتخفى علينا ولكن هناك ملاحظات سياسية أهم منها وهي أنه اذ ألحقت العقبة بلواء الكرك صارت من ولاية سورية ودخلت تحت المعاهدات التي بين الدولة والدول الاجنبية فصار يجوز للاجانب أن يتملكوا فيها بخلاف ما إذا كانت تابعة للحجاز فليس للاجانب

حق أن يتملكوا شيئاً في الحجاز وهو أمر متفق عليه بين الدولة والدول. فبقيت العقبة اذن تابعة للحجاز ولم تتبع الكرك كما طلبت ولاية سورية، فقصدت ان اصحح هذه الرواية التي نقلتموها عن أمين أفندي سعيد والتي لو صحت لما كان محل للتعجب من سعي الانكليز بالحاق العقبة بشرقي الاردن لانهم يكونون حينئذ بنوا على اساس قديم. والحال أن هذا الاساس لم يوجد، وان العقبة كانت ولم تخرج من الحجاز لا أولا ولا اخيرا ووضعها الحاضر لا يستند على شيء قانوني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

جنيف شكيب أرسلان

(المنار) هذا ما يقال من جهة ما يسمى التشكيلات الادارية في الدولة. وأما من الجهة الشرعية الاسلامية فالعقبة وما حولها من الحجاز وبصفة أوسع نقول من جزيرة العرب التي أوصى النبي ﷺ بأن لا يبقى فيها دينان كما بيناه مرارا، فاحتيال انكلترة للاستيلاء عليها أفظع اعتداء على دين الاسلام

﴿ وزير مسيحي يصف الشريعة الاسلامية ﴾

خطب الاستاذ فارس بك الخوري الوزير السوري الاسبق ومن كبار مسيحيي سوريا في احدى الحفلات التي أقيمت بدمشق لاحياء ذكرى المولد النبوي ومما قاله :

« إن محمداً أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بعد بمثله، والدين الذي جاء به أوفى الاديان وأتمها وأكملها، وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس اليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لارقى النظم والحقائق العلمية

« ان محمداً الذي تحتفلون به وتكرمون ذكراه أعظم عظماء الارض سابقهم ولاحقهم، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها » (المقطم)

مأساة أميرة شرقية*

بقلم الاستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي نزيل البصرة

(٢)

ونحن مع احترامنا للنبي المكرم عيسى نقول : قد أجاد الاستاذ في تنظيره وتمثيله ، ألا يعلم لويس أن شرب الدخان في النارجيلة أو غيرها إنما حدث بعد اكتشاف كولومبوس أميريكا ولم ينتشر الا في الازمنة الاخيرة ، بل في هذا الزمان نفسه لو دخلت مجلس أمير من بني تميم أهل اليمامة لم تر فيها نارجيلة فضلا عن الخمر ، فهل بلغ به هوان نفسه عليه أن يزعم ان مجالس أمراء ابي بكر وعمر كانت محتوية على الخمر؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، فأي رجل من زنوج أفريقية بل قبائل أسكيمو يلقي نظرة إجمالية على التاريخ ويتوهم وجود الخمر في مجالس أمراء الخلفاء ولم تمض على انتقال النبي الى الرفيق الاعلى الا أيام قلائل ولم يرو لنا التاريخ شرب الخمر في مجالس الأمراء الا بعد ذلك بازمان طويلة ؟

وليس مقصودى ان ابرىء خالداً من الوجهة الدينية أو ادعي له العصمة الواجبة للانبياء ، لان الكاتب لم يتصد لهذا الامر الا من الوجهة التاريخية والادبية ولذلك أحصر ردي عليه فيهما فهل يستطيع ان ينقل لنا كلمة واحدة من التواريخ المعتبرة يثبت بها ما افتعله ؟ هيهات ذلك .

لقد كنا نظن أن مجلاتنا الادبية لما تصل بعد الى المستوى الاعلى من التحقيق في التاريخ والادب وان كتابنا لا تزال بضاعتهم مزجاة في ذلك، ولكننا بمدمار أينا

(*) نشرها (كرهام لويس) المستشرق الانكليزي في جريدة المصور الاسبوعي للهند صور فيها الصحابي خالد بن الوليد القائد الحربي الاعظم في فسطاط كمجالس راجات الهند تدار فيه كؤس المدام واصطفت نراجيل دخان التبغ وصور ليلى بنت جويد متزينة بأحدث أزياء نساء أوربة وحلي الشرق تدخل عليه لتشفع لمالك بن نويرة زوجها بزعمه اذ اسرها معه في حرب الردة فعشقها وأمر بقتله وتزوجها. وقد نشرنا الفصل الاول في ج ٧ م ٣٤

هذا المقال اغتبطنا أيما اغتباط بمجلاتنا وكتابنا. وكنا نظن ان كاتبا شهيراً قد تصدى لكتابة سلسلة مقالات في التاريخ والادب الشرقيين في أشهر المجلات الانكليزية في الهند وعرضها على علماء الشرق والغرب يربأ بنفسه أن يرتكب الخلط والخبط والكذب البحت، ولكن أبى الله الا ان يفضح هذا الاديب الكبير ليعلم مطايا الافرنج ومقلدوهم أن أدباءهم ليسوا معصومين كما يزعمون من الوهم والغلط والجهل والكذب بل ربما فاقوا غيرهم في ذلك، وسترى في الرد على مقاله ما يجلو كل شك ويلاشي كل ريب

ومن العجيب أن الاديب كرهام جعل من خالد خالدين، ولرجل واحد صورتين، فالصورة الاولى التي تقدم الكلام عليها تخالف تماما صورة خالد التي نشر تحتها ترجمة خالد بن الوليد وأعماله وسيرته في المجلة نفسها، في جزء ٨ اكتوبر ١٩٣٣ فخالد الاول مستطيل الوجه مائلا الى الاستدارة ذو لحية مقصوصة قصاً غير بليغ وأما الثانى فان وجهه صغير مخروطي وملامحه مخالفة أشد المخالفة لملامح الاول، ذو لحية فرنسية مخروطية منهوكة بلا عارضين. فهكذا يكون التخبط والا فلا

﴿ الرد على مقاله ومناقشته الحساب ﴾

(١) زعم الكاتب الكاذب أن ليلى بنت الجودي الغسانية كانت زوجا لمالك ابن نويرة ثم تزوجها خالد بن الوليد ثم تعشقها وغنى بحبها عبد الرحمن يعنى ابن أبي بكر الصديق وما زال ملحا في طلابها إلى أن ظفر بها أخيراً ففتن بها حتي أعرض عن نسائه وسراريه وجعلها سيدة البيت، ثم لم يلبث ان هجرها وفارقها فرجعت الى بيت والدها بدمشق وقضت بقية حياتها فيه ـ هذا ملخص قصة ليلى بزعمه

أقول وهذا كذب محض وجهل فاضح فان ليلى بنت الجودي لم يتزوج بها مالك بن نويرة وكيف يتزوج بها وهو من أهل اليمامة في قلب جزيرة العرب وكان وثنياً مشركا وليلى بنت الجودي نصرانية وأبوها أحد رؤساء النصرانية في دمشق. وامرأة مالك بن نويرة التي تزوجها خالد بعد قتل زوجها اسمها أم تميم بنت المنهال. لم يتعشقها عبد الرحمن ولم يتغن بحبها ولا تزوجها. وقد التبس الامر على هذا الكاتب المسكين لفقره في الادب الشرقي فمزج امرأتين وعجنهما وجعلهما شيئا واحداً لحول في عين بصيرته، وسيجيء الكلام على ليلى بنت الجودى في آخر الرد ان شاء الله

(٢) زعم أن ليلى زوجة مالك بن نويرة وقعت مع زوجها في أسر خالد وهو كذب أيضا إذ لم يذكر أحد من المؤرخين (فيما نعلم) ان خيل خالد اخذت مع مالك زوجته، والحقيقة كما في الطبرى والكامل وابن خلدون وغيرها ان خالد ابن الوليد نزل بالبطاح وبث سراياه فجاءته الخيل بجماعة من بني يربوع منهم مالك بن نويرة فسأل خالد الذين جاءوا بهم أهم مسلمون فيبقيهم أم مرتدون فيقتلهم، فاختلفوا فشهد أبو قتادة ونفر أنهم مسلمون وانهم أذنوا وصلوا معهم، وشهد آخرون انهم غير مسلمين فامر بهم خالد فقتلوا، ولم يذكر أحد انه كانت معهم امرأة مع ان الرواة ذكروا كل شيء حتى أنهم لم يغفلوا عن ذكر أن ذلك كان ليلا وان البرد كان شديداً

(٣) زعم ان امرأة مالك كانت قد وهبت قلبها لزوجها وأزمعت ان تبذل كل مرتخص وغال في فدية زوجها فتزينت بحليها وحللها وذهبت الى خالد لتشفع لزوجها، فلما رآها عشقها واصدر أمره بقتل زوجها ودعوة إمام لعقد النكاح، وخلق لها عباءة كثيفة وزعم ان النساء يومئذ كن محتجبات وكان كشف وجوههن عاراً، وهذا كله كذب وجهل، فان الحجاب لم يكن له وجود في ذلك الزمان حتى في نساء المسلمين فكيف بنساء المرتدين؟! وانما حدث الحجاب بعد ذلك بزمن طويل، أنظر كتابنا (الاسفار في مسألة الحجاب والسفور) ولم يكن عقد النكاح يتوقف على إمام المسجد في بلاد العرب في ذلك الزمان ولا في هذا أيضاً وانما هي عادة من عادات المسلمين في الهند وفي كثير من البلاد الاسلامية، وليس ذلك بمشروع في الاسلام، ويكفي لعقد النكاح ان يشهد شاهدا عدل من المسلمين ولكن أهل البلاد المتحضرة يحضرون القاضي أو نائبه عادة وأما خالد فلم يكن له امام بل هو القائد والامام كما هي العادة في ذلك الزمان أن يكون الامير هو الامام، ولم يدخل خالد بامرأته في تلك الليلة بل تركها حتى تنقضي عدتها كما في ابن جرير مجلد ٤ ص ١٩٢

(٤) لو فرضنا ان أم تميم ذهبت الى خالد لتشفع في زوجها لما أمكن ان يتصور متصور حتى في هذا الزمن أن امرأة شريفة زوج أمير تتزين بما عندها

من حلي وحلل وتذهب في الليل البهيم فتدخل على رجل أجنبي يملك ناصيتها وتخلو به في خيمته ، لامور

(ا) أن التجمل والتحلي انما يكون وقت الفرح لا وقت الحزن ولا سيما في ذلك الوقت العصيب حين أحب الاحباب اليها تحت خطر الموت ينتظر كلمة تخرج من بين شفتي القائد تحييه أو تقتله فتزينها في ذلك الوقت مما لا يعقله أحد يعرف عادات العرب وأحوالهم لانها لو فعلت ذلك لقضت على نفسها وعلى خالد ، إذ الخلوة بالاجنبية ولا سيما في الليل فسق موجب للعزل والتعزير، ولا يمكن لامرأة عرفت بذلك ان تكون زوجة لسيد من سادات العرب بل ولا من أوساطهم ولا لرجل عرف بذلك ان يكون أميراً لابي بكر

(ب) ان (الديمقراطية) عند العرب كانت في عنفوان شبابها ولم يكن الجنود يخضعون ولا يطيعون الامير اذا رأوا منه منكراً، والدليل موجود في نفس القصة وهو شيئان (الاول) أن بعض الجند وهم الانصار اختلفوا مع قائدهم خالد في التوجه الى البطاح [1] فقال لهم خالد لا كره أحداً منكم أما انا فذاهب فتخلفوا عنه وذهب، ثم بعد ذلك ندموا ولحقوا به (الثاني) ان أبا قتادة أعلن إنكاره على خالد في قتل مالك وأصحابه حتي ذهب مغاضبا له إلى المدينة واشتكي لابي بكر الصديق الخليفة مارأي من خالد واستعان بعمر واجتهدا ان يحملا أبا بكر على عزل خالد. فلم يفعل

(ج) لو ان أبا قتادة ومن وافقه من الناقمين على خالد وفيهم عمر بن الخطاب الذي كان كالوزير لابي بكر وكان إذ ذاك مجتهداً في حمل ابي بكر على عزل خالد وبقيت في قلبه حزازة على خالد حتي إنه حين تولى الخلافة عجل بعزله فلو أن أبا قتادة رأي خالدا قد خلا بامرأة مالك ليلا قبل عقد النكاح بل في حياة زوجها لاخبر بذلك عمر وكانت حجته قائمة على فسق خالد ثم لشنع عمر بذلك على خالد وألزم أبا بكر عزله فلا يجد منه بدا

(٤) وربما تكون العادة عند الاروبيين - قوم الكاتب - ان المرأة اذا أرادت

---

(١) أرض بني يربوع قوم مالك بن نويرة

ان تشفع عند أمير تجملت وتزينت وتغنجت وتدللت لتسبي قلب ذلك الامير فيقضي حاجتها، وأما العرب فان العادة عندهم على خلاف ذلك فان المرأة اذا ذهبت إلى رجل أجنبي ولو لم يكن أميراً تذهب اليه حزينة متبذلة باكية حيية خاشعة، وأما المرأة التي تتزين وتتبرج وتذهب للاجانب فهي في نظر العرب بغي فاجرة لا تتمكن من الدخول على الاشراف

(٥) زعم كراهام لويس ان تلك الليلة كانت ليلة هياط ومياط وأكل وشرب وسكر ورقص وخلاعة وبطر احتفالا بالنصر والظفر وقد زل حماره في الطين في هذا أيضاً، ولو أشرف بإشرافة على التاريخ الاسلامي أو ألم إلمامة به ولا سيما في أوله لعلم أنه كاذب ولخجل من نفسه (كما يقول الانكليز) قبل خجله من الناس. لو كانت الجنود المحمدية يامستر كراهام تحتفل عند الانتصار بالاكل والزمر والخمر والعهر ما أكلت جنود أسلافكم وسادتكم الذين استعبدوكم قرونا أعني الروم الجبابرة في ربع قرن أو أقل على قلة عددهم وعددهم

اني أرثي لجهلك يامستر كراهام وأتمنى ان تعلم ولو قليلا سيرة محمد وأصحابه الابرار الاطهار. أفتظن أن أصحاب محمد كأصحاب نابليون وكجنودكم في الوقت الحاضر كلما انتصروا فزعوا الى اللهو والفواحش كالدواب؟ ان أصحاب محمد كانوا يحيون لياليهم في معسكرهم بالصلاة وتلاوة القرآن اقتداء بنبيهم، إقرأ يا كراهام في سورة السجدة من القرآن (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) ثم اقرأ في سورة الفتح (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) ثم اقرأ في سورة الذاريات (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالاسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وكذلك كان هدي نبيهم وإمامهم كما وصفه الشاعر بقوله

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

(يتبع)

تقريظ المطبوعات (تأخر عدة أشهر)

كتاب المحلى للامام ابى محمد علي ابن حزم

من حسنات المطابع في هذا العصر أن يسرت لكل مشتغل بفقه الحديث أن يقتني كتاب المحلى مطبوعا أحسن طبع على أجود ورق في أحد عشر جزءا، بعد أن كان من كنوز أغنى الخزائن ، وأندر الذخائر ، وحسبك من فضله ونفعه شهادة سلطان العلماء الامام عز الدين بن عبد السلام انه هو والمغني لابن قدامة أحسن ما كتب المسلمون في الفقه ، فهي تغني عن وصفه وبيان امامة مؤلفة وفضله، وثمن النسخة منه ١٥٠ قرش وهو يطلب من طابعه الاستاذ الشيخ محمد منير الدمشقي ومن مكتبة المنار

كتاب الفتح الربانى — لترتيب مسند الامام أحمد الشيبانى

(وكتاب بلوغ الاماني ، من أسرار الفتح الرباني)

الامام أحمد رحمه الله تعالى إمام أئمة السنة حفظا ورواية ودراية وفقها ، وجرحا وتعديلا، ومسنده أوسع الأصول في الحديث وأعمها فائدة ، والمسانيد موضوعة لحفاظ الحديث يشق على غيرهم الاستفادة منها ، فان كان تلاميذه منهم لم يحتاجوا الى ترتيب أحاديثه على أبواب كتب السنن كما فعل الحافظ أبو داود السجستانى من اعلامهم، فالفقهاء من أتباعه كانوا أحوج الناس الى ذلك؛ ونحن لا ندري هل وجد فيهم من قام بهذه الخدمة أم لا ، وانما ندري انه ليس في الايدي شيء من ذلك، وكأن الله تعالى ادخرها لاحد إخواننا أصدقاء المنار وهو الاستاذ الفاضل خادم السنة السنية الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، ولعمري انه لقد قاسى من العناء في هذا الترتيب مالم يكن يظن ان أحدا يطيقه في هذا العصر ، وسلك فيه سبيلا لم يسبق إلى مثله : جعل الكتاب كله اثني عشر جزءا، وكل جزء منه أربعين ملزمة (كراسة) من ملازم الطبع بالقطع الكامل . وعد أحاديث كل كتاب بالارقام واقتصر في السند على اسم الصحابي وطبعها بحرف كبير مضبوط بالشكل الكامل فهذا كتاب الفتح الرباني، وأما كتاب بلوغ الاماني فهو شرح وجيز له في أدنى الصفحات بحرف أصغر من حرف المتن . يبدأ فيه بذكر السند فتفسير غريب الحديث فالضروري من معناه فتخريجه، فنحث المهتدين بالسنة على المبادرة إلى اقتنائه

﴿ سبب تأخر هذا الجزء من المنار وسيكون ما بعده أكبر وأحسن ﴾

أخرنا هذا الجزء وهو الأول من هذا العام انتظارا لأجوبة المشتركين الذين خيرناهم فى الجزء الماضي بين أكرم الخصال وأشرف الخلال، ولم أرض لأحد منهم إلا ما يرضاه الله عز وجل للذين اورثهم الكتاب من عباده المصطفين لدينه (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ويؤسفنا أن كثيراً منهم رضى لنفسه ما لا يرضاه الله لأحد من أهل دينه ووارثي كتابه حتى ادني الطبقات وهم الظالمون لأنفسهم، رضوا بأن يأكلوا حقه بالباطل سحتاواختاروه على أكله حلالا عن سماح ورضى ، وعفو عما مضى، كما علم كل من قرأ الجزء الماضى، ومنهم من وفى واعتذر فقبلنا عذره، ومنهم من وعد وطلب النظرة الى الميسرة فأنظرناه ، ومنهم من طلب العفو والسماح فسامحناه ، ولكن أكثر مشتركى هذا القطر لما يردوا لنا جواباً فهؤلاء لانرسل اليهم هذا الجزء وان جاز ان يكون بعضهم لم يقرأ خطاب التخيير بعد ، وأما أهل الاقطار البعيدة ولا سيما جزائر الهند الشرقية فموعد رجع الخطاب منهم قد صار قريباً

وعدت بتجديد حياة المنار صورة ومعنى، فأما الورق فكما يرى القراء جودة وحسنا ، وأما الحروف فلما يتم كل ما أوصينا عليه منها ، واما الصحائف فقد زدنا فى هذا الجزء كراسة ونرجو ان نزيد فيما بعده أيضاً حتى يعود مجلده كما كان - اذ كانت مدته اثنى عشر شهرا اوا كثر - إن وفى لنا المشتركون في تجديد النظام، وصاروا يؤدون قيمة الاشتراك فى اوائل العام، ونفتح لهم فيه الابواب الادبية والعلمية التى عزمنا عليها ونحمدالله ان الذين يعرفون قدر المنار لا يعدلون به غيره من المجلات الدينية التى قلما يجدون فيها شيئا الا منقولا من الكتب المطبوعة الرخيصة يمكن ان يستغنوا به عنها ، وما يجدونه فيه من حقائق التفسير وحل المشكلات بالفتاوى وغيرها لا يجدونه فى غيره البتة ، وانما يجدون شيئا تطمئن به القلوب، وتنشرح له الصدور ، كما تراه في تفسير امر يعقوب عليه السلام أبناءه بالدخول من أبواب متفرقة، والحاجة التي كانت فى نفس يعقوب فقضاها بهذه الوصية، فاقرأ جميع التفاسير من اقدمها الى احدثها ثم ارجع الى تفسير المنار، وكذلك سائر ما تقدم وما تأخر من هذه السورة وغيرها، واسأل عقلك واستفت قلبك فى ذلك كله



قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوى «ومنارا» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ برج الاسد سنة ١٣١٣ هـ ش ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٥

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٦٩) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا
أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٠) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ
جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ
لَسَارِقُونَ (٧١) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَفْقِدُونَ؟ (٧٢) قَالُوا نَفْقِدُ
صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٣) قَالُوا
تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ

(٧٤) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ؟ (٧٥) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٦) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ، كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

﴿٦٩ ولما دخلوا على يوسف﴾ في مجلسه الخاص به بعد دخولهم البلد أو باحة القصر من حيث أمرهم أبوهم ﴿ آوى اليه أخاه ﴾ أي ضم اليه أخاه الشقيق وهو بنيامين من دونهم ، وهذا ما كان يتوقع يعقوب أو أكثر مما كان يتوقع من حدب عليه يظهر أثره في وجهه أو عناية يختصه بها ﴿قال إني أنا أخوك ﴾ يوسف الذي فقدتموه في صغره . وقيل إنه لم يصرح له بأنه أخوه الشقيق وإنما قال هذا من باب التجوز والتشبيه ، ويرد هذا تأكيد الجملة الخبرية الاسمية بإن وبتأكيد ضمير المتكلم ، ويدل على الحقيقة قوله ﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ أي فلا يرهقنك بعد الآن بؤس أي مكروه ولا شدة بسبب ما كانوا يفعلون من الجفاء وسوء المعاملة بحسدهم لي ولك. فالا بتئاس افتعال واهتمام بالاسباب التي تجلب البؤس والشقاء.

وفي سفر التكوين أن أباهم أرسل معهم هدية إلى الرجل فوق الفضة التي يشترون بها القمح والفضة التي كانت ردت اليهم لاحتمال أن تكون ردت سهواً وقال لهم « ٤٢ : ١٣ وخذوا أخاكم وقوموا ارجعوا الى الرجل ١٤ والله القدير يعطيكم رحمته أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم الآخر (١) وبنيامين وأنا إذا عدمت الاولاد عدمتهم ١٥ فأخذ الرجال هذه الهدية وأخذوا ضعف الفضة في أياديهم (كذا) وبنيامين وقاموا ونزلوا الى مصر ووقفوا أمام يوسف ١٦ فلما رأى

(١) يعني بأخيهم الآخر شمعون إذ كان على روايته قد أمسكه عنده رهنا ليأتوا ببنيامين.

يوسف بنيامين معهم قال للذي على بيته أدخل الرجال إلى البيت واذبح ذبيحة وهيء (طعاما) لان الرجال يأكلون معي عند الظهر ففعل الرجل كما قال يوسف » وفيه انهم خافوا لما أدخلوا إلى بيت يوسف أن يوقع بهم ويأخذ عبيدهم وحميرهم فقصوا على الرجل قصتهم ومنها ما وجدوه في رحالهم من الفضة المعادة اليهم فطمأنهم وأخرج اليهم أخاهم شمعون وأكرمهم إلى أن جاء يوسف وقت الظهر ليأكل معهم ، فلما جاء قدموا له الهدية وسجدوا له إلى الارض وسألهم عن سلامتهم وسلامة أبيهم أحي هو ؟ (٢٨ فقالوا عبدك أبونا سالم هو حي بعد وخروا وسجدوا ٢٩ ورفع عينيه ونظر بنيامين أخاه ابن أمه وقال : أهذا أخوكم الصغير الذي قلتم لي عنه ؟ ثم قال الله ينعم عليك يا ابني ٣٠ واستعجل يوسف لأن أحشاءه حنت إلى أخيه وطلب مكانا ليبكي ، فدخل المخدع وبكى هناك ٣١ ثم غسل وجهه وخرج وتجلد . وقال قدموا طعاما ٣٢ فقدموا له وحده ، ولهم وحدهم ، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم ، لان المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين ، لانه رجس عند المصريين ٣٣ فجلسوا قدامه البكر بحسب بكوريته والصغير بحسب صغره فبهت الرجال بعضهم الى بعض ودفع حصصا من قدامه اليهم فكانت حصة بنيامين أكثر من حصص جميعهم خمسة أضعاف » وهذه الرواية ذكرها الزمخشري بما هو ألطف مما في سفر التكوين ولم يذكر المصريين بل ذكر انه أجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه ، فقال يوسف : بقي أخوكم وحيداً ، فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ، وقال أنتم عشرة فلينزل كل منكم بيتا (أي حجرة) وهذا لا ثاني له فيكون معي ، فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح ، وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك ، فقال أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك ؟ قال من يجد أخا مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل ، فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له (إني أنا أخوك) الخ وهذا قريب من العقل والفطرة ، وفيه من عواطف الرحم وإيثار الاخ الشقيق على غيره ما سنتكلم عنه في الخلاصة الاجمالية إن شاء الله تعالى

٧٠ ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ تقدم مثله قريبا ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ السقاية بالكسر: المكان الذي يسقى فيه الناس، وولاية سقيهم حيث تكون حرفة (أو مصلحة كما يقال في عرف هذا العصر) ومنه سقاية الحج المعروفة قبل الاسلام وبعده إلى أن كثر الماء بمكة وكثر الحجاج. قالوا: وتطلق على إناء أو وعاء يسقى به وهو الذي عبر عنه في الآية ٧٢ بصواع الملك، وهو كالصاع مكيال معلوم يكال به الحب وغيره، ويلوح لي انه يسمى سقاية إذا كيل به الشراب الذي يوزع على المستقين كالحجاج إذ كانوا يسقون نبيذ التمر (أي نقيعه) فيكفي عدة منهم، لا انه ما يكفي الواحد كالكأس والكوب، وقد أطلقه المفسرون على المكيال الذي يسمى المكوك (مذكر) وهو ثلاث كيلجات، والكيلجة بكسر الكاف وفتح اللام: كيل معروف لأهل العراق وهي منا وسبعة أثمان منا، والمنا رطلان اه من المصباح. وفي الافصاح ان المكوك نصف الويبة وهي اثنان وعشرون مدا بمد النبي ﷺ أو ثلاث كيلجات، والمد مكيل وهو رطلان أو رطل وثلث وهو أيضا ربع الصاع اه فالمكوك على هذا كيلة مصرية، فالسقاية والصواع إذاً كيل من ١٢ من الاردب المصري المعروف الآن، والظاهر أن إضافته إلى الملك يراد به أنه المكيال الرسمي الذي صدر به أمره، لا كما يفهم من أكثر التفاسير انه كان كأسا من الذهب أو الفضة لشربه، فما المناسبة بين كأس الشراب، ومكيال بيع الطعام؟ وفي سفر التكوين انه طاس ليوسف من الفضة كان يشرب فيه ولو لم يسم إلا بالسقاية لصح أن يوافق هذا المعنى والصاع يصح أن يشرب منه لا به

وأما رواة التفسير المأثور فأخرجوا عن ابن عباس في السقاية قال: هو الصواع وكل شيء يشرب منه فهو صواع، وفي رواية أخرى عنه في صواع الملك قال شيء يشبه المكوك من فضة كانوا يشربون فيه، وفي رواية ان نافع بن الازرق قال له اخبرني عن قوله [صواع الملك] قال الصواع الكأس الذي يشرب فيه. قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم أما سمعت الاعشى وهو يقول:

له درمك في رأسه ومشارب وقدر وطباخ وصاع وديسق

وفي رواية عنه: صواع الملك كان من نحاس، وعن عكرمة كان من ذهب على

مايذكرون، وفي رواية أخرى عنه كان من فضة، وعن سعيد بن جبير في صواع الملك هو المكوك الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم الخ وفي رواية انه كان فضة مموهة بالذهب. وهذه الروايات لايمكن أن تكون مأخوذة من اللغة كما علمت وإن ذكرت أقوالهم في بعض كتبها، وبيت الاعشى لايدل على أن الصواع الكأس الذي يشرب الناس به، وروي عن بعضهم أنهم كانوا يسقون به الحمير وهو أقرب، ولا من التاريخ إلا ما ذكرنا ومن عبارة سفر التكوين زادوا عليها ما زادوا مما لا دليل عليه. وليس فيهما حديث مرفوع صحيح ولا ضعيف، فهي إذاً من الاسرائيليات التي لاقيمة لها

﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ أي نادى مناد وقف بينهم ليسمعوا كلهم من التأذين وهو تكرار الاذان وكثرته، وهو الاعلام بالشيء الذي تدركه الاذن، يقال آذنه بالشيء إيذانا: أي أعلمه به، وأذن الناس بكذا أي أعلمهم المرة به بعد المرة ومنه المؤذن بالصلاة ﴿ أيتها العير انكم لسارقون ﴾ العير بالكسر الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تجيء وتذهب، وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير، كأنها جمع عير بالفتح (كبيت) وهو الحمار، وفي سفر التكوين ان قافلتهم كانت من الحمير — أي نادى يا أصحاب العير قد ثبت عندنا انكم سارقون فلا ترحلوا حتى ننظر في أمركم، والظاهر من السياق أن يوسف (ع.م) وضع السقاية في رحل أخيه بيده ولم يكله الى أحد من فتيانه كتجهيزهم الاول والثاني لئلا يطلعوا على مكيدته، وكان من شأنهم أن افتقدوا السقاية لانها الصواع الذي يكيلون به للممتارين فلم يجدوها، فأذن مؤذنهم بذلك أي كرر النداء به كدأب الذين ينشدون المفقود في كل زمان ومكان، وليس في العبارة ولا في السياق مايدل على أنه قال هذا بأمر يوسف حتى يقال كيف أمره بالكذب ويحتاج الى تأويله له كما تكلفه بعض المفسرين. وسرق من باب ضرب والمصدر السرق بالتحرك والاسم السرق والسرقة بكسر الراء.

﴿ ٧١ قالوا وأقبلوا عليهم ﴾ أي قال اخوة يوسف لجماعة المؤذن وقد تركوا رحالهم وأقبلوا عليهم ﴿ ماذا تفقدون؟ ﴾ من فقد الشيء الموجود أي غاب عنه

وعدمه فلم يجده حيث يعهده ، وتفقده تعهده وفتش عنه حيث يعهده

٧٢ ﴿ قالوا نفقد صواع الملك ﴾ أي نفقد الصاع الرسمي الذي عليه شارة الملك ﴿ ولمن جاء به حمل بعير ﴾ أي وسق جمل من الطعام وهو القمح وهذا يدل على أن عيرهم كانت الابل لا الحمير إلا أن يقال إن الاحمال كانت تقدر بما يحمله البعير وان حملت على غيره ﴿ وأنا به زعيم ﴾ يقول المؤذن وأنا كفيل بحمل البعير أجعله حلوانا للذي يجيء به ، يعني ان كان مفقوداً غير مسروق أوجاء به غير سارقه

٧٣ ﴿ قالوا تالله لقد علمتم ﴾ القسم بالتاء خاص باسم الجلالة وسمع : ترب الكعبة ، أي لقد علمتم بما خبرتموه من أمرنا وسيرتنا في امتيارنا الاول وفي عودتنا وإعادتنا لبضاعتنا التي ردت الينا مع غيرها لما نبغيه من الميرة الثانية اننا ﴿ ماجئنا لنفسد في الارض ﴾ أي في أرض مصر بسرقة ولا غيرها من الاعتداء على الحقوق ﴿ وما كنا سارقين ﴾ أي وما كان من شأننا ولا مما يباح في ديننا وأدبنا أن نسرق ، فهذا من نفي الشأن وهو أبلغ من نفي الفعل كما بيناه مراراً

٧٤ ﴿ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ﴾ أي قال فتيان يوسف لهم فما جزاء الصواع على سارقه أو ما جزاء سارقه ان كنتم كاذبين في جحودكم للسرق وادعائكم البراءة والنزاهة ؟

٧٥ ﴿ قالوا جزاؤه من وجد في رحله ﴾ أى جزاؤه أخذ من وجد في رحله وظهر أنه هو السارق له وجعله عبداً لصاحبه ﴿ فهو جزاؤه ﴾ تقرير للحكم وتأكيد له في شرع يعقوب وآله وهو أن يسترق السارق سنة ﴿ كذلك نجزى الظالمين ﴾ للناس بسرقة أمتعتهم وأموالهم في شرعنا ، فنحن أشد الناس عقابا لهم وهذا زيادة في تأكيد قولهم لثقتهم ببراءة أنفسهم ، ولا يجوز أن تجعل هذه الجملة من كلام فتيان يوسف كما قيل

٧٦ ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ﴾ أى فبدأ يوسف بتفتيش أوعيتهم

التي تشتمل عليها رحالهم ابتعاداً عن الشبهة وظن التهمة بالحيلة ﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ أي ثم انه بعد الفراغ من تفتيش أوعيتهم فتش وعاء أخيه فأخرج منه السقاية ، وقيل يصح عود الضمير المؤنث الى الصواع لانه يذكر ويؤنث كما قال الزجاج ، ولكن لا يناسب تأنيث ضميره بعد تذكيره في قوله (ولمن جاء به حمل بعير)

ومن دقائق القرآن التي يعز استخراجها على غير مهرة الغواصين على اللآلىء قوله تعالى (استخرجها) بدلا من أخرجها ، فان الاستفعال في أصل اللغة طلب الفعل لا إيجاده ، والطلب يكون بالقول ويكون بالفعل ، ونكتة البلاغة فيه هنا ان يوسف فعل الاسباب التي انتهت الى خروج السقاية من وعاء أخيه سواء فعل ذلك بيده أو بأمره لغلمانه وأتباعه ، فهذا ابتغاء وطلب لها بفعل أسبابها ومقدماتها، ومن أخرج الشيء من الشيء ابتداء بغير تكلف أسباب ولا مقدمات لا يصح أن يقال استخرجه : يقال أخرج يدك من جيبك ولا يصح أن يقال استخرجها ، وقالوا استخرجت الشيء من المعدن بمعنى خلصته من ترابه ، فصيغة الاستفعال هنا على أصلها كالتي في الآية ، ومنه المستخرجات عند المحدثين فتأمله

﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ مثل هذا الكيد الخفي - وهو التدبير الذي يخفى ظاهره على ناظريه والمتعاملين به حتى يؤدي الى باطنه المراد منه - كدنا ليوسف اي ألهمناه إياه وأوحينا اليه أن يفعله ﴿ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك﴾ هذا استئناف لبيان الكيد له معناه أنه ما كان من شأنه ولا مما تبيحه له امانته لملك مصر أن يخالف دينه أي شرعه الذي يدين الله تعالى به في أخذ أخيه من إخوته ومنعه من الرجوع معهم وهو ملتزم له بتفويضه الحكم في بلاده به ، فأخذه بغير جرم يبيحه له ظلم واستبداد ، وللسرقة عقاب دون أخذ السارق واسترقاقه

بيان هذا الكيد الالهي انه لما كان استبقاء بنيامين عند يوسف مصلحة اقتضتها الحكمة الربانية في تربية إخوته وعقابهم بما فرطوا في يوسف وتمحيصهم وتصفيتهم هو اصطفاء أبيهم أيضا واستحقاقهم إتمام النعمة عليهم يتوقف على أخذه بصفة غير

استبدادية وغير ماتقتضيه شريعة الملك ، وما هو إلا أن يكون بحكم اختياري من إخوته على أنفسهم بمقتضى شريعتهم ، يذوقون به ألمه ومرارته فيما لا لوم به على أحد غير أنفسهم ، ولا سبيل إلى هذا الحكم منهم إلا وقوع شبهة السرق على بنيامين من حيث لا يؤذيه ذلك ولا يؤلمه وقد أعلمه أخوه يوسف به وبغايته .

ولما كانت هذه الوسيلة الوحيدة إلى تلك الغاية الشريفة منكرة الظاهر لأنها تهمة باطلة وكان من شأن يوسف أن يتأثم بها ويتحاماها إلا بوحي من الله تعالى بين تعالى أنه فعل ذلك بمشيئته وإذنه فقال ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ فهو نص صريح في أنه فعل ذلك باذن الله تعالى ووحيه لا أنه هو الذي اخترع هذه المكيدة ، واحتال بها لمخالفة الشريعة ، كما يزعمه علماء السوء أصحاب الحيل التي يخترعونها لاتباع أهوائهم والخروج عن حكمة ربهم ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ في العلم والإيمان كما رفعنا درجة يوسف ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ وأوسع إحاطة وأرفع درجة منه في العلم المطلق إما علمه وإما غير علمه الذي تفوق فيه كما تدل عليه قصة موسى مع الخضر ، فلا يوجد أحد من علماء الخلق يحيط علما بكل شيء فيكون فوقهم كلهم ولا يكون فوقه أحد ، وإنما الذي أحاط بكل شيء علما وهو فوق كل ذي علم على الاطلاق فهو الله رب العالمين عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما

---

(٧٧) قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ، فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ، قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٨) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٩) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ

ماذا قال اخوة يوسف العشرة عندما رأوا السقاية قد استخرجت من وعاء بنيامين؟

٧٧ ﴿ قالوا إن يسرق ﴾ هذا من دوننا وما كانت السرقة من شأننا ودأبنا ﴿ فقد سرق أخ له من قبل ﴾ يعنون يوسف عليه السلام وان العلة فيه وفي أخيه واحدة وهي أمهما، كأنهما ورثا هذه الجريمة منها. إذ لا ينفردان دونهم إلا بها، وهذه التهمة دليل على أن حسدهم لهما لا يزال كامنا في قلوبهم وإن علته الاولى اختلاف الامهات، وزيادة عطف الاب عليهما كما قلنا في تفسير أول السورة. ويجوز أن تكون هذه التهمة كاذبة كقولهم (أكله الذئب) وأن يكون لها شبهة كشبهة سرق بنيامين

اختلف المفسرون في هذا وذاك ورووا فيه روايات لا يعرف لها أصل إلا ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا قال «سرق يوسف (ع.م) صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة فكسره وألقاه في الطريق فعيره بذلك اخوته» وعن سعيد ابن جبير وقتادة مثله غير مرفوع ولم يخرج المرفوع أحد من رواة التفسير المأثور غير ابن مردويه ولم يعتمده منهم أحد بل عبر بعضهم عنه بقيل. وقيل كان الصنم لخاله يعبده فأمرته أمه بسرقته وكانت مسلمة، وقيل سرقه من كنيسة وقيل سرق مكحلة لخالته، وقيل بيضة وقيل دجاجة، وقيل أخذ شيئا من الطعام عن المائدة فتصدق به. وكل هذه روايات إسرائيلية سخيفة كان زنادقة اليهود يضحكون بها على المسلمين وأبلقها وأليقها بالمقام ما أخرجه ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد وهو: قال كان أول ما دخل على يوسف (ع.م) من البلاء فيما بلغني أن عمته وكانت أكبر ولد اسحاق عليه السلام وكانت اليها منطقة اسحاق فكانوا يتوارثونها بالكبر وكان يعقوب حين ولد له يوسف عليه السلام قد حضنته عمته فكان معها واليها فلم يحب أحد شيئا من الاشياء كحبها إياه حتى اذا ترعرع ووقعت نفس يعقوب عليه السلام عليه فأتاها فقال يا أخية (١) سلمي إلي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة، قالت فوالله ما أنا بتاركته فدعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه، فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحاق عليه السلام فحزمتها على يوسف عليه السلام من تحت ثيابه، ثم قالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من أخذها ومن

١) تصغير اخت للتحبب

أصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف عليه السلام فقالت والله انه لسلم لي أصنع فيه ماشئت، فأتاها يعقوب عليه السلام فأخبرته الخبر فقال لها: أنت وذاك إن كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك، فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت عليها السلام، فهو الذي يقول اخوة يوسف عليهم السلام حين صنع بأخيه ماصنع (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) والروايات لا يوثق بها ولا يدل شيء منها على سرقة حقيقية.

﴿ فأسرها يوسف في نفسه ﴾ أي فكتم هذه القولة أو الكلمة التي سمعها يوسف منهم في نفسه ﴿ ولم يبدها لهم ﴾ أي لم يؤاخذهم بها قولا ولا عملا لانه بلغ منهم كل ما أراد من حيث لم يتعرف اليهم ولكنه ﴿ قال أنتم شر مكانا ﴾ أنتم شر في مكانتكم ومنزلتكم مما تعرضون به أو تفترونه، يعني انكم سرقتم من أبيكم أحب أولاده اليه وعرضتموه للهلاك والرق، وقلتم لأبيكم قد أكله الذئب الخ ﴿ والله أعلم بما تصفون ﴾ وهو أنكم كاذبون فهو يجازيكم عليه في الدنيا الآن. والظاهر انه قال هذا في نفسه فهو استئناف بياني، ورجح بعضهم أن هذه الجملة تفسير للضمير في (أسرها) على أنه مما يسميه النحاة الاضمار على شريطة التفسير الذي يجوزون به عود الضمير المتقدم على المتأخر عنه لفظا ورتبة وله شواهد ونازع فيه بعض أئمتهم بما لا محل له في تفسيرنا

٧٨ ﴿ قالوا ياأيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا ﴾ بالغا غاية الكبر في الشيخوخة أو كبير القدر جديراً بالرعاية كما علمت مما قصصناه عليك من خبره وتعلقه به ﴿ فخذ أحدنا مكانه ﴾ بدله إذ استحققت أخذه فهو يحل محله عندك فيما تشاء من الخدمة التي تراد من الرقيق، من حيث ترحم هذا الشيخ الكبير فيما لا يضيرك ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ الذين لا يأبون إحسانا يقدرون عليه أو من المحسنين إلينا في ميرتنا وضيافتنا وتجهيزنا، وهذا الذي نرجوه منك الآن، هو غاية الاحسان

٧٩ ﴿ قال معاذ الله أن نأخذ ﴾ اي نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ ﴿ الا من

وجدنا متاعنا ﴾ وهو الصواع ﴿عنده﴾ وهو بنيامين، ولم يقل الامن سرق متاعنا اتقاء للكذب. فانه يعلم انه ليس بسارق، وقول المنادي «انكم لسارقون» مبني على الظاهر له من فقد الصواع فقد قال ما اعتقد ولم يكن يعلم المكيدة كما تقدم على أنه ليس كيوسف في تحرى الحق ﴿إنا اذاً﴾ أي اذا أخذنا غيره ﴿لظالمون﴾ بمخالفة حكم شرعكم ونص فتواكم من إحدى الناحيتين ولشريعة الملك من الثانية

(٨٠) فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨١) ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨٢) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٣) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٤) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

٨٠ ﴿فلما استيأسوا منه﴾ أي استحكم اليأس في أنفسهم من قبول العزيز لشفاعتهم واستعطافهم لاقامته الحجة عليهم بشرعهم وفتواهم وكون فعله حينئذ يكون ظلما بحكم الشريعتين: شريعتهم وشريعة ملك مصر، أو استيأسوا من بنيامين ان يعود معهم الى ابيهم، فالاستيئاس هنا اخص من اليأس الذي يقع ابتداء من غير

طلب لاسباب الرجاء التي يحول دونه فهو على اصل معنى الصيغة كما قلنا آنفا في كلمة (استخرجها) وعبروا عنه بالمبالغة في اليأس ﴿ خلصوا نجيا ﴾ انفصلوا من كل شيء كانوا فيه وانجمعوا دون يوسف واخيه وفتيانه لا يخالطهم أحد ولا شيء خالصين للمناجاة والمسارة في امرهم كأنهم نجي واحد أو كأنهم نفس المناجاة، فالنجي يطلق بمعنى المناجي كالمشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى (وقربناه نجيا) وبمعنى المصدر أو اسمه اي التناجي والنجوى فيستوي فيه المفرد والمثنى والجمع فيقال هم نجي ونجوى ومنه قوله تعالى (وإذ هم نجوى)

وهذه الجملة في منتهى البلاغة وإعجاز الايجاز، يتمثل للعربي عند سماعها أولئك الاخوة العشرة وقد أعرض كبيرهم عن استعطاف العزيز، وغادر كل واحد رحله وما كان فيه، وانكمش بعضهم إلى بعض وأدنى رأسه من رأسه وأرهفوا آذانهم للنجوى ﴿ قال كبيرهم ﴾ في السن والرأي ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ﴾ أي عهداً مؤكداً بالقسم بالله لتأتنه ببنيامين إلا أن يحاط بكم فلا يبقى منكم أحد وما الوقت ببعيد فينسى ﴿ ومن قبل ما فرطتم في يوسف ﴾ التفريط في الشيء المبالغة في التقصير والاهمال له، وضده الافراط وهو المبالغة فوق الحاجة — أي ومن قبل هذا ماقصرتم في حفظ يوسف بعد وعدكم المؤكد بحفظه، أو تفريطكم فيه، وما قاساه أبوكم من الحزن عليه ﴿ فلن أبرح الارض ﴾ أي فلن أفارق هذه الارض أو أرض مصر ﴿ حتى يأذن لي أبي ﴾ بتركها وبنيامين فيها والرجوع اليه ﴿ أو يحكم الله لي ﴾ بأمر من عنده مما هو غيب في علمه كأن يترك العزيز لي أخي بالهام منه تعالى أو بسبب آخر، فالحكم هنا تكويني لا تكليفي وهو المعبر عنه بالقضاء والقدر ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ لانه لا يحكم إلا بالحق وهو المقدر للاقدار، والمسخر للاسباب

٨١ ﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق ﴾ صواع الملك فاسترقه وزيره العزيز القائم بالامر في مصر عملا بشريعتنا إذ اضطررنا إلى إنبائه بها بعد أن استفتانا. والاكتفاء بكلمة «سرق» من ايجاز القرآن في السكوت عن المعروف.

بالقرينة أو غيرها من الدلائل كقوله تعالى (وجد عليه أمة من الناس يسقون)

﴿ وما شهدنا ﴾ عليه بالسرقة بسماع او إشاعة أو تهمة :ماشهدنا ﴿ إلا بما علمنا ﴾ إذ رأينا الصواع قد استخرج من متاعه ، أو ماشهدنا للعزيز بأن السارق يسترق إلا بما علمنا من شرعنا علما قطعيا جرى به العمل ﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ فنعلم انه يسرق — او فنعلم كيف وقع له هذا :هل هو حق او كيد كيد له؟ ولو كنا نعلم الغيب لما آتيناك الموثق علينا

٨٢ ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ اي وأضف الى شهادتنا هذه سؤال أهل القرية التي كنا نمتار فيها ،وهي مصر ، قال الراغب القرية اسم الموضع الذي يجتمع فيه الناس وللناس جميعا ويستعمل في كل واحد منهما ،ومنه قرية النمل، ويقال قريت الماء في الحوض وقريت الضيف قرى وقري (بالفتح وبالكسر) وقريان الماء مجتمعه

﴿ والعير التي أقبلنا فيها ﴾ أي أصحابها ممن كانوا يمتارون معنا ﴿ وإنا لصادقون ﴾ في شهادتنا سواء أسألت غيرنا ام لا . انتهى ما لقنهم اياه كبيرهم

٨٣ ﴿ قال بل سولت لكم انفسكم امراً ﴾ اي فرجع الاخوة التسعة الى ابيهم فقالوا له ما لقنهم كبيرهم فلم يصدقهم على تأكيدهم للخبر وانما قال لهم مامعناه ان الامر ليس كما تقولون بل سولت لكم انفسكم امراً كيدا آخر اي هيئته وزينته لكم فنفذتموه ، فان لم تكونوا تريدون بأخيكم سوءاً فلم لقنتم هذا الرجل حكم شريعتنا وأفتيتموه به ؟ (فصبر جميل) فالذي علي والمصيبة قد وقعت صبر جميل أتجمل به بين الناس وأشكو امري الى الله دونهم وأنوط الرجاء به وحده

(عسى الله ان يأتيني بهم جميعا) يعني اولاده الثلاث : يوسف وبنيامين وكبيرهم الذي بقي مرابطا في مصر (إنه هو العليم الحكيم) الذي يحيط علما بحالي وحالهم وله فينا حكمة بالغة هي ولا بد بالغة أجلها ، وهذا يلاقي قوله ليوسف اذ قص عليه رؤياه (وكذلك يجتبيك ربك) الى قوله (ان ربك عليم حكيم) فتأمل وتدبر، وتذكر واعتبر

٨٤ ﴿ وتولى عنهم ﴾ أي أعرض عن اولاده قطعا للكلام معهم كرهة له ﴿ وقال يا أسفا على يوسف ﴾ أي يا حزني ويا حسرتي عليه، اقبلي فقد حقت كابنك علي، قال الزمخشري الاسف أشد الحزن والحسرة، وقال الراغب: الاسف الحزن والغضب معا وقد يقال لكل منهما على الانفراد، وذكر أن ابن عباس (رض) سئل عنهما فقال: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظا وغضبا، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حزنا وجزعا اه مختصرا ومن استعماله في الغضب قوله تعالى (فلما آسفونا أنتقمنا منهم) وقال الزجاج: الاصل (يا أسفي) فأبدل من الياء ألفا لخفة الفتحة. والاسف شدة الجزع وقيل شدة الحزن ومناداة الاسف تعبير عن الشعور بأن الوقت وقته فهو قد وقع بحق فان الطبيعة مقتضية له فلا مناص منه لما تجدد من سبب اهتياجه اذ كان ينتظر ان يأتوه من مصر ببشرى لقاء يوسف كما علم مما قلناه في تفسير الحاجة التي كانت مطوية في سويداء قلبه اذ نصح لهم بالدخول من ابواب متفرقة، فخاب امله وحل محله ذهاب ابنه المسلي عنه، ولم يشركه معه بالاسف عليه لأن مكان حب يوسف والرجاء فيه، قد ملأ سويداء القلب ومحانيه، وانما محل غيره وراء شغافه وجداره الخارجي

﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ اي عميتا أو اصابتهما غشاوة بيضاء ذهبت ببصرهما موقتا مع بقاء عصبهما المدرك للمبصرات صحيحا ﴿ فهو كظيم ﴾ أي مملوء غيظا على أولاده قد كتمه في نفسه وفسروه بالمغموم وبالمكروب وبالكمد والمكمود، وقال قتاده: كظم على الحزن فلم يقل الا خيرا، وفي لفظ يرد حزنه في جوفه ولم يتكلم بسوء. وهو من كظم السقاء إذا شده بعد ملئه، و كظم البعير إذا ترك الاجترار، والكظم مخرج النفس ويقال لمن يكتم ما في نفسه ككتم نفسه كظيم ومكظوم، والحزن عرض من أعراض النفس الطبيعية لا يذم شرعا إلا اذا بلغ بصاحبه الجزع أن يقول أو يفعل ما لا يرضي الله تعالى كما قال سيد الصابرين ﷺ عند موت ولده ابراهيم وقد جعلت عيناه تذرفان فقال له بن عوف: وأنت يا رسول الله! فقال « يا ابن عوف انها رحمة » ثم أتبعها باخرى « فقال ان

العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول الا ما يرضي ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم محزونون » رواه الشيخان وغيرهما

ولكن الأنفس العالية لا يبلغ منها الحزن غايته إلا اذا كان المحرك له أمر إلهي يليق بها كما يعلم من الآية الآتية في جواب يعقوب لأولاده على عذلهم له

وفي التفسير المأثور عن النبي ﷺ قال « إن داود عليه السلام قال يارب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلني لهم رابعاً . فأوحى الله اليه أن ياداود إن ابراهيم ألقي في النار بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وان اسحاق بذل مهجة دمه بسببي فصبر وتلك بلية لم تنلك ، وان يعقوب أخذت منه حبيبه فابيضت عيناه من الحزن وتلك بلية لم تنلك » وهذا حديث مرسل أخرجه ابن أبي حاتم من طريق علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس ، وعلي بن زيد بن جدعان هذا ضعيف له مناكير ضعفه الامام أحمد كما روى ذلك عنه أولاده : حنبل وعبد الله وصالح وغيرهم وقال الجوزجاني : واهي الحديث ضعيف وفيه ميل عن القصد . قالوا وكان رافضيا وقد اختلط في آخر عمره وقالوا انه كان يقلب الاحاديث ورفاعا أي يرفع إلى النبي ﷺ ما ليس بمرفوع . وقال الحافظ ابن كثير في هذا الحديث : وهذا مرسل وفيه نكارة فإن الصحيح أن اسماعيل هو الذبيح ولكن علي بن زيد ابن جدعان له مناكير وغرائب كثيرة والله أعلم . وأقرب ما في هذا ان الاحنف ابن قيس رحمه الله حكاه عن بعض بني اسرائيل ككعب الاحبار ووهب ونحوهما والله أعلم فان بني اسرائيل ينقلون ان يعقوب كتب الى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رد ابنه : إنا أهل بيت مصابون بالبلاء . فابراهيم ابتلي بالنار واسحاق بالذبح ويعقوب بفراق يوسف في حديث طويل لا يصح والله أعلم اه

---

(٨٥) قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٦) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٧) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا

مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ

٨٥ ﴿ قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف ﴾ أي لا تفتأ ولا تزال تذكر يوسف وتلهج به لا تفتر ولا تنى همه ﴿ حتى تكون حرضا ﴾ أي مشفيا على التلف ومشرفا على الهلاك من شدة الحزن والجزع ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ بالفعل فتموت كمدا

الاصل في فعل فتيء أن يستعمل منفيا كاخواته : « مازال وما برح وما انفك » فيقال مافتيء ولا تفتؤ فحذف (لا) مع القسم لانه لا يلتبس بالاثبات لان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي . ومن الشواهد عليه قول أمرىء القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي إليك وأوصالي

والحرض مصدر حرض (كتعب) إذا أشرف على الهلاك من مرض أو حزن أو خوف فهو حرض بالتحريك يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا لانه مصدر وقال الراغب : الحرض مالا يعتد به ولا خير فيه ولذلك يقال لما أشرف على الهلاك . وفي الأساس : نهك فلان مرضا ، حتى أصبح حرضا ، وهو المشفي على الهلاك ولا تأكل كذا فانه يمرضك ويحرضك اه

٨٦ ﴿ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾ أصل البث تفريق المجتمع وإثارة الكامن ، وبث النفس إظهار ما انطوت عليه من الغم أو السر ، أي لم تلوموني وأنا لم أشك اليكم ولا الى أحد من الخلق كمدي الذي ضاق صدري عن حبسه فبثثته ، وحزني الذي أمضني كتمانه فأفشيته بهذه الكلمة (يا أسفي على يوسف)؟ إنما أشكو ذلك إلى الله وحده ﴿ وأعلم من الله ﴾ في ابتلائي بفراق يوسف وخفاء حاله علي ﴿ مالا تعلمون ﴾ أعلم منه انه حي يرزق وان الله يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب وذريته به في الدنيا والآخرة ، وأرى البلاء يقتفاوشكم من كل جانب

بذنوبكم وبتفريطكم بيوسف من قبل، وبأخيه الذي كان يسليني عنه من بعد، وأنتم تظنون أن يوسف قد هلك، وأن بنيامين قد سرق فاسترق، وتحسبون أني بحزني ساخط على قضاء الله في شيء أمضاه فلا مرد له، وأنا أعلم ان له أجلا فيه هو بالغه، كلا، هذا ما يدل عليه حال يعقوب (ع . م) ثم راجعت الدر المنثور فرأيت في تفسير الآية روايات وعظية لا يصح منها شيء ولا يليق بنبي الله مبنية على عدم التفرقة بين الشكوى من الله والشكوى الى الله التي هي مناجاة واسترحام، ومن أكذبها ما عزاه وهب بن منبه الى التوراة وانما الفهم الصحيح منها ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) في تفسير (واعلم من الله ما لا تعلمون) يقول اعلم ان رؤيا يوسف حق وأنني سأسجد له

٨٧ ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ أي اذهبوا إلى مصر فتكلفوا أن تدركوا بحواسكم من سمع وبصر شيئا من حال يوسف وأخيه حتى تكونوا على يقين من أمرهما ﴿ ولا تيأسوا من روح الله ﴾ أي فرجه وتنفيسه عن النفس لهذا الكرب، وترويحه بما ترتاح له الروح ويطمئن به القلب ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ بقدرته وسعة رحمته الذين لا يتجاوز علمهم بشئون أنفسهم وأحداث زمانهم دائرة ظنونهم واختبارهم الناقص الى ما لله عز وجل في عباده من حكم بالغة ولطف خفي، فاذا تقطعت بهم الاسباب دون ما يبغونه من كشف ضر أو جلب خير بخعوا أنفسهم أسفا، وانتحروا بأيديهم هما وحزنا، فأنفع ما يمتاز به المؤمن على الكافر أن المصائب والشدائد لا تقنطه من رحمة ربه وتفريجه لكربه، وان عظم عليه المصاب وتقطعت به الاسباب

ثم اعلم أن الروح (بالفتح) ما ترتاح له الروح (بالضم) وهما من مادة الريح، كما ان مرادفها وهو النفس (بالفتح) من مادة النفس (بالتحريك) وهو نسيم

الهواء الذي يتنفسه الانسان فيطهر دمه ويحفظ حياة نفسه الحيوانية، وما سميت اللطيفة الربانية المدركة العاقلة نفسا وروحا - وهي من عالم الغيب - إلا لأن نسيم الهواء أقرب ما في عالم الشهادة اليها في لطافتها وما في معناها من معنى الحياة. قال الشاعر:

* وحل من نفسي محل النفس *

فروح الله لطفه الذي هو واسطة بين الحياتين الروحية والحيوانية بما فيه من تنفيس كرب النفس ، ويسمى الفرج بعد الضيق نفسا (بالتحريك) ومنه حديث « إني لأجد نفس الرحمن من ههنا » وأشار إلى اليمن وله تتمة رواه الطبراني عن سلمة بن نفيل، وحديث « لا تسبوا الريح فانها من روح الله تعالى » الخ رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة والنسائي والحاكم عن أبي

---

(٨٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَـٰٓأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٩) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ (٩٠) قَالُوٓا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ؟ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَآ، إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩١) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ (٩٢) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ (٩٣) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ

﴿ الفصل الرابع في الفرج القريب، وعطف الحبيب على الحبيب ﴾

٨٨ ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضرّ ﴾ أي أصابنا ضر المجاعة من هزال وضعف ، شكوا هذه المرة مالم يشكوا من قبل ليروا تأثير الشكوى فيه ، وغرضهم الاول التحسس لا الامتيار ، شعروا أن أيامهم يرجح أنه هو يوسف فأرادوا أن يروا تأثير هذا الاستعطاف فيه ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ رديئة من شأنها أن يدفعها التجار ويردوها احتقاراً لها ، إذ لم يبق عندنا غيرها ، من أزجى الشيء وزجاه إذا دفعه برفق ، ومنه (ألم تر أن الله يزجي سحابا) وفي المصباح : وبضاعة مزجاة تدفع بها الايام لقلتها ، وأزجيت الامر أخرته ، وذكر بعض رواة المأثور نوع هذه البضاعة ولا مستند له ، وهذه العودة بين مصر وفلسطين لم تذكر في سفر التكوين ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ كعادتك الحميدة ، ومقتضى إحسانك ﴿ وتصدق علينا ﴾ بما تزيده على حقنا ببضاعتنا بعد اغماضك عن رداءتها ﴿ إن الله يجزي المتصدقين ﴾ باخلاف ماينفقونه والمضاعفة لهم بما هو خير منه ، بالغوا في التذلل والاستماحة وإظهار الذل والحاجة لما ذكرنا آنفا من تحسس تأثير ذلك في معارف وجهه ، وجرس صوته ، ومغالبة دمعه ، واستشكل المفسرون طلب الصدقة وهي لا تحل للانبياء قياساً على خاتمهم عليه وعليهم السلام ، والقياس مع الفارق ، والجماعة لم يكونوا أنبياء ، وما فعلوه ممه كاف في الدلالة على بعدهم عن النبوة واختصاصه بها دونهم كما تقدم ، ولقد كان تحسسهم في موضعه ، فماذا قال يوسف ؟

٨٩ ﴿ قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه ﴾ أي هل علمتم الآن ما آن لكم أن تعلموه بالتجارب في هذه السن من عاقبة مافعلتم بيوسف من قبل وأخيه بنيامين من بعد ، وقد قرب العهد ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ قبح فعلكم ، في نظر ربكم ، وحكم شرعكم ، وحقوق بر الوالد ، ورحمة الرحم ، أي في الحال التي كان يغلب عليكم الجهل بهذه الحقوق ، وبعاقبة البغي والعقوق ، ويجوز أن يكون مراده بالجهل مايقابل العقل والحلم ، لا ما يضاد العلم ، وهو الطيش والنزق واتباع الهوى

وطاعة الحسد والاثرة ، والمختار عندي الجمع بين المعنيين فكلاهما كان واقعا

قال يوسف هذا تمهيداً لتعريفهم بنفسه إذ آن أن يصارحهم بها ، وقد بلغت الاقدار من تربيتها له ولهم غايتها، ولم يبق بعد هذا التمهيد إلا التصريح، وتأويل رؤياه التي كانت السبب الاول لكل هاتيك الافاعيل ، وقد كان هذا التمهيد عجبا في بلاغته ، وما يدل عليه من شعور يوسف الصديق النبي (ع.م) وخلقه ودينه وأدبه ، إذ فصل بهذا السؤال الوجيز الساذج في قضية يحار في الفصل فيها أوسع القضاة عدلا ورحمة ، ويعيا بالتعبير المرضي عنها أبلغ الادباء علما وحكمة ، وهي مقابلة طرفين تعمد أحدهما اقتراف جناية على الآخر طال عليها المدى عشرات السنين ، وكانت غايتها أن يقف الجاني بين يدي المجني عليه وهو يجهله موقف البائس الفقير ، المستجدي الحقير ، على ما نشأ عليه من عزة النفس ، وشرف الحسب والنسب ، واقتضت الحال أن يتعارفا وهما اخوان ، وأن يتناسيا ما كان ، فكيف يتقابلان ؟

المقام مقام خجل من الجاني وخسوف وكسوف، واسوداد وجوه، وتنكيس أبصار، واعتذار واستغفار ، يذيب الفؤاد ويخرس اللسان ، يقابله حلم وعفو وكرم من المجني عليه ، ربما كان الاعتزاز بها على الجاني لأول وهلة أقتل لعزة نفسه وإبائه من العتاب ومما هو أشد منه وهو التأنيب والتثريب، فكيف كان المخرج ليوسف عليه السلام ، من هذا الأزق الذي تحار فيه الافهام ، ويضطرب فيه الوجدان ، بما يكون خير أسوة لصلة الارحام ، ومحو الاساءة بالاحسان ؟

ذكر اخوته بذنوبهم قبل أن يتعرف اليهم ، تذكيراً مجملا مقرونا بذكر العذر الطبيعي دون الشرعي ، وهو الجهل بقبح الذنب في نفسه وبسوء عاقبته، وبالجهالة التي تزينه لفاعله، وتمكن لنزغ الشيطان من نفسه الامارة بالسوء ، بل بهما جميعا . ذكرهم هذا بسؤالهم سؤال العارف باستفهام التقرير، لا التقريع والتوبيخ كما قيل ، فانه رده ما يأتي من نفي التثريب ، واستغفار العفو والصفح ، وأما سهم أخيه من فعلتهم فهي ما اقتضاه إشراكهم إياه في حسدهم له من أول نشأته الدال عليه قولهم أولا (ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) وقول أبيهم آخراً (هل آمنكم

عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل؟) واتهامه إياهم بأنهم ما أفتوا عزيز مصر باسترقاقه بالسرقة إلا بما أضمروه له من حقد، وما سولته لهم أنفسهم من أمر، ولا يخفى على ذكي ولا بليد، كيف يعيش الفرد المحسود الضعيف، مع جماعة تحسده وتكيد له

هذا ما أفهمه من عرض القضية على مانعلم من طباع البشر وسنة الله في الاجتماع ويقرب منه من إحدى النواحي ويبعد عنه من سائرها ما قاله الزمخشري وقد افترصه لترجيح قول جماعته (المعتزلة) على خصومهم (الاشعرية) في مسألة التقبيح والتحسين، وإنما نورده لبلاغة عبارته واتباع غيره له فيه ثم نشير إلى ما فيه وهو:

(قال هل علمتم) أتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟) لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه، يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه؟ لان علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا، إيثاراً لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور، ويتشفى المغيظ المحنق، ويدرك ثأره الموتور. فلله أخلاق الانبياء ما أوطأها وأسجحها، ولله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها، وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين، وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة، روي أنهم لما قالوا (مسنا وأهلنا الضر) وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول. وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب:

«من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله إلى عزيز مصر. أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاما، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به

فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا، فان رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام» فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك. وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب : اصبر كما صبروا ، تظفر كما ظفروا اه قول الزمخشري وأقره ابن المنير وغيره عليه ، بل اتبعوه فيه

أقول : أما ماقاله في تفسير سؤالهم عن العلم بأنه نفى علمهم بقبحه وعلله بأنهم لو علموه لما فعلوه فهو تكلف مخالف لطباع البشر فانهم يفعلون القبيح وهم يعلمون قبحه طاعة للحسد والاثرة ، وترجيحا للهوى على الهدى الخ ، وأما الرواية التي ذكرها في كتاب يعقوب (ع.م) الى عزيز مصر فهي من الاسرائيليات الباطلة، وأسلوبه اسلامي مصنوع ، ومن أغراض كعب الاحبار ووهب بن منبه فيه المروي عنه اقناع المسلمين بأن الذبيح إسحاق لا اسماعيل كما تقدم في تفسير الآية ٨٦ خلافا للمتواتر عند العرب الذي أقره الاسلام وجعلت الاضاحي وهي سنته في فداء ولده اسماعيل من مناسك الحج حيث فداه الله في منى من ضواحي مكة وطن اسماعيل فبث زنادقة اليهود في التفسير المأثور أن الذبيح اسحاق، وقد صار هذا مذهبا يؤخذ بالتقليد ويحرف لاجله تفسير القرآن ، فان القصة في سورة الصافات صريحة في أن الذبيح هو ولد ابراهيم الاول (اسماعيل) وأن الله قد بشره على احسانه فيها بولده الثاني (اسحق) إذ قال في آخرها ٣٧: ١٠٦ (إن هذا لهو البلاء المبين ١٠٧ وفديناه بذبح عظيم - الى قوله - ١١٢ وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين)

---

٩٠ ﴿قالوا أءنك لأنت يوسف﴾ قرأه ابن كثير (إنك) بهمزة واحدة والجمهور بهمزتين ، كان سؤاله اياهم عما فعلوا بيوسف وأخيه سؤال عارف بأمرهم معهما من أوله البعيد جداً الى آخره القريب جداً ، مصداقا لما أوحاه الله اليه حين ألقوه في غيابة الجب (وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) ودليلا راجحا على أنه هو يوسف إذ يبعد أن يعرف غيره هذا، فأرادوا أن يتثبتوا منه بالعلم اليقين الذي يذهب بكل احتمال لما يعترضه من الشبهة بوجوده في هذا المنصب

السامي فوجهوا اليه الاستفهام بجملة اسمية مؤكدة بان في اسمها وباللام في خبرها وبضمير الفصل بينهما ، يعنون أمن المؤكد القطعي الذي لاريب فيه انك أنت يوسف ؟ ولولا هذا لكان يكفيهم أن يقولوا : أأنت يوسف ؟

ومن العجيب أن يتكلف المفسرون سببا لهذا السؤال ينتحلونه أو ينقلونه عمن يتقولون مثله من رواة الاسرائيليات كقول بعضهم إنه تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم ، وما كان هذا المقام معهم بمقام تبسم ، وكان أولى منه بالتبسم يوم ضيافتهم ، ومجالس مؤاكلتهم ، وقول آخر إنه رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء !! ونقول : من ذا الذي رأى هذا القرن فرواه باسناده المتصل في هذه القرون الطويلة ؟ ولم يسلم من التكلف أو السخافة من قارب الصواب منهم فقال إنهم عرفوه بالخطاب الذي لا يصدر إلا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم ، نعم إنهم عرفوه بخطابه معرفة ظنية راجحة كما قلنا ، ولكنه خطاب لايدل على الاسلام ولا على نسب ابراهيم ﷺ بل خطاب عارف بما وقع ، وكونه مسلما من سنخ ابراهيم ليس من مدلول خطابه بنص ولا فحوى وإن كان هو الواقع بالفعل ، فلله العجب من افتتان جماهير الناس بهذه الروايات وتقليد بعض المفسرين فيها لبعض ، من غير تأمل ولا بحث ، كأنها من كلام الله الذي يجب تلقيه بالقبول والتسليم

﴿ قال أنا يوسف ﴾ صرح باسمه العلم لانه نص قطعي الدلالة مطابق للسؤال ﴿ وهذا أخي ﴾ الذي فرقتم بيني وبينه ﴿ قد منّ الله علينا ﴾ فجمع بيننا على أحسن حال في ديننا ودنيانا ﴿ إنه من يتق ويصبر ﴾ أي ان الامر الواقع والحق الثابت باستقراء التجارب هو ما تنطق به هذه القضية : من يتق الله فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما جرت به سنته في الاجتماع البشري ، ويصبر على ما أصابه من المصائب والمحن وفتن الشهوات والاهواء حتى يبلغ الكتاب أجله فيها فلا يستعجل الاقدار بشيء منها قبل أوانه ﴿ فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ بل يوفيهم أجورهم في الدنيا ثم في الآخرة ، علق الجزاء على الاحسان في الاعمال فوضع الظاهر موضع

الضمير، فلم يقل لا يضيع أجرهم لأنه تعليق على الوصف الجامع الذي هو علته، وبيان للقاعدة العامة في السنة الالهية فيه، وتواضع في وضع التعريض بنفسه في موضع التصريح بأنه كان عليه السلام كذلك في تقوى الله العامة، وفي الصبر على الشدائد المرهقة، وعن الشهوات الفاتنة، ولا غرو فقد شهد له ربه بأنه من المحسنين، وفي الآية تذكير بأن من لم يكن من المتقين الصابرين، بأن كان من المطيعين للنفس الامارة بالسوء، والمتبعين لنزغات الشيطان، فان عاقبتهم الذل والخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، وأشد وأبقى، إلا من تاب وعمل صالحا ثم اهتدى

٩١ ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ أي اختارك وفضلك علينا في كل شيء من خلق وخلق وعلم وعمل وجزاء واحسان: يدل على هذا العموم السكوت عن متعلق الايثار والعلم بأنه الحق الواقع بالفعل ﴿ وإن كنا لخاطئين ﴾ أي والحال ان شأننا معك هو أنا كنا مذنبين متعمدين للخطيئة لاعذر لنا فيها عند الله ولا عند الناس. أصل الايثار التفضيل بالآثار، وهي مايؤثر ويروى من الفضل أو مايظهر أثره أو يبقى، والخاطي. فاعل الخطء (بالكسر) وهو الذنب. قال في المصباح: والخطأ مهموز بفتحتين ويقصر ويمد وهو اسم من أخطأ فهو مخطيء، قال أبو عبيد خطيء خطأ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد، وقال غيره خطيء في الدين وأخطأ في كل شيء عامداً كان أو غير عامد، وقيل خطيء إذا تعمد مانهى الله عنه فهو خاطيء، وأخطأ إذا أراد الصواب فصار الى غيره، فان أراد غير الصواب وفعله، قيل قصده أو تعمده، والخطء الذنب تسمية بالمصدر، وخطأته بالتثقيل قلت له أخطأت أو جعلته مخطئا، وأخطأه الحق إذا بعد عنه، وأخطأه السهم تجاوزه ولم يصبه، وتخفيف الرباعي جائز اه

٩٢ ﴿ قال لاتثريب عليكم اليوم ﴾ أي لامحل لأي شيء من اللوم والتعنيف عليكم في هذا اليوم الذي هو مظنته فانني أعده يوم عفو وسماح وعيد، ودخول في عصر جديد، قال في المصباح: ثرب عليه من باب ضرب عتب ولام، وثرّب (بالتشديد) مبالغة وتكثير ونقل بعض المفسرين عن ثعلب: ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه،

قال ابن الانباري قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب ، وقال تبع :

فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

ولكن يوسف عليه السلام عفا عنهم عفو غير مثرب وتركهم لمغفرة الله تعالى وعفوه ورحمته فقال بعد نفي جنس التثريب ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ دعا لهم بان يغفر الله لهم خطاياهم معه إذ غفر هو لهم والله أولى وأحق بالمغفرة وهو أرحم الراحمين من الاقربين وغيرهم ، والاصل في الدعاء أن يكون بفعل المستقبل وإنما يذكر بالفعل الماضي للتفاؤل ، ويحتمل أن يتعلق الظرف (اليوم) بالدعاء على سبيل البشارة ، وقد تمثل النبي (ص) بالآية يوم الفتح فروي عنه أنه طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال « ماذا تقولون أو ماذا تظنون ؟» قالوا نقول خيرا ونظن خيرا : ابن اخ وابن عم كريم ، وفي رواية حليم رحيم ، فقال « أقول كما قال أخي يوسف (لا تثريب عليكم) الآية ، فخرجوا كأنما نشروا من القبور . أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وأبو الشيخ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقد كانت أخلاقه ﷺ أكرم وأحلم وأسمح وأسجح فان قومه أخرجوه (نفوه) وقاتلوه لأجل دينه وعذبوا ضعفاء أتباعه وقتلوا منهم خلقا كثيرا وكان له بحسب نظام الحرب المتبع عندهم وعند غيرهم أن يقتلهم تقتيلا أو يتخذهم عبيدا

٩٣ ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ وأشار الى قميص كان على بدنه أو بيده ﴿ فالقوه على وجه أبي ﴾ عند وصولكم اليه بلا تأخير ﴿ يأت بصيراً ﴾ أي يصر بصيراً في الحال أو يعود ويرتد بصيراً . هذا ما يدل عليه عطف هذه الجملة الشرطية بالفاء . وسأتكلم على ما قيل في القميص وسبب تأثيره ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ من الرجال والنساء والذراري لأجل الاقامة عندي في جواري آمنين

(٩٤) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٥) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٦) فَلَمَّا

أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٧) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٨) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

---

٩٤ ﴿ ولما فصلت العير ﴾ أي انفصلت عير بني يعقوب من عريش مصر أو حدودها قافلة الى أرض الشام، يقال فصل من البلد وانفصل منه ﴿ قال أبوهم ﴾ لمن حضره وكان عنده من أحفاده وغيرهم ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾ في نفحة طيبة هبت علي من روحه أو أشم رائحة ذاته كما عرفتها في صغره ﴿ لولا أن تفندون ﴾ أي لولا تفنيدكم إياي أي نسبتي إلى الفند وهو بالتحريك فساد الرأي، وضعف العقل والخرف من سوء الكبر، لصدقتموني في انني أجد رائحته حقيقة غير متوهم وانه حي قد قرب موعد لقائه والتمتع بقربه ورؤيته، عن ابن عباس قال: لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف قال إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون: تسفهون، فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام، وفي رواية من عشرة أيام وفي رواية ثمانين فرسخا، والمراد من مسافة بعيدة جداً اختلفت الاقوال فيها لتعذر العلم بتحديدها، وصاحب الوجدان لا يبالي ما يقال فيه إلا مراعاة لحرمان العاذل من الشعور بمثله، وعلمه بانه لو شعر لعذر وما عذل، قال جرير بن عطية:

يا عاذلي دعا الملام وأقصرا طال الهوى واطلتما التفنيدا

---

٩٥ ﴿ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم ﴾ أي قال حاضروا مجلسه تالله إنك لفي خطئك الذي طال أمده في اعتقادك أن يوسف حي يرجى لقاؤه وقد قرب، أو في الافراط في حبه والاصرار على اللهج به، وتوهمك وجدان رائحته، فالضلال يطلق على الخطأ في الطريق الحسي والمعنوي ومنه الخطأ في الرأي والاعتقاد والحب

والبغض والعمل ولا غرو فللخلي أن يقول في عذل الشجي مايشاء ، فاذنه عن العذل صماء

لايعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

سلوتي عنكم احتمال بعيد وافتضاحي بكم ضلال قديم

كل من يدعي المحبة فيكم ثم يخشى الملام فهو مليم

٩٦ ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ وهو ابنه الذي يحمل القميص من يوسف ، وعن ابن عباس والضحاك أنه البريد ، ويتجه أن يكون قد سبق العير اليه بريداً وبشيرا ومن المعقول ما قيل من أنه هو الذي حمل اليه قميصه الملطخ بالدم الكذب تحرى ذلك ليمحو السيئة بالحسنة ، قالوا وهو يهوذا ، وهذا الرأي يحتاج الى رواية مثله في حسنه تؤيده ، فمن أين جاء به مجاهد والسدي ؟

﴿ ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ﴾ أي ألقى القميص على وجه يعقوب فعاد من فوره بصيرا كما كان ، وزاد بعضهم انه عادت اليه سائر قواه ، ولا غرو فالشفاء من الامراض وتجدد قوى الارواح والابدان بتأثير السرور العظيم غير منكر عند الاطباء ، ولا في تجارب الناس ، فما القول بتجارب الانبياء والاصفياء ، وبما يزاد لهم بعناية الله من خوارق العادات ، والآيات البينات ، ورووا انه سأل البشير عن دين يوسف فيما هو فيه من زينة الملك وعظمته ؟ فقال الاسلام . قال الآن تمت النعمة !! وأقول إن مخترع هذا السؤال لقليل العلم وضعيف الذوق ، فلو كان يعقوب يخاف على دين يوسف فيشك فيه لما كان وجده به ما علمنا ، وحزنه عليه ما قرأنا وسمعنا ، بل كان مؤمنا منذ قص عليه رؤياه بأن الله يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب به كما أتمها على أبويه من قبل ابراهيم واسحاق ، فكيف يسأل عن دينه سؤال الشاك المرتاب ، تأملوا كيف أجاب العاذلين بما كان عليه من العلم لالهي القطعي ؟!

﴿ قال إني أعلم من الله مالا تعلمون ﴾ فذكرهم الآن إذ عاد بصيرا بما قاله لهم حين ابيضت عيناه من الحزن وهو انه يعلم من أمر يوسف مالا يعلمون ، وان علمه هذا وحي من الله عز وجل لا من خطرات الاوهام ، ولا من أخيلة الحب والغرام ، واننا في هذا المقام نبسط القول في وجدان يعقوب ريح ولده مع التصريح

بأنه يكفي احدنا الايمان بظاهره من غير بحث عن حقيقته وصفة وقوعه، ومادام مصدقا للقرآن، فهو في حظيرة أهل الايمان

﴿ بحث في وجدان يعقوب رائحة يوسف والوجوه فيها ﴾

قد ثبت عند علماء الغرب في هذا العصر ان الرياح تحمل الغبار وما فيه من المواد المختلفة من أفريقية الى أوربة مثلا في مسافات أبعد مما بين مصر وأرض كنعان من بلاد الشام العليا (فلسطين) وهي تحمل رائحة ماله رائحة منها بالطبع، ولكن الغرابة في شم البشر لها من مسافة بعيدة كهذه، وبعض الحيوان من الوحوش والحشرات أقوى وأبعد شما من الناس؛ والروائح منها القوي والضعيف، ومن أضعفها رائحة جسم الانسان وعرقه وما يصيب ثوبه منها، ومن الناس من يميز بين روائح الاسرة الواحدة بل الاخوة منهم، ولكن مانحن فيه من خوارق العادات، وخواص عالم الغيب لا سنن المواد والاجسام، فقد قيل ان قميص يوسف هذا كان لجده ابراهيم صلى الله عليه وسلم وان جبريل جاءه به من الجنة حين ألقي في النار فكانت عليه برداً وسلاما. وان الرائحة التي وجدها يعقوب هي رائحة الجنة، والمعجزات لا تنكر على أهل هذا البيت المرحوم المبارك عليهم السلام، ولكن أفرادها لا تثبت عند الناس إلا بدليل حسي أو بوحي إلهي، والوحي يقول حكاية عن يعقوب إنه وجد ريح يوسف لا ريح الجنة من قميصه وانما ريح قميصه بالطبع ريح بدنه

وقد ثبت عند الروحانيين أن للارواح رائحة بل روائح مختلفة متفاوتة، فللعصاة الفاسقين روائح خبيثة تنتشر في الهواء فتدنسه على الذين يشمونها من طاهري الارواح، كما تنتشر فيه ميكروبات أنفاس المرضى فتفسده، يعرف هذا أطباء الاجسام، ويعرف ذاك أطباء الارواح، قال بعضهم لمريده: قم يابني نستنشق نسيم الصباح قبل أن تدنسه أنفاس العصاة، وقد جهل هذا أبو العتاهية إذ قال:

أحسن الله بنا أن المعاصي لا تفوح

فهي تفوح ولكن لا يدرك رائحتها إلا بعض الافراد في بعض الاوقات، وكذلك الروائح الذكية، للارواح الزكية، انما تدرك في بعض الاحوال التي تغلب

فيها الروحانية ، أو توجه الارادة ، وقد يشمها غيرهم بتوجههم كما تواتر عن الشيخ على العمري من معاصرينا وحكى الشيخ محيي الدين في الفتوحات أن الشيخ عبد القادر الجبلي كان يعرف الرجال - أي درجاتهم في المعرفة - بالشم ، فجاءه محمد بن قائدو كان يظن ان له درجة عالية في المعرفة ، فشمه عبد القادر فأنكره وقال له لا أعرفك ! فملت همة ابن قائد حتى التحق بالافراد ، وكان لشيخنا الاستاذ الامام أخت روحانية فكانت تصعد الى سطح دارهم في محله نصر وتستنشق ريح أخيها وهو في الازهر وتعرف في بعض الاحيان من رائحته أنه خرج من مصر قاصداً بلدهم فتخبر به فتصدق. أخبرني شيخنا بهذا وقلما كان يتحدث بمثله الى أحد من أصحابه لأن رأيه أنه لا ينبغي التحدث بذلك إلا لاهله أو من لا يفتتن به ، فان من الناس من يكذب هذا وكل ما هو غير طبيعي معتاد من أمور الناس ، ومنهم من يصدق كل ما يسمعه منه وأكثره دعاوي باطلة وخرافات تستغل وتستثمر ، إذ يظن مصدقوها ان أصحابها أولياء قديسون ، وانهم يضرون وينفعون ، فتفسد عقائدهم بجعلهم شركاء لله في التصرف في العالم بما هو مخالف للسنن العامة في لاسباب والمسببات

فأنا أكتب هذا لتعليل آية الله لهذين النبيين عليهما السلام بشيء هو من سنة الله في بعض الروحانيين ، مع اتقاء الكذب عليهم وعلى الله بدعوى خاصة بعالم الغيب لم يثبت بها النقل الصحيح ، اعني قولهم ان القميص من الجنة الخ

(فان قيل) عهدناك مفسرا يجمع بين نصوص الوحي وقضايا العقل وتجارب العلم ، فهل تقول إذن إن الآية تثبت أن للارواح رائحة قد تشم من المسافات البعيدة كبعد أرض مصر من أرض كنعان في فلسطين وانه يجب علينا دينا أن نؤمن بهذا ؟ أم ماذا يجب علينا اعتماده في الآية

(قلت) إن نص الآية أن يعقوب عليه السلام أخبر عن نفسه أنه وجد رائحة ولده يوسف لما فصلت العير من أرض مصر ، وهذا أمر وجداني نفسي لا يجب على كل مؤمن أن يعرف كنهه أو سببه ، وإنما علينا أن نصدقه لانه معصوم من الكذب وقد تبين صدقه بالفعل ، وفي العبارة وجوه ونظريات تختلف باختلاف الافكار والتربية والتعليم وهي أربع :

(١) إذا صور ذلك أحد المفكرين الذين تغلب عليهم الافكار المادية بأنه لشدة تفكره في أمر ولده وتذكره لرائحته حين كان يضمه ويشمه شعر بتلك الرائحة قد عادت له سيرتها الاولى ، كان مصدقاله في أمر لا يعارضه العقل ولا ينقضه العلم ، وإن كان هذا الشعور من النوع الذي يسمونه بالوهم ، ولكنه يكون ميلا عن التفويض الى التأويل الحالة بشرية لا لصفة من صفات الله تعالى فتأويله لاخطر فيه

(٢) إذا قال المؤمن بالظواهر من غير تعليل لها ولا تصوير لكيفيتها انني أصدقه ولا يكلفني ديني أن أعرف كيف وجد تلك الرائحة لان هذه المدارك الوجدانية كثيرة يظهر منها في كل زمن ما يعجز العلماء الباحثون عن معرفة سببه فضلا عن كنهه — لم يكن هذا القائل بعيدا في إعانه هذا عن العقل ولا عن العلم ، فلا خلاف بين العلماء بأن ما يجهله الباحثون أضعاف ما يعرفونه ، وهو أقرب الى الصواب ممن قبله لانه مفوض لا متأول أو مؤول ، على أن التأويل لصفات الله تعالى هو المخالف لهدي السلف وبليه أخبار عالم الغيب ، لا التأويل لوجدان فيما يحتمل أن يكون من شئون البشر .

(٣) إذا ذهب اللغوي البياني الى أن هذه الجملة استعارة أو كناية عبر بها نبي الله عن وجدانه وشعوره بقرب لقاء ابنه المحبوب حتى كأنه حاضر يشم رائحته لم يكن بعيداً ـ فان بلغاء العرب يعبرون عن الشيء بلازمه ويشبهون المعاني النفسية بالمدركات الحسية وعكسه ، ومنه : اننا نشم من هذا الكلام رائحة الاعتزال ، وهذا كلام ليس فيه رائحة الاخلاص ، ومن أبلغ ما سمع في هذا الباب قول امرأة كعب بن الاشراف له : انني اسمع صوتا يقطر منه الدم ، أي يدل على قصد الاغتيال . وليس هذا من تأويل المتكلمين الذي هو خروج عن الظاهر لمانع يمنع منه

(٤) إذا جنح الصوفي لقول الروحانيين إن وجدان هذه الريح كان من مدارك الروح الخاصة ، — لم يكن جانحا الى محال في نظر العقل ، ولا ناكبا عن أصل قطعي من أصول العلم ، فان الذين يثبتون ذلك من كبار العلماء والصوفية أجدر بالثقة في النقل من الذين يثبتون في هذا العصر غرائب التنويم المغناطيسي واستحضار الارواح وقراءة الافكار ومراسلتها ، فهذا وسط بين المصدق المفوض

في الخبر من غير تعليل ، وبين الذي يذهب فيه إلى ماتقدم من تأويل ،وأما من وقع له مثله من خصائص الارواح فهو عنده من عين اليقين ودونه علم اليقين ولكنه خاص بصاحبه،اذ لا يدركه الا مثله ولولا ذلك لعد من الحسيات المادية

(فان قيل) علمنا من هذا التفصيل أن المؤمن بالقرآن يجب عليه في هذه المسألة أن يعتقد أن يعقوب عليه السلام كان صادقا فيما أخبر به عن وجدانه ولا يضره ترجيح وجه من الوجوه الاربعة في فهمها ،ويظهر انك ترجح الاخير منها فما وجه هذا الترجيح ؟

(قلت) المتبادر من الآية أن فيها خصوصية تنظم هذا الوجدان في سلك خوارق العادات، والاصل في مثل ذلك أن يفوض كنهه أو كيفيته الى من وقع له من الانبياء مادام ممكنا ، إلا من اتفق له ادراك جنس هذه الكيفية وعلم أنها من السنن الروحية كابراء المسيح للاكمة والابرص باذن الله لا كمعجزة العصا واليد لموسى عليهما السلام . وإني خبرت هذا الوجدان نفسه بنفسي ، وأدركت رائحة الارواح الطيبة كأني أشمها بأنفي ،ولولا انها حالة خاصة لما قلت كأني ، وكنت فيه دقيق البحث لئلا أكون واهما أو مخدوعا ، وطالما ظننت فيما كان منه مشتركا بين جماعة أن الذي يعقد رابطة التوجه بينهم وبين الروح الذي يذكر اسم صاحبه — وهو كمستحضر الروح عند الافرنج — أنه يلقي رائحة عطرية غريبة الذكاء بينهم،حتى صرت أجد ذلك خاليا و كان يكون متقطعا ، وكنت أتردد قبل ذلك في أخبار من لا أتهمهم بالكذب فيها ، ولا أرى بسط ذلك في التفسير وقد ذكرت شيئا منه في غيره (ككتاب المنار والازهر) ولولا أن هذه المسائل الروحية قد كثر البحث عنها في هذا العهد عند علماء الغرب لما تعرضت لها فرارا من فتون أكثر أهل بلادنا بل الشرق كله بكل ماهو مخالف للسنن العامة

(فان قيل) ان الذين يعنون باستحضار الارواح لم ينقل عنهم أنهم يشمون لها رائحة

(قلت) لم يثبت عن هؤلاء احضار روح عالية قدسية وإن الراجح عندي فيما يصح عندهم أنه من تمثيل الجن لهم لا من أرواح البشر ، وأن الصوفية من

المسلمين والهنود يتمثل لهم الجنسان ، ولا يميز بينهما إلا الانبياء وعلماء القرآن والسنة من "صالحين" وأن ماوجده يعقوب كان من توجه روح يوسف له عند ما أذن له أن يتعرف اليه بالروح قبل الجسد ، وكان في وجدانه ريحه على علم من الله تعالى لا من خيال الوهم ولا من ضلال الشيطان ،

(فان قيل) أليس من ثبت عنه انه يرى الارواح العالية ويشم ريحها ويسمع كلامها يكون وليا صاحب كرامات يرجى نفعه ويخشى ضره بما هو وراء الاسباب والسنن العامة ؟ أو يؤخذ كلامه في العلم والدين بالقبول والتسليم ؟

(قلت) لا لا ، إن من يقع له إدراك شيء مما ذكر إنما يقع له بسبب من الرياضة الخاصة ، وقد يقع له الخطأ فيه والوهم ، وقد يكون مايجهله من جنسه أكثر مما يعلمه ، دع ماليس من جنسه كالعلوم التي لا تعرف إلا بالتلقين ، ثم انه لا يمكن أن يكون قادرا على نفع الناس أو ضرهم من غير طريق الاسباب العامة ، ولا يوثق بعلمه في الدين إلا إذا كان مستمداً من الكتاب والسنة ، وقد فصلنا هذا مراراً ، فمثل الذي يقف على حقيقة روحية بتأثير الرياضة الخاصة في نفسه كمثل الذي يقف على بعض الحقائق من طريق البحث الحسي والعقلي فهم فيهما سواء ، والولاية الشرعية انما تكون بمعرفة كتاب الله وسنة رسوله والتزامهما بالعمل والاخلاق ، مع الصدق والاخلاص ، فتأمل هذه المسائل فانها تحل لك كثيرا من المشاكل ، وانت حر في قبولها وردها

٩٧ ﴿ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ﴾ أي قال أولاده وكانوا قد وصلوا في إثر البشير أو معه وانما تقدمهم استعجالا لنعمة البشارة ومايتبعها من ارتداد البصر وغيره من السرور والنشاط والعافية : يا أبانا اسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا الكثيرة التي اقترفناها من عقوقك وايذاء أخينا أو أخوينا ﴿ إنا كنا خاطئين ﴾ متعمدين لهذه الخطيئة عاصين لله بها ظانين أن نكون بعدها قوما صالحين ، اعترفوا له بذنوبهم كما اعترفوا ليوسف ، ولكن يوسف بادر الى الاستغفار لهم وهم لم يطلبوه منه ، واسمع ما كان جواب أبيهم

٩٨ ﴿ قال سوف أستغفر لكم ربي ﴾ وعدهم باستغفار ربه لهم في المستقبل

المبهم وعلله بقوله ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾ فكرر اسم الرب مضافا اليه ووصفه بالمغفرة والرحمة الواسعة التي لا ينقطع منها رجاء المؤمن وان أساء وظلم، فالفرق بين جوابه وجواب يوسف من وجوه اقتضتها الحكمة

(الاول) ان حال يوسف معهم حال الحاكم القادر بل الملك القاهر مع المسيء اليه الضعيف لديه، الذي كبرت اساءته فاستحيا من طلب غفرانها بشفاعته ودعائه، فتبرع لهم به تأمينا لهم من خوف الانتقام وكان قادرا عليه، وتعجيلا لهم بسرور الحياة الجديدة التي جعل الله أزمة نعمها بيديه، وليعوا ويرى الناس فضل العفو عند القدرة، والمثل الأعلى في حسن الاسوة، وما يجب ان يكون عليه الاخوة، وهو الجزاء بالاحسان على الاساءة، فهذه أفضل تربية وأكمل عبرة من الاخ الكامل لاخيه الناقص، ولو أخر هذا لكان تأخيره ضربا من الانتقام منهم، اذ يكونون في وجل مما سيحل بهم

(الثاني) ان حال أبيهم معهم حال المربي المرشد للمذنب الذي لا يخشى منه انتقاما، وليس من حسن التربية ان يريهم أن ذنبهم هين لديه، وانه ليس بينهم وبين شفاعته لهم عند الله بغفرانه الا كلمة يقولونها بألسنتهم

(الثالث) أن ذنبهم لم يكن موجها اليه بالذات وانما كان موجها إلى يوسف وأخيه بالذات وأصابه هو بالعرض أو بالتبع واللزوم، ومن العدل أن يكون استغفاره لهم بعد العلم بحالهم معهما وعفوهما عنهم، ولم يكن يعقوب قد علم بعفو يوسف عنهم واستغفاره لهم

(الرابع) ان هذا الذنب الكبير من الآثام التي طال عليها العهد ونشأ منها مانشأ من الضرر لا تغفر بحسب شرع الله وسننه في تأثير الاعمال في الانفس الا بتوبة نصوح تطهر النفس من خبثها، فلا يحسن من المرشد الحكيم أن يسارع الى الاستغفار لمقترفها عقب طلبه متصلا به كأنها من اللمم، الذي يغفر بيادرة من الندم، فكان من حكمة هذا الاب الحكيم الرحيم أن يتمكث في الاستغفار لهم الى أجل مجهول ليعلم هو ذلك كله، وأن يعلمهم بانه سوف يتوجه به إلى ربه الذي

رباه بفضله ورحمته ، وأعاد لفظ الرب مضافا اليه لاشعارهم أن هذه الاضافة هي محل الرجاء في الاستجابة له ان يغفر خطاياهم ، وإنما مغفرتها سترها ومحوظلمتها من قلوبهم ، بعد جمل توبتهم التي يشبه ان تكون اضطرارية توبة نصوحا

ولا ينافي هذه المعاني والحكم التي من الله علينا بفهمها وبيانها ما روي عن ابن مسعود موقوفا وابن عباس موقوفا ومرفوعا من انه اخرهم إلى السحر لان دعاء السحر مستجاب،وفي رواية عن الثاني انه اخرهم حتى تاتي ليلة الجمعة ، بل يؤيده لانه لم يتحر وقت الرجاء في الاستجابة وان تأخر على اقتضاء رحمته الوالدية التعجيل الا لأن الامر جلل يتعارض فيه الخوف والرجاء . وقد ذكر العماد ابن كثير في تفسيره وتاريخه عن ابن جرير حديث ليلة الجمعة بسنده وقال : وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه،والاشبه أن يكون موقوفا على ابن عباس (رض) ولا يصح شيء مما روي في دعاء يعقوب لهم وحده ولا مع يوسف وفيما أوحى اليه من استجابته تعالى له فيهم وجعلهم في ديوان الانبياء

خاتمة قصة يوسف عليه السلام في تأويل رؤياه
وما فهمه أبوه منها

---

(٩٩) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (١٠٠) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا، وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

ههنا كلام يدل عليه السياق بالاجمال حذف إيجازاً على منهج القرآن في الاقتصار على ما فيه العبرة المرادة من الكلام ، والمعنى أن إخوة يوسف بلغوا أباهم وسائر أهلهم مكانة يوسف في مصر وأنه هو الحاكم المفوض المستقل في أمرها (ديكتاتور) من قبل ملكها ، وأنه محبوب مجمع على إجلاله فيها ، وأنه يدعوهم كلهم للاقامة معه فيها والتمتع بحضارتها، فرحلوا بقضهم وقضيضهم، وإنعامهم ودوابهم ، حتى بلغوها واستقبلوا فيها بما يليق بمقامه

٩٩ ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ﴾ ظاهر العبارة أن أمه كانت لا تزال حية ، وقال الذين أخذوا بقول اليهود إنها كانت قد ماتت : إن المراد بأبويه والده وخالته وقد كان أبوه تزوجها بعد أمه ، وهذا جائز في اللغة إن صح الخبر ونحن لا ثقة لنا بصحته فنأخذ بظاهر الآية دون غيره كما قال ابن جرير الطبري (ر ح) ومعنى إيوائهما إليه ضمهما الى نفسه، وجعله إياهما معه في قصره ، وهو مأواه الخاص به ﴿ وقال ادخلوا مصر ﴾ أي وقال لسائر أهله ومن معهم ادخلوا مصر قال ابن عباس معناه أقيموا فيها ، إذ كانوا قد دخلوها فكان الأمر بدخولها عبارة عن الاذن باستيطانها، وقيل إن يوسف استقبلهم في الطريق احتفاء بهم فقال لهم ذلك في مكان الاستقبال أو عند الوصول الى العاصمة ﴿ إن شاء الله آمنين ﴾ على أنفسكم ومواشيكم من المنع المعتاد للغرباء ، أو من الجوع والهلاك فان سني القحط لم تكن انتهت بعد ، والتعليق بمشيئته تعالى هو شأن المؤمنين ولا سيما الانبياء والصديقين، فيوسف في إسداء هذه النعمة إلى أهله يتبرأ من مشيئته وحوله وقوته إلى مشيئة الله الذي سخره لهم وسخر ملك مصر وأهلها له ثم لهم

وفي سفر التكوين أن يوسف (ع . م) عرف نفسه الى اخوته عقب مجيئهم ببنيامين شقيقه، وأرسلهم لاستحضار أبيهم وأهلهم فجاؤا فأقطعهم أرض جاسان (وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبو زعبل الى البحر الاحمر) وأرسل اليهم العربات لتحملهم، وأحمال الغذاء والثياب على الحمير ، فلما وصلوا اليها (٤٦ : ٢٩ شد يوسف على مركبته وصعد ليلاقي اسرائيل أباه في جاسان فلما ظهر

له ألقى بنفسه على عنقه وبكى على عنقه طويلا ثم استأذنهم ليذهب الى فرعون ويخبره بمجيئهم ومكانهم ليقرهم عليه لانهم رعاة وأرض جاسان خصبة ، ففعل ثم اخذ وفداً منهم لمقابلة فرعون وأدخل أباه عليه فبارك فرعون ، فيظهر أن هذا اللقاء كان هو الاول لهم ، ثم إنه بعد لقاء فرعون قال لهم (ادخلوا مصر) الخ ، ثم عاد بهم الى قصره الخاص

١٠٠ ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ أي أصعد أبويه إلى السرير الذي كان يجلس عليه لتدبير أمر الملك ، فالعرش كرسي تدبير الملك ، لا كل كرسي يجلس عليه الملك ﴿ وخروا له سجداً ﴾ أي وأهوى أبواه واخوته إلى الارض وخروا له سجدا ، وكان السجود تحية الملوك والعظماء في عصرهم حتى إن يعقوب سجد لاخيه عيسو حين تلاقيا بعد تفرق وكان يخاف عاقبة ذلك التلاقي كما تراه في سفر التكوين . والسجود ليس عبادة بذاته وإنما جعله الدين عبادة فهو يكون عبادة بالنية والتزام الصفة الشرعية فيه ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ أي إن هذا السجود منكما ومن إخوتي الاحد عشر هو المآل الذي آلت اليه رؤياي التي رأيتها من قبل في صغري إذ (رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) ﴿ قد جعلها ربي حقا ﴾ واقعا ولم تكن حديث نفس من أضغاث الاحلام ، فالكواكب الأحد عشر مثال إخوتي الاحد عشر ، وأنت وأمي مثال الشمس والقمر ، ولا غرو فهذه الاسرة هي التي أراد الله بها حفظ ذرية اسحاق بن ابراهيم لنشر دين التوحيد في العالمين فكانت خير أسر البشر ﴿ وقد أحسن بي ربي ﴾ : يقال أحسن به وأحسن اليه ﴿ إذ أخرجني من السجن ﴾ الى عرش الملك ، ذكر آخر المحن والفتن (البلاء والاختبار) المتصل بغاية النعم ، ومن العجب أن يستشكل المفسرون عدم ذكر الاخراج من الجب هنا ويبحثوا له عن علة ، وكان أول البلاء وقد خرج منه الى الرق وبيعه بثمن بخس ، وما اتصل به من تلك السلسلة الطويلة في الفتنة

﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ حيث كنتم تعيشون في شظف البادية وخشونتها ووحشيتها الى الحضر حيث تعيشون في نعم لاجتماع ونشر الدين الحق والتعاون على العلوم والصناعات ، فالبدو خلاف الحضر ومعناه الاشتقاقي كل مكان يبدو كل مايعن ويعرض فيه للانظار: من بدا يبدو إذا ظهر ظهوراً بيناً، يقال بدي الى البادية بداوة (بالفتح والكسر) أي خرج فهو باد . ومنه (يودون لو أنهم بادون في الاعراب) وفيه تفضيل الحضارة على البداوة ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ أي أفسد ما بيننا من عاطفة الاخوة وقطع ما بيننا من صلة الرحم ووشيجة القربى باغراء الحسد وتهييج الشر : هذا ما يدل عليه نزغ الشيطان فان أصل النزغ نخس الرائض الفرس ونحوه بالمهماز لازعاجه للجري ، يقال نزغه ونخسه ونسغه ، والعامة تقول نغزه : يقلب نزغه بمعنى طعنه بما يهيجه ويزعجه . قال في الاساس : ومن المجاز نزغه الشيطان كأنه ينخسه ليحثه على المعاصي ، ونزغ بين الناس أفسد بينهم بالحث على الشر اه ولا يوجد في اللغة على سعتها تعبير ألطف وآدب وأدل على كمال التواضع من هذه العبارة الوجيزة: جعل ذلك النزغ المزعج إلى أجرأ الشر والافساد كأنه كان مشتركا بينه وبينهم تقع تبعته على كل منهما ، وما كان الا من جانب واحد ، ثم قال ﴿ إن ربي لطيف لما يشاء ﴾ أي بالغ أقصى اللطف بعباده في التدبير والرفق في التسخير لتنفيذ مايشاء في خلقه من الحكمة البالغة والوصول الى المقاصد الحسنة والغايات النبيلة ، بحيث لا يشعر من لطف به عند وقوع الاسباب والوسائل بغايتها الا عند وصوله اليها ، فمن ذا الذي كان يخطر بباله أن الالقاء في الجب وما أعقبه من الرق، وما تلا الرق من فتنة العشق، يفضي الى السجن ، وان السجن ينتهي بالسيادة والملك ؟ ﴿ إنه هو العليم ﴾ بما لكل قدر من عمل ، وما لكل عمل من أجل ، ﴿ الحكيم ﴾ في بلوغ مشيئته في ذلك كله كمال المصلحة في جزاء الذين احسنوا بالحسنى وجعل العاقبة للمتقين ، فحمد يوسف لربه على لطفه في مشيئته ، وعلمه وحكمته ، من أجل الحمد والثناء ، وناهيك بجعله مقدمة لما تلاه من الدعاء ، وهو

﴿ دعاء يوسف عليه السلام بحسن الخاتمة ﴾

(١٠١) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

تحول عليه السلام عن خطاب والده في بيان هذه العاقبة المثلى، في مقام الشكر لربه وحمده بما يناسب المقام من صفاته، الى مناجاة ربه في الاعتراف بها والشكر عليها، وسؤاله حسن الخاتمة في الدنيا الرافعة الى منتهى السعادة في الآخرة، لشعوره بأن ما خلقه له من الخير والنعمة قد تم كما فهمه أبوه، وكل شيء بلغ حده في هذه الحياة انتهى فقال:

﴿ ١٠١ رب قد آتيتني من الملك ﴾ أقصى ما ينبغي لمثلي ويصلح له في غير قومه ووطنه، فجعلتني متصرفا في ملك مصر العظيم بالفعل، وإن كان لغيرى بالاسم والرسم، فكان تصرفي مرضياً له ولقومه، لم يثر علي حسد حاسد ولا بغي باغ ما ذقت مرارته بمجرد تصور وقوعه على تقدير صدق الرؤيا الدالة عليه ﴿ وعلمتني من تأويل الاحاديث ﴾ ما أعبر به عن مآل الحوادث ومصداق الرؤى الصحيحة فتقع كما قلت ﴿ أنت ولي ﴾ الذى توليت ولا تزال تتولى أموري كلها ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ لا حول لي في شيء منها ولا قوة ﴿ توفني مسلماً ﴾ لك اذ تتوفاني بما تم لي وصية آبائي وأجدادي، وهي المشار اليها بقوله تعالى (٢: ١٣١ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب: يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ منهم واحشرني معهم، فهذا الدعاء العظيم، بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن (اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم) أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الاسلام

فتاوى المنار

﴿ سؤالان عن الربا في دار الحرب وعن كون الاسلام دين سياسة ام لا ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في بنجر نقارا (جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ القدير السيد محمد رشيد رضا المحترم — أطال الله عمره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فان لمناركم الاغر مكانة في قلب كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبما كان للاسلام من مجد لعبت به الاهواء ، لا زال مناركم يرسل أشعته إلى أقصى بلاد الشرق والغرب ، ليستضيء بنوره من أضله الله وأعماه عن الحق

وبعد فأقدم لفضيلتكم سؤالين أيها البحر الزاخر علما مسترحم الجواب عليهما على صفحات مجلتكم الغراء لتعم الفائدة والله ولي التوفيق

(١) إن الربا انتشر في أرض جاوا في هذه الايام انتشاراً لاعهد لنا به حتى إن بعض الاساتذة الذين كانوا في مقدمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمقاومين للربا خرجوا من المدارس وأصبحوا اليوم في مقدمة المرابين . فاذا سألناهم عن الدافع إلى هذا أجابونا بلسان واحد بأن صاحب المنار أفتى بجواز الربا على الافرنج ، وإذا رأينا أحدا يرابي على الوطنيين أجابنا بأن موظفي الحكومة لادينيين ، وأننا في دار حرب . وقد أفتى صاحب المنار بجواز الربا في دار الحرب ، فهل لما أشيع عن مناركم من صحة ؟ إذا قلتم نعم ، فستقفل الحوانيت ويقف دولاب تجارة العرب بجاوا ويتوجهون إلى الربا اعتماداً على فتواكم فما رأي فضيلتكم ؟ أرجو الجواب في أول عدد من مناركم ليحق الحق ويزهق الباطل (إن الباطل كان زهوقا)

(٢) هل الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟

لان في أرض جاوا حزبين كبيرين متشاجرين أحدهما حزب المحمديين والآخر شركة إسلام اندونسيا وهذان الحزبان مع اتفاقهما في المبادىء السلفية مازالا مختلفين في هذا الامر

فالمحمديون يقولون بأن الدين الاسلامي ليس دين سياسة ولا يمنعنا عن الاشتراك مع الحكومة والتوظف بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) الى آخر الآية ومدارسهم مرتبطة بوزارة المعارف . أما حزب شركة اسلام فانهم يقولون إن الدين الاسلامي دين سياسة ولا يسمح لنا بالتوظف في دائرة الحكومة والارتباط بدوائرها السياسية وغيرها وحجتهم قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) الى آخر الآية

ويحتجون على حجج المحمديين بأن الله نهانا عن الذين قاتلونا في الدين، والقتال يكون بالسيف أو بالضغط والارهاق والاضطهاد ومنع نشر الاسلام وفضائله، لهذا أرجو أن تشرحوا لنا الحق في هذا الامر لعل الله يهدي الفريقين والذي مال عن الطريق السوي فيتفق الفريقان على نشر الاسلام ومبادىء السلف الصالح بدلا عن النزاع الذي لانتيجة من ورائه إلا الاضمحلال

أرجو نشر الجواب في أول عدد من مناركم والسلام عليكم

من تلميذكم المخلص

أبو بكر بن سعيد باسلامة

﴿ جواب المنار ﴾

(١) أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب

إن ماتعنونه من إفتائي بحل أخذ الربا من الافرنج في دار الحرب ليس كما ذكرتم أو نقلتم، وانما هو جواب عن سؤال ورد على المنار من مدير جريدة الوفاق (ببيتنزرغ (جاوه) ونشر في (ج ٨ مجلد ٢٧) الذي صدر في ربيع الآخر سنة

١٣٤٦ « في فتوى بعض العلماء بحل أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها مما كان برضاهم وعقودهم فهو حل لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح »

هذا موضوع الاستفتاء ، والمستفتي فيه منكر له أشد الانكار كما هو مبين بنص كلامه في السؤال إذ جعل هذه الفتوى خطراً على التوحيد ومقتضية لتحليل جميع المحرمات . وقد بينا في جوابه أصل الشريعة في إباحة أموال الحرب باجماع المسلمين وما قيد العلماء به عمومه . ولم يخالفنا أحد في ذلك فراجعوا فتوانا في (ص ٥٧٥ من مجلد المنار ٢٧) فان بقي في أنفسكم شبهة فيه فبينوه لنا . وقد كتبنا في آخره « ان تلك الفتوى لا خطر فيها على التوحيد ولا تقتضي تحريم شيء من المحرمات . ومن لا يطمئن قلبه للعمل بها فلا يعملن بها » اه

وجملة القول إنني ما أفتيت في شيء انفردت به في هذا الموضوع ، وان الذين ذكرتم انهم يستحلون أخذ الربا من المسلمين بدعوى انهم « لادينيين » أي كفار تعطيل وإباحة ، لا يمكنهم أن يدعوا ان صاحب المنار أفتى بتكفيرهم ولا بأخذ الربا منهم ، ولا بجملة حرفة المسلمين ، وانما يتبعون أهواءهم ، على أننا سنصدر ان شاء الله تعالى في هذا العام كتابنا في مباحث الربا والمعاملات المالية العصرية التي نشرناها في مجلدات المنار بعد تلك الفتوى فانتظروا فالمسألة ليست من البداهة بحيث يحررها المرابون والتجار ، وخطر الاستدانة من الافرنج بالربا أضعاف ما تتصورون من عكسه ، بل هو الذي جعل المسلمين افقر الشعوب ،

(٢) الدين الاسلامي دين سياسة أم لا ؟

ان قول حزب المحمديين ان الاسلام ليس دين سياسة خطأ ، وان استنباطهم من هذا القول ان الاسلام لا يمنعهم من الاشتراك مع الحكومة في وظائفها وأعمالها غريب فهو مبني على أصل فاسد ، ولو لم يكن الاسلام دين سياسة لكان منعه من الاشتراك مع غير المسلمين في أعمال حكومة غير اسلامية أشد وأقوى

وأما احتجاجهم بآيات سورة الممتحنة (لاينهاكم الله ..) الخ فهو في غير محله فان موضوعها ان الاسلام لا ينهى أهله في داره عن البر والعدل في معاملة

الكفار غير المحاربين لهم في دينهم ووطنهم ، وانما ينهاهم عن تولي المحاربين المنازعين لهم في دينهم ووطنهم ، والمراد بتوليهم مساعدتهم على اعمالهم الحربية وكل مافيه جعل السلطان والقوة لهم على المسلمين . فاذا كان جعل مدارسهم تابعة لمدارس الحكومة غير الاسلامية يضر الذين يتعلمون فيها بافساد عقائدهم وأخلاقهم ودينهم أو يؤيد سلطانهم عليهم - تكون تابعيتها لها مما نهى الله عنه من توليهم سواء سمي الاسلام سياسيا أم لا ، فان الحكم منوط بنص القرآن لا بتسمية الدين سياسيا أو عدمه ، وإذا كان ذلك نافعا للمسلمين يحفظ حقوقهم ويمنع أو يخفف الأذى الذي يقع عليهم فانه لا يكون محرما ، وقد يكون بمقتضي السياسة الاسلامية مستحبا أو واجبا ، فهؤلاء أحوج الى اثبات كون الاسلام دينا سياسيا فيما يعملونه ويطلبونه

وأما قول « حزب شركة اسلام » ان دين الاسلام دين سياسي فهو لا يبيح لهم التوظف في مصالح حكومة بلادهم غير الاسلامية فأصله هو الصحيح ، وما بني عليه من الحكم ففيه نظر ظاهر فان سياسة الملة والامة ليست منصوصة في الكتاب والسنة بعبارات جلية يفهمها كل أحد أو يقدر كل أحد على استنباطها من النص — وإنما أساسها المصلحة العامة وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال ، وأقوم وسائلها التشاور بين أهل الحل والعقد من عقلاء علماء الامة بمصالحها لا علماء الاصطلاحات الفقهية وحدها ، ألم تر كيف كان سياسي الخلفاء الراشدين بل إمام سياسة الاسلام الاعظم عمر بن الخطاب يختار أمراءه من دهاة الاذكياء ، لا من عباد الفقهاء .

وأظهر قواعد أئمة الفقه فيها قاعدة الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى المأخوذة من سياسة السنة وسيرة الخلفاء الراشدين وهي ان احكام العبادات تبنى على العمل بظواهر نصوص الكتاب والسنة . واحكام السياسة والمعاملات الدنيوية تبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد دون ظواهر النصوص فان تعارضا يؤول النص لمراعاة المصلحة

وعندنا من مجربات الشعوب الاسلامية في ذلك ما وقع لمسلمي الهند مع الدولة الانكليزية فقد كان المسلمون هم حكام الهند فسلبت هذه الدولة منهم

الحكم بجهلهم، فظنوا ان دينهم يوجب عليهم عداوتها عداوة سلبية بأن يجتنبوا مشاركتها في شيء من اعمال الحكومة الادارية والقضائية وان يجتنبوا تعلم لغتها وعلومها فكانت عاقبة ذلك أن أضاعوا ثروتهم وقوتهم فصاروا أفقر من الوثنيين والبرس (أي الفرس) وأضعف، فهل هذا مقتضى السياسة الاسلامية التي يحفظ بها مصالح الاسلام والمسلمين ؟؟ كلا إن المسألة أكبر مما فهمه هؤلاء وأولئك فيجب درسها وتمحيصها على الجامعين بين معرفة نصوص الشرع وحكمه ومعرفة شئون العصر على الاساس الذي وضعناه لهم

﴿ الربا والزكاة والضرائب ودار الحرب ﴾

(س ٥ — ٧) من صاحب الامضاء في بيروت

لصاحب الفضيلة الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة (المنار) المعظم . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته - وبعد أرجوكم أن تتفضلوا بنشر أسئلتي المحررة أدناه مع الاجابة عليها في (المنار) وتكرموا بقبول خالص الشكر ومزيد الاحترام .

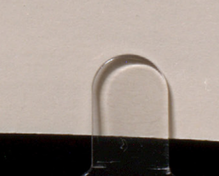
(١) هل يجوز شرعا وضع مال في احد المصارف الاجنبية واخذ ربا عنه ودفعه (اي الربا) الى الحكومة عن الضرائب المتنوعة التي تفرضها وتجبر الناس على دفعها ؟

(٢) هل يجوز دفع الضرائب — كاعشار الزروع وغيرها — الى الحكومة من اموال الزكاة ؟

(٣) متى يدعى الاجنبي وامته (امة محاربة) بعرف الشرع ؟ وما هي (بلاد الحرب) ؟

احد قراء المنار
عزت المرادي

(المنار) هذه المسائل من متممات المسألة الأولى من مسائل استفتاء جاوه الذي قبله، ونجيب عنها بالايجاز



(٥) أخذ الربح من المصارف الاجنبية

ان الربا المحرم قطعاً لا يحل إلا لضرورة يضطر صاحبها اليه اضطراراً كالاضطرار إلى أكل الميتة ولحم الخنزير، فهل الربح المسئول عنه كله من الربا القطعي؟ وهل دفع الضرائب الاجبارية من الضرورات الاضطرارية التي تبيحه؟ المشهور أن الربح الذي تعطيه المصارف لأصحاب الاموال هو حصص من الربح العام الذي تستغله منها. وهو أنواع أقلها ما هو من الربا الذي عرفه الامام أحمد وغيره من أئمة السلف — وقد سئل عن الربا الذي لا شك فيه فقال — هو أنه كان يكون للرجل على الرجل دين مؤجل فاذا جاء الاجل ولم يكن عنده ما يقضي به زاده في المال وزاده صاحب المال في الاجل، وهذا بعض ربح المصارف المالية وليس منه ما تأخذه ولاما تعطيه لاصحاب سهامها ولا المودعين لاموالهم فيها، وأما كونه بعض مالها المحرم في الاسلام فمثله كثير من أموال الناس، والعبرة في مثله بصفة أخذه لا بأصله ولا سيما في هذا العصر الذي قلما يوجد فيه كسب يلتزم فيه الشرع في بلاد الاسلام فما القول في بلاد الافرنج ومستعمراتهم؟ فمن اعتقد مع هذا كله أنه من الربا المحرم لا يجوز له أخذه لاجل أن يدفعه في الضرائب المحرمة — من باب دفع الفاسد بالفاسد — لأنه ليس ثمت ضرورة تبيح له ذلك. ومن اعتقد انه غير ربا شرعي قطعي لم يحرم عليه، فان التحريم هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازما، واشترط الحنفية وجمهور السلف أن يكون بنص قطعي، بل قال أبو يوسف انه لا يقال في شيء انه حرام إلا إذا كان بينا في كتاب الله بغير تفسير — ومن كان عنده شبهة فيه دون التحريم كان دفعه في ضرائب الظلم الاجبارية أولى من دفع الاموال التي لا شبهة فيها. وقد بينا حكم الشبهات من قبل في مباحث الربا والمعاملات المالية التي تصدر في كتاب مستقل

(٦) دفع الضرائب من أموال الزكاة

أموال الزكاة المستحقة على صاحبها لا يجوز دفعها إلا للاصناف التي بينها الله تعالى في آيتها المعروفة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ وزكاة الزرع كالاعشار

إذا أخذتها الحكومة تسقط عن صاحب الزرع المستحقة عليه ولكن لا يسقط عنه زكاة النقدين بدفعها الى الحكومة أداء لضرائب الظلم . وفي هذا الباب مشكلات تختلف باختلاف الحكومات إسلامية وغير إسلامية

(٧) الامة المحاربة التي تسمى بلادها دار الحرب

دار الحرب مقابلة لدار الاسلام التي تكون فيها الحكومة الاسلامية التي تقيم أحكام الاسلام، فكل أمة أجنبية لا تعقد حكومتها مع الحكومة الاسلامية معاهدة على السلام والامان وعدم الاعتداء تكون أمة محاربة وتكون دارها دار حرب لان الحرب فيها عرضة للوقوع في كل وقت إذ لا عهد يمنعها ، وللفقهاء تعريف لهما لوحظ فيهما جريان الاحكام من الجانبين

عقد العلامة ابن مفلح الفقيه الحنبلي فصلا وجيزاً لهذه المسألة في كتابه (الآداب الشرعية) قال فيه مانصه ' ج ١ ص ٢١٣): فكل دار غلب عليها أحكام المسلمين فدار الاسلام ، وان غلب عليها أحكام الكفار فدار الكفر ولا دار لغيرهما . وقال الشيخ تقي الدين وسئل عن ماردين هل هي دار حرب أو دار إسلام؟ قال هي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار الاسلام التي يجري عليها أحكام الاسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار ، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويعامل الخارج عن شريعة الاسلام بما يستحقه ، والاول هو الذى ذكره القاضي والاصحاب والله أعلم . اه

وقال في كشاف اصطلاحات الفنون « ودار الاسلام عندهم مايجري فيه حكم إمام المسلمين من البلاد . ودار الحرب عندهم مايجري فيه أمر رئيس الكفار (كلمة الكفار تشمل في الاصطلاح الشرعي غير المسلمين من كتابيين ووثنيين ومعطلة) من البلاد كما في الكافي ، وفي الزاهدي ان دار الاسلام ماغلب فيه المسلمون وكانوا فيه آمنين ، ودار الحرب ماخافوا فيه من الكافرين . ولا خلاف في أنه يصير دار الحرب دار إسلام باجراء بعض أحكام الاسلام فيها . وأما صيرورتها دار الحرب — نعوذ بالله — فعنده بشروط (أحدها) إجراء أحكام الكفر اشتهاراً بأن يحكم

الحاكم ولا يرجعون إلى قضاة المسلمين ، ولا يحكم بحكم من أحكام الاسلام - كما يأتي في الحرة - (وثانيها) الاتصال بدار الحرب بحيث لا تكون بينهما بلدة من بلاد الاسلام يلحقهم المدد منها (وثالثها) زوال الامان الاول أي لم يبق مسلم ولا ذمي آمنا إلا بأمان الكفار (أي غير المسلمين) ولم يبق الامان الذي كان للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة قبل استيلاء الكفرة . وعندهما لا يشترط إلا الشرط الاول اه ويعني بقوله فعنده الامام أبا حنيفة وبقوله وعندهما أبا يوسف ومحمد بن الحسن رحمهم الله

ولفقهاء المذاهب أقوال أخرى في دار الاسلام ودار الحرب وأحكامهما ، والاصل فيها ان دار الاسلام ما كان أهلها من المسلمين وغيرهم آمنين بسلطان الاسلام وحكمه العدل وجارية فيهم أحكامه ، ودار الحرب ما كان امانها واحكامها بسلطان غير المسلمين وغير أحكام الاسلام سواء كانت بينهم حرب أم لا ، فيدخل في دار الحرب ما كان حكامها من المعاهدين المسلمين ، ولهذه المسألة فروع مشكلة في هذا فان بعض البلاد التي تسمى حكوماتها إسلامية لا تجري فيها الاحكام الاسلامية من حيث هي إسلامية بل لها تشريع وضعي مخالف للشرع الاسلامي يسمى باسم البلد أو القطر ويسمى رئيس حكومتها شارعا وتنفذ الاحكام باسمه بمعنى أنه هو الشارع والمنفذ لها بسلطانه واسمه ، لا بحكم الله واسمه ، ولا نخوض في بسط هذه المسائل

(س ٨ — ١٠) من صاحب الامضاء بدمشق « الشام »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال الله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فان الامر قد أشكل علينا في بعض المسائل ولم نعثر على شيء منها ونريد منكم أن تبينوا أحكامها بالتفصيل التام ولم نر أحداً نعتمد بعد الله تعالى إلا جنابكم وها هي الاسئلة

١ — ما حكم استعمال الذهب في الكتب الاسلامية وغيرها (أي تذهيب الكتاب في الكعب)

٢— ماحكم طبع الكتب للاديان الباطلة وتجليدها

٣— هل يجوز حفر الصليب على النحاس أو على الزنك وطبعها بالذهب على ظهر الكتاب . أفتونا وانشروها في صفحات مناركم الغراء ولكم الاجر والثواب على الله تعالى ودمتم للمسلمين ذخراً

الداعي

محمد منصور نجاني

(٨) تذهيب جلد الكتب

تزيين الكتب المجلدة بطبع أسمائها وأرقام عددها وغير ذلك من الزينة بالمادة الذهبية المعروفة عند المجلدين مباح لا يدخل فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة ولا مما زيد على ذلك خاصا بالذهب كما بيناه من قبل مراراً في باب الفتاوى فلا نعيده

(٩) طبع كتب الاديان الباطلة وتجليد كتبها

لنشر الاديان الباطلة والمساعدة عليه إقرار لها ومساعدة على الدعوة اليها أو معرفتها والاطمئنان بها فهو حرام على الاقل في حال إنكارها والبراءة منها، وأما الرضى بها واستحلال نشرها والمساعدة عليه فهو كفر

(١٠) حفر الصليب على النحاس أو الزنك وطبعه

الصليب شعار لدين غير الاسلام فلا ينبغي لمسلم أن يساعد أهله على إظهاره ولا أن يعارضهم فيه في دار الاسلام ولكن أهله قد يتخذونه علامة لبعض مصنوعاتهم وتجاراتهم فلا يكون فيه إقرار لشيء من عقائد أهله ولا من عباداتهم ففي هذه الحالة لا يعد من يحفره في المعدن لاعلان تجاري مثلا موافقا لشيء من دين أهله ولا جانيا على دينه هو

حفلة الازهر بشيخه الاستاذ الاكبر

﴿ الشيخ محمد مصطفى المراغي ﴾

عزم جماعة من طبقات الامة العالية والوسطى إقامة حفلة تكريم عامة لشيخ الاسلام المراغي ابتهاجا بعودته إلى مشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية بعد فترة خمس سنين كادت تقضي على ما كان فيه من دين قويم وخلق كريم وعلم نافع، وتجعله بيئة دسائس ورياء وفتن وأهواء وخرافات ونزغات مادية، فكانت كسني يوسف السبع الشداد، وكان هذا العام بعودة المراغي كذلك العام الذي أغاث الله به الناس، ذلك العام كان غوثا من القحط والجدب الذي كاد يقضي على الحياة البدنية، وجاء هذا العام غوثا من الجهل وفساد الاخلاق الذي كاد يقضي على الحياة الدينية العلمية

ولقد سعى الاستاذ لصرف الناس عن إقامة هذه الحفلة، زهداً منه في هذا الظهور والشهرة. بيد أن الازهر علماءه وطلابه لم يتسن لاستاذهم ورئيسهم صرفهم عن الانفراد باقامة حفلة باسمهم خاصة بهم ورياسته عليهم إسلامية من أقوى دعائمها اتباع الاجماع وكانوا على التكريم مجمعين، والعلم باجماعهم كان نطقياً لا سكوتياً لانهم محصورون، فجمعوا النفقة المقدرة للاحتفال من أنفسهم بنظام اختياري عادل، واختاروا للاحتفال أفسح مكان في مصر وهو معرض الجمعية الزراعية الذي تعرض فيه نتائج زراعة القطر وصناعاته، فراعوا النظير بعرض نتائج العقول والفنون فيه ودعوا إلى حضوره ألوفا من رجال الطبقات العليا والوسطى وفي مقدمتهم أمراء البيت المالك والوزراء العاملون والقاعدون وكبار رجال القصر والدواوين، وممثلوا الدول الاسلامية السياسيين، ووضعوا من موائد الشاي وما يتبعه عادة من أنواع الحلوى والفطائر ما يسع المئين أو الالوف: منها ما وضع للمتعارفين من جمع القلة، ومنها ما وضع للمتجانسين من جمع الكثرة، ووضع للمحتفل به ولاعضاء لجنة الاحتفال مائدة في صدر المكان مزينة بالرياحين والازهار بجانب منبر الخطابة. وبجانبه الآخر موائد الامراء والوزراء، وأمام موقف الخطابة آلة المذياع الكهربائي (الراديو) ووضع

في جو المكان أصوار أو أبواق متفرقة من مضخمات الصوت لتسمع كل من فيه مايلقى على المنبر كأنه بجانبه .

وكان وراء هذا المجلس الفسيح الخاص بالمدعوين مجلس آخر للالوف المؤلفة من مجاوري الازهر وهم مع علمائهم أصحاب الدعوة، وقد جلسوا بترتيب ونظام تام كنظام الجيش الالماني

ولما كمل الجمع أقبل الشيخ الاكبر فانتصب القاعدون وقوفا إجلالا له وتكريما، وهتفت جيوش المجاورين دعاء وترحيبا ، ثم أديرت كئوس الشاي على جميع الموائد في وقت واحد ، وتلاها الطواف بأكواب شراب الليمون والبرتقال المثلوج ، بنظام دقيق سريع ، ولما فرغ الجموع مما لذ لهم وطاب أكلا وشربا افتتحت الحفلة بتلاوة أشهر القراء لآيات من الذكر الحكيم ، ثم نهض رئيس لجنة الاحتفال صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان فألقى خطبة الافتتاح ، وتلاه الخطباء والشعراء من علماء الازهر ونابغي طلابه ، وكان أولهم أشهر علماء الازهر في الخطابة الارتجالية والكتابة العصرية : صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني ، فبدأ خطبته بما يعهد به من مراعاة مقتضى الحال ، بصوته الجهوري المعتاد ، وما لبث أن هاجته ذكرى ما سامته المشيخة الساقطة من هضم ، وما أرهقته من عسر وظلم ، وما انقلب اليه بانقلابها من عزة وكرامة في وقفته هذه على أعين عظماء الامة ، ومرأى ومسمع من رجال الدولة ، فاذا به وقد غلبه على رأيه ورويته غاشية من مراقبة الله عز وجل شغلته عن المضي في خطبته بمداراة خشوعه ، وكفكفة دموعه ، فمكث هنيهة يستنجد قلبه ، ويستلهم ربه ، فألهمه حسن المخلص بتوجيه التهنئة على هذه النعمة الى الامة لان ظفر الازهر ظفر لها ، وأن يكل أمر تكريم المراغي الى الله الذي رفع ذكره ، وأعلى قدره ، ووضعه في الموضع اللائق به ، ومكنه من الاصلاح الذي خلق له ، وختم الخطبة بالدعاء لجلالة الملك وولي عهده

لا يتسع المنار لما تحيط به الصحف اليومية من وصف هذه الحفلة بالتفصيل ، و نشر ما ألقاه أعلام الازهر فيها من الخطب والقصائد ، وانما الواجب عليه أن يبدأ بنشر خطبة المحتفل به فهي أفصحها لفظا، و أبلغها معنى ، و أصحها بيانا لما ينويه من الاصلاح، على منهج المصلح الاول الاستاذ الامام قدس الله روحه ، وجعله خير خلف له ، فيما نوه به من رفع ذكره ، وتخليد حمده وشكره :

خطبة الاستاذ الاكبر

في حفلة تكريمه

حضرات السادة الاعزاء :

أحمد الله جل شأنه على ما أولانيه من الكرامة بهذه المنزلة في نفوسكم ، وأشكر لحضرات الداعين المحتفلين برهم و كرمهم ، وعاطفة الحب الفياض البادية في قولهم وفعلهم ، في شعرهم ونثرهم ، ولحضرات المدعوين تشريفهم واحتمالهم مشقة الحضور الذي أعربوا به عن جميل عطفهم وحبهم

ويسهل علي قبول هذه المنن كلها و احتمالها إذا أذنتم لي في صرف هذه الحفاوة البالغة عن شخصي الضعيف، واعتبارها كلها موجهة إلى الازهر الشريف ، الذي تجلونه جميعا و تعتبرونه بحق شيخ المعاهد الاسلامية في مصر وغيرها من البلاد

ولئن دل هذا الاجتماع بالقصد الاول على غرض التكريم فقد دل بالاشارة والتبع على معان أسمى من غرض التكريم

دل على ان الازهر خرج عن عزلته التي طال أمدها، ونهض يشارك الامة في الحياة العامة وملابساتها، وعزم على الاتصال بها ليفيد ويستفيد، وهذه ظاهرة من ظواهر تغيير الاتجاه الفكري الذي نشأ عن تغير طرائق التعليم فيه ، وعن شعوره بأن في الحياة معارف غير معارفه القديمة يجب أن تدرس وتعرف، وطرائق

في التعليم يجب أن نحتذي ونهتدي بها . ومنذ أربعين سنة اشتد الجدل حول جواز تعليم الحساب والهندسة والتاريخ في الازهر وحول فائدة تعليمها لعلماء الدين ، ومنذ أربعين سنة قرأ لنا أحد شيوخنا كتاب الهداية في الفلسفة في داره على شرط أن نكتم الامر لئلا يتهمه الناس ويتهمونا بالزيغ والزندقة ، والآن تدرس في كلية أصول الدين الفلسفة القديمة والحديثة ، وتدرس الملل والنحل ، وتقارن الديانات وتعلم لغات أجنبية شرقية وغربية

ومن الحق أيها السادة علينا ألا ننسى في هذه المناسبة والحديث حديث الازهر والازهريين ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور الذي نهتدي به في حياة الازهر العامة ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الرجل الذي نشر الحياة العلمية والنشاط الفكري ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القرآن الكريم ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان إلا على العلم والتقوى ومكارم الاخلاق ، ذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر إلا بعد أن فقدته ، ولم تقدره قدره إلا بعد أن أمعن في التاريخ ، ذلك هو الاستاذ الامام (محمد عبده) قدس الله روحه وطيب ثراه ، وقد مر على وفاته ثلاثون حولا كاملة ، ومن الوفاء بعد مضي هذه السنين ونحن نتحدث عن الازهر أن نجعل لذكراه المكان الاول في هذا الحفل ، فهو مشرق النور وباعث الحياة ، وعين الماء الصافية التي نلجأ اليها اذا اشتد الظمأ ، والدوحة المباركة التي نأوي الى ظلها اذا قوي لفح الهجير

الازهر كما تعلمون أيها السادة هو البيئة التي يدرس فيها الدين الاسلامي الذي أوجد أمما من العدم ، وخلق تحت لوائه مدنية فاضلة ، وكان له هذا الاثر الضخم في الارض ، فهو يوحى بطبعه الى شيوخه وأبنائه واجبات انسانية ، ويشعرهم بفروض صورية ومعنوية ، يعدون مقصرين آثمين أمام الله وأمام الناس

اذا هم تهاونوا في أدائها ، وانهم لا يستطيعون أداء الواجب لربهم ودينهم ولمهدهم وأنفسهم الا اذا فهموا هذا الدين حق فهمه ، وأجادوا معرفة لغته، وفهموا روح الاجماع ، واستعانوا بمعارف الماضين ومعارف المحدثين فيما تمس الحاجة اليه مما هو متصل بالدين، أصوله وفروعه، وعرفوا بعض اللغات التي تمكنهم من الاتصال بآراء العلماء والاستزادة من العلم ، وتمكنهم من نشر الثقافة الاسلامية في البلاد التي لا تعرف اللغة العربية ، هذا كله يحتاج إلى جهود تتوافر عليه وإلى التساند التام بين العلماء والطلبة والقوامين على التعليم، ويحتاج إلى العزم والتصميم على طي مراحل السير في هدوء ونظام وجد ، وصدق نية ، وكمال توجه إلى الله ، وحب للعلم لا يزيد عليه إلا حب الله وحب رسوله

وللمسلمين في الازهر آمال من الحق أن يتنبه أهله لها

أولا — تعليم الامم الاسلامية المتأخرة في المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الاسلامي وتاريخ الاسلام ورجاله، وقد كثر تطلع هذه الامم إلى الازهر في هذه الايام وزاد قاصدوه منها أفراداً وجماعات، واشتد طلبها لعلماء الازهر يرحلون اليها لاداء أمانة الدين وهي بيانه ونشره

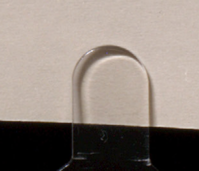
ثانيا — إثارة كنوز العلم التي خلفها علماء الاسلام في العلوم الدينية والعربية والعقلية، وهي مجموعة مرتبط بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات ، وقد حاول العلماء كشفها فنقبوا عنها وبذلوا جهوداً مضنية ، وعرضوا نتائج بعضها صحيح وكثير منها غير صادق ، وعذرهم أنهم لم يدرسوا هذه المجموعة دراسة واحدة ، على ان بعضها متصل بالآخر كما هو الحال في دراسة الازهر، فاذا وفق الله أهل الازهر إلى التعمق في دراسة هذه المجموعة دراسة قديمة حديثة، ودراسة المعارف المرتبطة بها وأتقنوا طرق العرض الحديثة — أمكنهم أن يعرضوا هذه الآثار عرضا صحيحا صادقا بلغة يفهمها أهل العصر الحديث ، وإذ ذاك يكونون أداة اتصال

جيدة بين الحاضر والماضي، ويطلعون العالم على مايبهر الانظار من آثار الاقدمين وأعتقد أن التعليم الازهري على النحو الذي أشرت اليه هو الذي يرجى لتحقيق الامل وأنه مدخر لأبنائه إن شاء الله

ثالثا — عرض الاسلام على الامم غير المسلمة عرضا صحيحا في ثوب نقي خال من الغواشي المشوهة لجماله، وخال مما أدخل عليه وزيد فيه، ومن الفروض المتكلفة التي يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية .

رابعا — العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينها، فان الامة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرقة، ومعروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي إلى الحق في أكثر الاوقات، وان بعض هذه المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها، ونشطت أهلها وخلقت فيهم تعصبا يساير التعصب السياسي، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها، وهذه المذاهب فرقت الامة التي وحدها القرآن وجعلتها شيعا في الاصول والفروع، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين، ونتج عنه سخف مثل مايقال في فروع الفقه الصحيح أن ولد الشافعي غير كفء لبنت الحنفي، ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة، وعذبات العمائم وطول اللحى حتى ان بعض الطوائف لا تستحيي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لانشاء مساجد خاصة

من الخير والحق أن نتدارك هذا وأن يعنى العلماء بدراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة دراسة عبرة وتقدير، لما فيها من هداية ودعوة إلى الوحدة، دراسة من شأنها أن تقوي الرابطة بين العبد وربه، وتجعل المؤمن رحب الصدر هاشا



باشا للحق ، مستعداً لقبوله ، عاطفا على اخوانه في الانسانيـة ، كارها للبغضاء والشحناء بين المسلمين ،

قد أتهم بأني تخيلت فخلت ، ولا أبالي بهذه التهمة في سبيل رسم الحدود ، ولفت النظر اليها ، وفضل الله واسع ، وقدرته شاملة ، وما ذلك على الله بعزيز

الآن وقد أوضحت بالتقريب آمال المسلمين في الازهر، ترون أيها السادة أن العبء الملقى على عاتق الازهر ليس هين الحمل ، فانه في حاجة إلى العون الصادق من كل من يقدر على العون إما بالمال أو العقل، أو بالمعارف والتجارب، وكل شيء يبذل في طريق تحقيق هـذه الآمال ، هين اذا أنت الجهود بهـذه الثمرات الطيبة المباركة

أيها السادة :

أكرر لكم شكري وأبعث من هذا المكان وفي هذا الجمع المبارك تحية الازهر إلى العالم الاسلامي وإلى دور العلم ومعاهده . وأتشرف برفع ولاء الازهر إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر الملك فؤاد الاول وصاحب الفضل العميم في الازهر في العصر الحديث ، أدام الله عزه ومتع جلالته بالصحة التامة والتوفيق الدائم وأقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي العهد المحبوب . والسلام عليكم ورحمة الله

﴿ خطبة الاستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد اللبان ﴾

رئيس لجنة الاحتفال

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أصحاب السمو . . .

حضرات أصحاب الدولة والمعالى . .

حضرات السادة . .

أحييكم أطيب تحية . . وأشكر لكم أصدق الشكر تلبيتكم دعوتنا ، فقد برهنتم بذلك على ما للازهر من المنزلة الرفيعة في نفوسكم ، والمكانة السامية في

قلوبكم ، وضاعفتم معنى التكريم الذي أراده الازهريون لشيخهم من إقامة هذه الحفلة الكبرى . إذ أعلنتم بهذا الاشتراك أن مقام المشيخة الاسلامية الذي يرقاه حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى هو هو مقام الرياسة الدينية العظمى ، الذي يحيطه المصريون بمظاهر الاحترام والاجلال ، ويتوجه اليه المسلمون في شؤون دينهم بأسمى الامال ، كما يدل اشتراككم على أن مصر ممثلة في صفوة أولي الرأي من رجالها تعرف ما للاستاذ المراغى من أياد بيضاء على التعليم الدينى ، وجهود بارزة في سبيل إصلاح المعاهد الدينية وإعلاء شأنها ، واني باسم الازهر وباسم لجنة الاحتفال التي شرفتني برياستها أرحب بكم وأحيي من قلبي تلك الرابطة الوثيقة التى تربط الازهر بهذا الوطن العزيز وبالعالم الاسلامى أجمع وأحيي هذا الشعور النبيل الذى يتجلى نحو هذا المعهد الديني الاكبر في جميع المناسبات

حضرات السادة :

أنشىء الجامع الازهر من نحو ألف عام وتاريخه في هذا الزمن الطويل يكاد يكون تاريخ الحياة العلمية والدينية والاجتماعية لمصر ولسائر بلاد العالم الاسلامى ، اذ كان هو مصدر العلوم ومقر الدراسات لهذه البلاد جميعها (١) ثم طرأت بعد ذلك طوارىء كان من أثرها هذا التحول في الحياة العامة ، وفي أساليب التعليم واتجاهاته، وزخر تيار هذه الاتجاهات الجديدة وزاحمت الازهر بما لها من قوة الشىء الجديد ، وكاد الازهر وسط هذا التطور العام ينفصل عن البيئة المصرية وتصبح تعاليمه السمحة مقصورة على رجاله ، وأوشك بفعل الزمن أن يصير وطناً مستقلا في قلب هذا الوطن ، وكادت فائدته تخفى على بعض الناس ، وشعر الازهريون أنفسهم أنهم يبتعدون عن شعب مهمتهم الكبرى إرشاده وهدايته . وينفصلون عن مجتمع عملهم في الحياة تهذيبه وتثقيفه ، وإذ ذاك لاحت

(١) في هذه الدعوى غلو وشطط وقد أشرنا الى الحق في موضوعه في كتاب «المنار والازهر»

بارقة أمل خلال جهود المصلحين في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، ثم جاء عصر جلالة مولانا الملك المعظم فتوجهت عنايته السامية الى اصلاح الازهر والمعاهد الدينية اصلاحا شاملا، فوضعت له الانظمة واللوائح الحالية ، وقسمت الدراسات العالية فيه الى كليات تقوم كل واحدة منها بنوع من الدراسات الاسلامية والعربية . على نمط جامعي، خشي معه بعض الناس أن يتحول الازهر عن تقاليده ومميزاته الى نظام المدارس المدنية، لكنهم مالبثوا ان شهدوا معجزة الازهر تبرز امام العيون واضحة جلية فاذا العلوم والفنون الازهرية التى استقرت في كتبنا القديمة تتحول الى دراسات عصرية منظمة محتفظة بطابع الازهر في دقة البحث. وعمق التحليل واذا أساتذة العلوم المستحدثة في النظام الجديد المنتدبون لذلك من الجامعة المصرية والمدارس العالية يلقون محاضراتهم المختلفة في كلياته بجانب شيوخه . وإذا عقول الطلاب تتسع للجديد الطريف وللقديم العتيد في ثوبه الجديد ، وبهذا أخذ الازهر يسترد زعامته الادبية والعلمية بعد أن نافسته معاهد استمدت حياتها منه

والاستاذ المراغي في تأسيس هذا النظام عظيم الفضل ولجهوده كبير الأثر في تكوينه

أيها السادة :

أترك لحضرات الخطباء والشعراء بعدي تفصيل الكلام على فضل الاستاذ الاكبر وجليل أعماله وأختم كلمتي بالتوجه الي الله تعالى بالحمد والثناء على توفيقه وجميل رعايته، وأضرع اليه جل شأنه أن يهب الاستاذ الاكبر التوفيق في عمله، ويرزقه السداد والحزم في رأيه ليحقق بالازهر وفي لازهر ماينشده العالم الاسلامى من اصلاح بفضل مايسديه جلالة الملك المفدى من رعاية ، ويخص به الازهر من عطف وعناية

ادام الله جلالة الملك ذخراً للوطن العزيز ممتعاً بالصحة الكاملة وابقاه حاميا للعلم والدين وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب أمير الصعيد آمين

باب الرسائل

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الأستاذ الأكبر بمناسبة خطابه في حفلة التكريم

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر

لله أنت فيما ملكت من القلوب ، وما منحت من التوفيق ، وما ألقي اليك من مقاليد الامم الاسلامية وتربية ناشئتهم وكهولهم وشيوخهم ، فالله حسبك ونعم المعين

يعلم فضيلة أستاذنا الاكبر أن قلوبنا بحبه خافقة ، وعيوننا اليه شاخصة ، وأكفنا بالضراعة إلى الله بتأييده منبسطة : نطلب اليه تعالى دوام توفيقكم ، وإطالة عهدكم ، والبركة في عمركم ، حتى تجددوا للامة الاسلامية شبابها ، وتعيدوا اليها مجدها ، لكي تتبوأ في مشرق الكرامة مكانها ، وتلقي اليها الدنيا بزمامها فتعيدها سيرتها الاولى ، فقديما أشرق نور الاسلام وارتفع به صوت الداعي ، والامم من ظلمات الجهالة في تداع ، طمست البدع المعالم ، وتنافست الامم في المظالم ، فهامت في أودية الضلال (ومن يضلل الله فما له من هاد)

والآن وقد دار الفلك دورته ، لقد أرسلك الله في الناس داعيا إلى الصراط المستقيم ، هاديا من طغت عليهم أوشاب المدنيــة الحديثة الى تفهم روح الدين الصحيح تحقيقا لقول الرسول ﷺ ما معناه « إن الله ليبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » وان الامة لتصيخ لقولكم وتتهافت على إرشادكم فما من خطة تختطونها ، أو حكمة ترسلونها ، إلا هبطت علينا هبوط الماء على الظمآن ، والأمن والسكينة على الخائف اللهفان

سيدي الاستاذ الاكبر : إن أحب الامور إلى قلوبنا العمل على وحدة الدين.

والقضاء على تلك الفروق الخيالية ، والعصبيات المذهبية ، فتلك من وساوس الشيطان للانسان ، حتى انتهى الامر بنا إلى ما أشرتم اليه فضيلتكم في خطابكم البليغ في حفلة التكريم «من أن ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ، وما نرى من تعدد صلاة الجماعة في المسجد الواحد ، وما نسمع من الخلاف في التوسل والوسيلة ، وعذبات وطول اللحى ، حتى أن بعض الطوائف لا تستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين وتسعى لإنشاء مساجد خاصة»

نعم لا يستحيون لانه « لا حياء في الدين » إننا وأيم الله ياسيدي الاستاذ نرى هذا بقلوبنا ونحسه بعيوننا ويحز في نفوسنا ، وما شيء أحب الينا من جمع كلمة المسلمين والقضاء على أسباب التفرقة بينهم ، وليس وراء قوله تعالى مزدجر (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)

هذا بيت الداء ، وأنتم أنتم أخبر بالدواء ، هاهي (ذي) الامة ألقت اليكم قيادها وها أنتم (أولاء) وضعتم يدكم المباركة على سكان السفينة لتقودوها إلى شاطىء السلامة إنه لا شيء أغلى وأعز من الدين «دينك دينك إنما هو لحمك ودمك» ألا وان الدين قد ذهب ، ألا وإنه لم يبق منه إلا الصلاة كما أخبر الصادق المصدوق «آخر ما يبقى من دينكم الصلاة فمن ضيعها فقد كفر» ألا واننا قد أضعنا الصلاة ، ومن أداها فقشر ظاهر لا لب فيه ، ألا وان البدع تفسد العمل كما يفسد الخل العسل ، هذه البدع عمت المساجد وتخللت الصلاة ، وإنني لا إخال فضيلتكم إلا ذاكرين ما حدث من ابن عمر رضي الله عنه : ففي المأثور عنه انه كان سائراً بالكوفة فمر على مسجد وسمع المؤذن ينادي بالصلاة فدخل وأخذ يركع تحية المسجد ، فلما فرغ المؤذن من الاذان ورأى بعض الناس خارج المسجد وقف ببابه وقال : حضرت الصلاة يرحمكم الله ، فسلم ابن عمر رضي الله عنه وخف وأخذ حذاءه وانصرف

من المسجد تاركا صلاة الجماعة، قائلا: والله لا أصلي في مسجد فيه بدعة. رحم الله ابن عمر ماذا كان يبدي ويعيد لو بعث اليوم ورأى صلاتنا؟

سيدي الاجل: ليت الامر وقف عند ابتداع البدع في المساجد والصلاة وما يسبقها ويلحقها ولم يمس جوهر الصلاة، ولم يهدم أركانها هدما، ويطمس معالمها طمسا: تقصير مخل، نقر كنقر الغراب، يسرقون من صلاتهم فهم أسوأ الناس سرقة. هذه منكرات يجب على من رآها أن يزيلها فان لم يستطع فليزل عنها

هذا ما حمل بعض المتمسكين بدينهم على الفرار بصلاتهم إلى مسجد من أرض الله يقيمون فيه الصلاة: الصلاة التي صلاها رسول الله ﷺ ثم قال «صلوا كما رأيتموني أصلي» وكقوله للرجل الذي صلى بين يديه مرات «ارجع فصل فانك لم تصل» فقال الرجل في الثالثة: والذي بعثك بالحق لا أحسن غيرها فعلمني.. فعلمه فالمسيء صلاته شر من تارك الصلاة، إذ تارك الصلاة معترف بتقصيره عالم أنه ظالم لنفسه فترجى له التوبة والانابة ويحظى بالمغفرة (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) أما المسيء صلاته والمدخل فيها البدع فانه يعتقد عن جهل انه يتقرب الى الله تعالى بصالح الاعمال وأحبها اليه، غافلا عن إساءته فيها وضلال سعيه فأنى ترجى توبته من عمل هو في نظره خير الاعمال؟ فيبقى كذلك حتى يلقى الله تعالى وقد خسر عمله (قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالا؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فان لم يشملهم النص فلا يعدوهم الوعيد

ان الصلاة لو أديت على وجهها المشروع كان لها السلطان الاكبر على النفوس ورقتها وهذبتها ووقتها شر الهلع والجزع، وأعدتها للقيام بجلائل الاعمال والتحلي بجميل الخصال، والمثابرة في سبيل الحقوق المشروعة على النضال، وجعلت كل مصل ينصف أخاه من نفسه، ويعمل لغده ويحاسب نفسه على أمسه: بهذا تقل

الجرائم ويغلق باب السجن ويستريح القاضي ،ويكون الدين بحق مستودع القوة التي ترهب الاشرار وتصد غارة الاشقياء ، وتجعل الناس يحافظون على حقوق بعضهم البعض ، ولا يحتاج الامر الى قانون المراقبين والمشبوهين ، إذ الكل يشعر بمراقبة العلي الكبير ، فيحافظون على أموالهم وأرواحهم وأعراضهم ، وينقرض الفساد ،وتسود الطمأنينة البلاد (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)

والمأمول من فضيلتكم أن تبينوا كتابة وبواسطة الوعاظ والمرشدين: حقيقة الصلاة وما يجب أن تكون عليه الجماعات في المساجد وأئمتها ورؤساؤها وما يجب عليهم من رعايتها وتطهيرها من مفاسد البدع ، ومن الادعية المبتدعة ، واللغو والتشويش على المصلين فيها

انك ياسيدي إن عملت ذلك – وأنت خير من يعمل — قدمت الى الله يوم الدين بخير زاد (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)

فالامر الآن بين يديك ولا سلطان في الدين لأحد عليك ،وما المرء بمستطيع في كل حال أن يقوم بجلائل الاعمال : فأئمة المساجد ورؤساؤها هم رعاتها «وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته» (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

أحمد محمد شهاب

رئيس نقطة صفط الخمار بوليس المنيا

تفسير المنار

الجزء الثانى عشر

للسيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه

يحزنني أن أقرظ هذا الجزء ونحن في مأتم السيد رشيد رضا ، ولا نزال مأخوذين بدهشة الخبر ، وكأننا في حلم مفزع لا أمام حقيقة صادعة ، ولا أمام جرائد تفيض جداولها بالنعي والتأبين ، ولا بين معزين من مختلف الطبقات يذرفون الدمع الهتون، ويتوجعون لمصيبة المسلمين بفقد الراحل الكريم، ويتحدثون عن الفراغ الذي تركه ، وأنهم لا يجدون من يملؤه، فقد كان السيد الامام رحمه الله ملء السمع والبصر ، وكان الحجة الثبت ، والمفزع الذي تطمئن اليه النفوس الشاردة من وساوسها ، وتهدأ به القلوب الواجفة مما يحيك فيها ، فتجد برد اليقين وتشعر ببشاشة الايمان ، يحزنني ان أقدم للامة الاسلامية هذا الجزء من التفسير وأنا في هذه الحالة النفسية التي لم أرها من قبل ، على كثرة النوازل والفواجع ، ولكن كل المصائب تهون وتتضاءل أمام مصيبتنا في الراحل العزيز أحسن الله نزله ، وحشره مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وبعد : فتفسير المنار أشهر من الشمس ، وأبين من فلق الصبح ، يعلن عن نفسه بنفسه ، وقد قرظه العلماء والفضلاء في الشرق والغرب ، وأثنوا عليه بما هو أهله ، واتخذوه مرجعا لهم ، بل استغنوا به عن كل التفاسير التي تقتنى ، وهو الآن عمدة المحققين من علماء الازهر وغيرهم،

ولست الآن بصدد الكلام على مزاياه ومجموعة ما انفرد به عن كل كتب

(التفسير) فذلك له مقام آخر ، غير ان الذي أريد أن أعجل للقراء به ونحن في هذه المحنة القاسية أن أذكر لهم بعض ماامتاز به الجزء الثاني عشر ، وهو آخر الاجزاء التي أنجز طبعها السيد المبرور أحسن الله جزاءه ، ورفع في الجنة درجته فقد امتاز هذا الجزء على صغر حجمه بالنسبة لسوابقه بتحقيقات انفرد بها، كالكلام على حكمة التحدي بالسورة الواحدة وبالعشر ، وهنا يفيض السيد إفاضة يتجلى فيها روح الالهام الصحيح ، والنظر الصادق ، فترى من التحقيقات في الموضوع مالا ترى في كتاب آخر ، فاذا أنت انتقلت إلى آية الطوفان (وقيل ياأرض ابلعي ماءك ، وياسماء أقلعي ، وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) أطلعك على مافي الآية من بلاغة روحية تهتز لها النفس وتلمس بصدق جانب الاعجاز في الآية الكريمة، ويبطل عجبك من تأثير القرآن في نفوس العرب ، ذلك التأثير العجيب الذي بدلهم في سرعة لم يعهد لها نظير ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، ورفعهم من الحضيض الاوهد إلى الذروة فكانوا مشاعيل الهداية ، ومعلمي الامم ، وقادة الشعوب بالحق والعدل والعلم ، نعم يبطل عجبك فالقوم كانوا مرهفي الحس ، سليمي الذوق، وكانت اللغة لغتهم، وهم أعلم بمرامي الكلام ووقعه وتأثيره ، فلا عجب أن كانت هذه البلاغة العالية الاخاذة تأخذ بمجامع قلوبهم، وتأطرهم على الايمان أطراً، فاستمع اليه — أثابه الله يقول — ما أفظع هذا المنظر ! ما أشد هوله ! ما أعظم روعته ! ماء ينهمر من آفاق السماء انهماراً ، وأرض تتفجر عيونا خوارة فتفيض مدراراً ، ماء ثجاج ، يصير بحراً ذا أمواج، خفيت من تحته الارض بجبالها، وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها وكانت عليه هذه السفينة كما كان عرش الله على الماء في بدء التكوين ، كأن ملك الله الارضي قد انحصر فيها، فتخيل أنك ناظر اليها كما صورها لك التنزيل، تتفكر فيما يئول اليه أمر هذا الخطب الجليل ، واستمع لما بينه به الذكر الحكيم ، أوجز

عبارة وأبلغها تأثيراً ، جعلت أعظم ما في العالم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً إلى أن يقول: قرر علماء البلاغة الفنية ان هذه الآية أبلغ آية في الكتاب العزيز أحاطت بالبلاغة من جميع جوانبها وأرجائها اللفظية والمعنوية التي وضعت لفلسفتها الفنون الثلاثة : المعاني والبيان والبديع

وإن مثل هذا التفاضل بين الآيات الذي يقتضيه الحال والمقام لا ينافي بلوغ كل آية في موضعها وموضوعها درجة الاعجاز ، ولا يعد من التفاوت المعهود في كلام أشهر البلغاء كأبي تمام والمتنبي وكذا غيرهما من شعراء الجاهلية ومن بعدهم في الدرجات الثلاث العليا والسفلى وما بينهما، فآياته كلها في الدرجة العليا المعجزة للبشر، وإن كان لبعضها مزية على بعض كما تراه في تكرار القصة الواحدة من هذه القصص ، وقد بسطناه في تفسير آية التحدي « بعشر سور مثله مفتريات » من هذه السورة

مثال ذلك ما نراه من بلاغة هذه الآية في باب العبرة المقصودة بالذات من سياق هذه القصص كلها ، وهو فوق ما ذكروه من نكت الفنون فيها، وبيانه أن الله قد أنذر الظالمين وأوعدهم الهلاك في آيات كثيرة - ومنهم مكذبو الرسل عليهم السلام — كلها معجزة في بلاغتها ، ولكنك ترى في هذه الآية من تأثير تقبيح الظلم والوعيد عليه نوعاً لا تجده في غيرها، لأن حادثة الطوفان أكبر ما حدث في الارض من مظاهر سخط الله تعالى على الظالمين ، وقد علم من أول القصة أنها عقاب للظالمين بيد أن إعادته في هذه الآية عقب تصوير حادثة الطوفان بارزة في أشد مظاهر هولها ، وإشعار القلوب عظمة الجبار العزيز الحكيم في الفصل فيها بما تتلاقى فيه نهايتها ببدايتها والتعبير عن هذه النهاية بالدعاء على الظالمين بالبعد والطرد الذي يحتمل عدة معان مذمومة شرها الطرد من رحمة الله تعالى عثل لك هؤلاء الظالمين من قوم نوح بصورة تمثال من الخزى واللعن والرجس لا ترى مثله في أمثالهم من أقوام الانبياء على ما تراه في التعبير عنها بالعبارات الرائعة في البلاغة

وعلو الاسلوب ، واحداثها الرعب في القلوب الخ ثم عقد فصلا بل فصولا في نهاية القصة كان أحدها للكلام على مافي الآية من بلاغة اصطلاحية ، وإن من يقرأ العبارتين يتجلى له الفرق بين البلاغتين ، هنا يشعر بأسلوب يهز أريحيته ، ويملك عليه وجدانه ، ويأخذ النفس من أقطارها ، وهناك تشغله العبارة والاصطلاحات الفنية عن المقصود من الآية وهو التأثير والعبرة ، وبذا تعرف مبلغ أثر القرآن في نفوس العرب.

وعلى الجملة لقد كتب السيد عدة كراسات في قصة نوح تصلح أن تكون رسالة وحدها ، ولا سيما الفصل الذي عقده لبيان غضب الله على عباده وعقابهم ببعض ظلمهم وفسوقهم في الدنيا دع ماختم به سورة هود من عقد خلاصة وافية لها ، وهي سنة انفرد بها المرحوم السيد وحده دون باقي المفسرين ، فقد جرت عادته أن يعقد خلاصة لكل سورة يبين فيها مجمل ما اشتملت عليه من الاحكام والحكم والسنن الالهية في الافراد والامم بأسلوب لا يتيسر لغيره.

ومن مزايا هذا التفسير تحقيق الحق في مسألة الهم من سورة يوسف في قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) وهنا ترى في كتب التفسير خلطا وخبطا وحشوا من الاسرائيليات تنافي الذوق والعقل والشرع واللغة وترى السيد يجرد قلمه لدحض كل هذه الاقوال ، ويبين الحق فيها بيانا شافيا تطمئن إليه النفس كما جلى القصة للناس جلاء ظهرت فيه وجوه العبرة منها ونقاها من كل مادسته الاسرائيليات فيها ولذلك اقترح عليه الكثيرون من الافاضل طبع سورة يوسف على حدة وقد فعل — رحمه الله — وسيراها الناس قريبا إن شاء الله ، ولولا خوف الاطالة لنقلت إلى القراء نموذجا من تحقيقاته في سورة يوسف ليروا كيف يدرك المتأخر مالا يدرك المتقدم ، ولا سيما في كتاب الله الذي لا يتناهى إعجازه ، رحم الله السيد وأحسن عزاء الامة العربية والعالم الاسلامي فيه.

عبد السميع البطل

نعي فقيد الاسلام والمسلمين

السيد الامام محمد رشيد رضا منشىء المنار رضى الله عنه

نَنْعَى إلى الاسلام والمسلمين ، إمام أئمة المفسرين المتقدمين منهم والمتأخرين غيرَ منازَع ، وأحذق الأئمة المحققين السابقين منهم واللاحقين غير مدافع ، زعيم أهل السنة العالمين العاملين ، وأنفذهم بصيرة ، وأرسخهم عقيدة ، وألد خصوم البدعة وأبطشهم بها يداً وأثبتهم على قتالها قدما ، علم الهداية الخفاق ، وصوتها الرنان في الآفاق ، المتفاني في تحرير الشعوب الاسلامية لا من البدع والخرافات والاوهام والضلالات حَسْبُ ، بل منها ومن أغلال الاستعباد وقيود الاستبداد ، وأخلص المخلصين للاسلام والمسلمين ، وعمدة الداعين إلى هدي الرسول الامين محمد ﷺ السيد الامام محمد رشيد رضا رضي الله عنه وأرضاه وجعل جنة النعيم مستقره ومثواه آمين

اختاره الحي الباقي لجواره حوالي منتصف الساعة الثانية من مساء الخميس الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ هـ الموافق الثاني والعشرين من أغسطس سنة ١٩٣٥ ونعاه من عرف وفاته من أهله وأصدقائه إلى من لم يعرفها منهم في القاهرة والاقاليم المصرية والاقطار الاخرى ونعوه إلى الصحف ونعاه محط الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة في منتصف الساعة الثامنة مساء إلى من يبلغه صوته من سكان المعمور ، وصدرت الصحف هنا وهناك ناعية باكية مؤبنة مؤرخة ، وارتجت أنحاء القاهرة بهذا النعي وأقضت المضاجع فيها وانساب المعزون إلى دار المنار عدد ١٤ بشارع الانشا جنوبي وزارة المعارف مساء الخميس يوم الوفاة وصبيحة الجمعة التالية له حتى غصت بهم ساحة الدار والطريق الفسيحة أمامها .

وفي تمام الساعة العاشرة حمل النعش أبناء الفقيد في الهداية والعلم وساروا به وخلفه المشيعون وفيهم أقطاب العلم والادب في البلاد حتى مسجد السيدة الشامية بشارع نوبار حيث صلى عليه المصلون جما غفيرا ثم حمل على سيارة واستقلت جمهرة من المشيعين سيارات إلى مدفن أستاذه الامام الشيخ محمد عبده في مقابر المجاورين حيث دفن بجواره ، وأبنه على قبره ثلاثة من الحاضرين وهم آخرون بالتأبين ولكن رؤي أن الزمان والمكان لا يتسعان له فطلب الكف عنه إلى وقت آخر ، واستمر الناس يفدون على داره أياما للتعزية . وقد روعي في كل مراحل هذا الخطب العظيم من ساعة الوفاة إلى نهاية التعزية السنة الشريفة النبوية . وقد نعى الفقيد بعض الاقطار الاسلامية على المآذن وصلى عليه كثير منها صلاة الغائب ولا سيما في المساجد الثلاثة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس

ولد السيد الامام رضي الله عنه في جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ الموافق اكتوبر سنة ١٨٦٥ م في قرية تسمى القلمون على شاطىء البحر الابيض المتوسط من جبل لبنان تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال حين كان جميع أهل هذه القرية من السادة الاشراف المتواتري النسب وقد اشتهروا إلى شرف النسب بشرف الحسب وحسن السيرة ويمتاز بيته الكريم فيهم بأنه بيت علم وارشاد وتقى ورياسة ، وبأنه معقد رجاء ذوي الحاجات ، ومحط رحال العلماء والادباء والحكام والعظماء ، ولذلك نشأ السيد الامام رضي الله عنه عالي النفس ، كبير الهمة ، محبا للعلم والتقوى والصلاح ، ضاربا في هذا وذاك بسهام صائبات

تعلم في كتاب القرية قراءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب الاربع ثم أدخل المدرسة الرشيدية بمدينتهم طرابلس الشام وكان التدريس فيها باللغة التركية فأقام فيها سنة ثم انصرف عنها ودخل المدرسة الوطنية الاسلامية التي كان

يديرها أحد الساعين لتأسيسها أستاذه العلامة الشيخ حسين الجسر الازهري رحمه الله ، ولما لم تقبل الحكومة العثمانية أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ألغيت وتفرق طلابها ، فذهب بعضهم إلى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم لطلب العلم في المدارس الدينية في طرابلس والفقيد منهم ، فجد في طلب العلوم الدينية والعربية والعقلية ووضع وتلمذ على أقطابها وهم مشايخه حسين الجسر ومحمود نشابه وعبدالغني الرافعي هناك ، ولازم أستاذه الشيخ حسين الجسر دهراً طويلا حتى أتم دراسته وبرع في العلم والشعر والكتابة وكان في إبان طلبه العلم منصرفا إلى عبادة ربه داعياً إلى الاصلاح حتى علا في بلاده ذكره وضاقت به حريتها المخنوقة وميدان العلم والاصلاح فيها ، فهم بالاتصال بالسيد جمال الدين الافغاني حكيم الشرق الاول ولم يوفق فقدم مصر وفي اليوم التالي لقدومه اتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده حكيم الشرق الثاني وبقي ملازما له يأخذ عنه ما كان عنده وعند أستاذه من العلم والحكمة ووجوه الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي وأصدر أول عدد من مجلة المنار في العشر الاخير من شوال سنة ١٣١٥ هـ — مارس سنة ١٨٩٧ م وأخذ ينشر فيه ماعنده وعند أستاذيه من علم وحكمة وهدى وإصلاح ويشد بذلك وبالكتابة في الصحف اليومية أزر أستاذه الامام في دعوته حتى اختاره الله لجواره وبقي هو وحده في الميدان بعد ذلك دهراً طويلا وفياً لأستاذه ولدعوته حتى اختاره الله هو الآخر لجواره رضي الله عنهم وأرضاهم بعد أن أصدر من مجلدات المنار أربعاً وثلاثين مجلدة وجزءا من الخامسة والثلاثين وعدة كتب من إنشائه وعدة كتب من إنشاء غيره من المصلحين

توفي السيد الامام أسبغ الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان عن نحو اثنتين وسبعين سنة هجرية أو نحو سبعين سنة ميلادية قضاها إلا قليلا منها وهي

سنوات الطفولة في دراسة العلم ونشره بالكلام وبالكتابة لاسيما العلم بالكتاب والسنة وهدايتهما وأحكامهما وأسرارهما وفي رياضة النفس على العمل بهما وعلى التحلي بالخلق الكريم الذي كان عليه جده الأعظم محمد رسول الله ﷺ وفي الدعوة إلى سبيل الله وإلى الاصلاح وفي محاربة أعداء الدين ورد الشبهات عنه حتى بلغ في كل هؤلاء الذروة والغارب وأصبح منقطع النظير لا يشق له في ميدان من ميادينها غبار ولا يدرك له فيها شأو

وإن أعجب لشيء فمجيء العظيم لآماله الكبار في إعزاز الاسلام والمسلمين التي لم يخمد لها لهب ولم يهمد لها جمر والتي شغلته العمر كله وأنهكت قواه وأقامت العالم الاسلامي وأقعدته

وكان أكبر همه رضي الله عنه مصروفا إلى رد المسلمين إلى أصل دينهم وهو الكتاب والسنة وإلى تحريرهم من رق البدع والخرافات وحمايتهم من عقارب الفتن والشبهات وسل من أجل ذلك حساميه لسانه وقلمه وكلاهما أحد من الآخر وما زال يرمي البدع والخرافات والمشكلات والشبهات حتى أصاب منها الكلى والمفاصل وكاد يجهز عليها لأن انحراف المسلمين بها عن الدين ولأن هذا الانحراف أصل بلائهم وذلتهم واستعبادهم . وما كان رضي الله عنه يقنع بهذا — وفي هذا وحده الكفاية — بل كان يسعى ويجاهد ويشارك في تحرير الشعوب الاسلامية من الاستبداد قولا وكتابة وعملا

ومن أجل هذا وذاك هجر وطنه الشام إلى مصر وسافر إلى الاقطار الاسلامية الشاسعة الهند والعراق وتركية أوروبا وبلاد العرب بل وإلى أوروبا نفسها لدعوة علماء الاسلام وملوكه وأمرائه وزعمائه لما يعتقد أنه الحق ولمشاركته من كان على شاكلته منهم في السعي والجهاد لاحياء الاسلام والمسلمين

ومن أجل هذا وذاك كان رضي الله عنه مغتبطا كل الاغتباط بالمملكة

العربية السعودية لانها متوجهة حكومة وشعبا للعمل بالكتاب والسنة في الشؤون الدينية والدنيوية معاً منصرفة كل الانصراف عن المنكرات والبدع والخرافات وهو ما يريد أن يوجه العالم الاسلامي كله إليه ويصرفه عنه ولأنها تقيم الدليل الحسي العملي في هذا العصر المادي الطاغي على امكان حياة الامم حكومات وشعوبا بالكتاب والسنة حياة منزلية اجتماعية سياسية سعيدة وبذلك يثبت مايدعو اليه من أن القرآن الكريم وما يوافق روحه من السنة الصحيحة أصل لسعادة البشر في الدنيا كما أنه أصل لسعادتهم في الآخرة ، وكان لا يدخر جهدا ولا وقتا في تأييد هذه المملكة السعودية السعيدة ومحاربة خصومها بلسانه وقلمه وبمساعيه الحميدة

ومن أجل هذا وذاك كان يحب آل سعود أعزهم الله وأيدهم بروح من عنده حبا جما ويتعهد للفرص التي يتمكن فيها من الاتصال بهم والافضاء اليهم بكل ما عنده من وجوه الاصلاح كل مرصد ويفترصها ولا يدع واحدة منها تفوته

ومن أجل هذا وذاك كان حريصاً كل الحرص على أن يحتفي بتكريم سمو الامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية حين مروره بالديار المصرية عائدا من أوروبا إلى وطنه العزيز ويمضي معه أكثر أوقاته ويختلي به ليفضي إليه بما يجيش في صدره من وجوه الاصلاح

وكان الفقيد تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته مصابا في آخر أيام حياته بعلة تعرف في الطب الحديث « بضغط الدم » وكان يعلم علم اليقين أن خير وقاية تتقى بها أخطار هذه العلة اجتناب الاعمال العقلية والجسدية وكان مهدداً بفتكها به وقد جاءه نذيرها وكشر له عن نابه وألقى عليه إنذاراً مفزعاً وهو نوبة قاسية من نوباتها وحذره الطبيب شرها

وأشهد أني سألته في الاسابيع الاخيرة من حياته غير مرة عن صحته

سؤال محب مشفق يعرف هو مقاصده وأنه لا يخشى شيئاً خشية فقده فكنت أفهم منه أنه يجد في جسمه كله فتوراً وضعفاً وكان ذلك يقع من نفسي أسوأ وقع

وما كان يخفى على السيد الامام رضي الله عنه وهو حكيم من أرجح الحكماء عقلا وأبعدهم نظراً أنه يستهدف بالمتاعب العقلية والجسدية للخطر الاكبر وهو الموت الفجائي المقض لمضاجع الاحياء ، ولكن إيمانه الصادق الراسخ بالله سبحانه وتعالى — وما أصدق إيمانه وأرسخه — القائل وقوله الحق (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ماشاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وتعطشه الشديد الدائم إلى بذر بذور الاصلاح وتعهدها دائماً بمدارسة أهل الاصلاح وولوعه الشديد بتأييد آل سعود كل هذا دفعه إلى بذل جهوده العقلية والجسدية بسخاء في الحفاوة بالامير سعود وفي مدارسته إياه شؤون الاصلاح حين مروره بالديار المصرية عائداً إلى وطنه العزيز ، ولم يستطع سمو الامير أعزه الله وأيد ملك والده بنصره المبين ولا بعض من معه أن يحملوا السيد الامام رضي الله عنه على القصد في الجهود التي بذلها على النحو الآتي :

استقبل سمو الامير على رصيف الميناء في الاسكندرية في منتصف الساعة الخامسة من مساء الاثنين الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٣٥ ساعة قدومه مصر من أوروبا ثم بات في الاسكندرية ورافق سمو الامير منها إلى بنها يوم الثلاثاء ١٣ منه وحضر فيها الحفلة التي أقامها لسمو الامير الكاتب البليغ والخطيب المصقع الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ثم عاد إلى القاهرة واستقبله في محطها في أواخر الساعة الحادية عشرة من مساء الاثنين التاسع عشر من أغسطس وكان المحط ساعتئذ غاصا بالمستقبلين حتى لم يبق فيه موضع لقدم وانغمس السيد الامام في هذه الجموع المحتشدة مكرهاً وقد قال من رآه إنه تعب كثيراً وما كادت عين سمو الامير حفظه الله تقع عليه حتى أخذه من يده وسار به ولكن

للزحام غلبهما على أمرهما وحال بينهما وفي هذا ما لا يخفى من التعب والضرر اللذين تعرض لهما السيد الامام رحمه الله

وفي يوم الثلاثاء العشرين من أغسطس أخذ سمو الامير يستقبل المهنئين فسارع السيد الامام إلى تهنئته وتغدى معه ثم حضر الحفلة التي أقامها حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا لسمو الامير ودعا فيها سموه لزيارة دار المنار فتفضل باجابته الدعوة وزارها يوم الاربعاء ٢١ منه ، وكان السيد حريصا الحرص كله على أن يخلو بسمو الامير ساعة يفضي اليه فيها بأشياء في نفسه من شؤون الاصلاح فلم تتيسر له هذه الخلوة في دار المنار فاتفق هو وسموه فيها على أن تكون هذه الخلوة في « الذهبية » التي يقيم فيها سمو الامير في فجر يوم الخميس ٢٢ منه وهو يوم سفر الامير وعلى أن يرسل اليه سيارة تقله من دار المنار إلى الذهبية وكان الفجر يومئذ على الساعة الرابعة صباحا إلا دقيقتين ، فجاءته السيارة رحمه الله قبيل الفجر وهو يتنفل ثم استقلها إلى الذهبية وكان فيها مع سمو الامير الدكتور فؤاد سلطان عضو مجلس الادارة المنتدب ببنك مصر والسيد محمد الغنيمي التفتازاني شيخ السادة الخلوتية التفتازانية ثم حضر بعده الاستاذ الجليل محمد توفيق دياب صاحب الجهاد ، فاختلى فيها السيد بالامير ساعة أفضى إليه فيها بما أراد وحينئذ استراح فؤاده وطابت نفسه وقرت عينه ولكنه أبى أن يقتصر في الحفاوة بالامير على هذا القدر المضني لأمثاله وهو في مثل حاله ولم ينم أكثر ليلة الخميس وعزم أن يودع سمو الامير في السويس ولم يقبل رجاءه ولا رجاء بعض من معه في إعفائه من هذا العناء وذهب إلى السويس في سيارة مع الذاهبين وما أشق السفر بالسيارات ، فأقل ما فيه من مشقة أن يبقى الراكب في السيارة قاعداً في وضع واحد لا يمكنه تغييره طول الطريق وما أطولها، ووقف على الرصيف يودع سمو الامير حيث أقلعت السفينة التي تقله وعاد أدراجه بالسيارة

إلى القاهرة من غير أن يلوي على شيء في السويس وذلك لأعمال بدار المنار لابد من انجازها

وبينما هو عائد يجتاز طريق السويس إلى القاهرة بالسيارة مع رفيقيه وهما ابراهيم أدهم بك زوج حماة سمو الامير فيصل بن جلالة الملك عبد العزيز سعود وهو تركي لا يحسن العربية وزكي أفندي محمد ثنيان شقيق حرم سمو الامير وهو شاب يافع وهو منصرف إلى تلاوة القرآن الكريم في المصحف كعادته في أواخر أيام حياته كلما خلا من عمل أو كلام نافع، إذ شعر وهو في السيارة بدوار فاستوقفها ونزل منها وقاء ثم ركبها وسارت الهوينى واستأذن زميليه أن يضطجع واضطجع وظنه رفيقاه نائما فتركاه وقبيل أن يدركوا مصر الجديدة أرادا تنبيهه فاذا به جثة هامدة، فسارعا به إلى مركز الاسعاف بمصر الجديدة وهناك ثبت أنه رضي الله عنه قضي نحبه، فأحضر إلى داره وكان من أمر النعي والتشييع والدفن والتأبين والتعزية ما بيناه في صدر هذا المقال

***

وبعد فهل مات السيد الامام محمد رشيد رضا صاحب المنار حقا؟ نعم مات إذ فارق روحه الطاهر جسده الشريف فأودع القبر هذا الجسد العزيز أما الروح فبقي معنا وسيبقى ما بقيت هذه الدنيا إن شاء الله تعالى، بقي روحه الطاهر متلألئا باسما في أكثر من أربعين مجلدة من مجلدات المنار وغيره من مؤلفاته وفيما اختاره وقام على طبعه وتصحيحه بنفسه من مؤلفات غيره الاحياء منهم والاموات وفي اخوانه وأبنائه الذين اقتبسوا من علمه واهتدوا بهديه وفي سيرته التي نسج فيها على منوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنه وعنهم أجمعين

***

فمن مجموع هذه الثروة التي تركها يمكن إن شاء الله تعالى أن يبقى المنار حيا يمثل السيد الامام رضي الله عنه ولو بعض التمثيل وينشر ولو بصيصا من النور الذي بعثه السيد رحمه الله إلى مشارق الارض ومغاربها ويستمد حياته ومادته من هذا المجموع ، والنية معقودة إن شاء الله على اصداره واستمراره

***

هذا ما وسعه المقام الآن من نعي السيد الامام رضي الله عنه وإن لهذا اليوم ما بعده وإن لنا لعوداً على بدء ، أحسن الله عزاء آل رضا وعزاء اخوانه وأبنائه وعزاء الاسلام والعالم الاسلامي فيه وأغدق عليه ما هو ان شاء الله تعالى أهل له من سحائب رحمته ورضوانه وجعله (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

عبد الله أمين

« قلم التحرير » كتب حضرة العالم الاديب الكبير كلمته هذه من أكثر من ستة أشهر لتنشر في المنار ، وها قد صدق فأله الحسن وصدر المنار بعد استيفاء المعاملات الرسمية لاصداره ، والله نسأل أن يوفقنا للاستمرار في خدمة أثر فقيدنا وفقيد الاسلام والمسلمين

كلمة الاستاذ علوبة باشا

وزير المعارف

في مهرجان الاصلاح الاجتماعي

أقامت « رابطة الاصلاح الاجتماعي » مساء يوم الجمعة ٨ ذي القعدة مهرجانها في دار جمعية الشبان المسلمين برئاسة سعادة وزير المعارف الاستاذ محمد علي علوبة باشا ، وبعد تلاوة آيات من القرآن الحكيم تقدم فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز فشكر بالنيابة عن جمعية الشبان المسلمين لرابطة الاصلاح الاجتماعي عملها، وانتهز فرصة وجود سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وزير المعارف فشكر له حرصه على ترقية الشباب لانهم عمد الاصلاح ، وقال إن أس الاصلاح هو الخلق والدين ، ولا يصلح الشباب إلا بالخلق والدين ، وطلب من الوزير الجليل أن يجعل نظم التعليم مؤسسة على الدين والخلق ، ولا يتم إصلاح الا اذا تقرر الدين مادة أساسية في جميع مراحل التعليم ، وتمنى للوزارة النهوض على أساس الخلق والدين

فوقف سعادة الاستاذ محمد علي علوبة باشا وألقى الكلمة التالية :

اخواني : سادتي :

لم أجد فرقا بين اليوم والامس ، ولا أعرف لي وصفا الا اني محمد علي من قبل ومن بعد ، أضيف إلي اليوم تكليف في عنقي أرجو الله أن يوفقني للنهوض به ، ولقد دلتني التجارب والتاريخ قبل الاسلام وبعده على أنه لم ترق أمة بلا دين ، ولا فائدة من وطنية بلا دين ولا دين بلا وطنية

سادتي : صدق الشاعر الجاهلي الحكيم في قصيدته الخالدة إذ يقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا على عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

ما أصدق هذا القول على الامم والجماعات ، وما أصدقه على الافراد أيضا ، نعم على الافراد .

ولا عجب في ذلك ، فكما أن الامم لا سبيل إلى نجاحها واستقرار أمورها إذا اختلط فيها الحابل بالنابل ، وتوسيت كفاية المستنيرين ، وكرامة الاكرمين، فكذلك الافراد .

لا سبيل الى اسعادهم اذا سادت فيهم أحط غرائزهم فخذلت أسمى مواهبهم العقل سيد الملكات ، والخلق الفاضل سبيل السعادة ، فهما وحدهما الجديران بأن يسودا ويهيمنا على الانسان كما يجب أن يهيمن أشراف القوم ومفكروهم على عامتهم وسوادهم

ولا سبيل الى استقرار الامور في نصابها اذا اختلط الامر وترك الحبل على الغارب ، واستسلم كل انسان لأهوائه ونزعاته ، وتركها تستبد بخلقه وتطغى على عقله ، فان مآل ذلك الخسران المحقق والبوار الذي لاشك فيه .

أيها السادة :

لعلكم تذكرون حكمة الرسول عليه صلوات الله وسلامه حين عاد من غزوة بدر الكبرى فقال لصحابته قولته المأثورة « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » يعني من جهاد الغزو الى جهاد النفس ومغالبة أهوائها، وكبح جماحها الثائر

وانما أذكركم بهذا لابين لكم الحافز القوي الذي يحفزنا الى تقديم هذا الواجب — واجب الاصلاح وتقويم الاخلاق — على كل واجب آخر

وما ذلك المهرجان الذي أقمناه بالامس في مؤتمر الشباب الاخلاقي لنصرة الخلق الفضل القويم ، ولا هذا المهرجان الحاشد الذي نقيمه اليوم للاخذ بناصر الاصلاح والمصلحين . الا مثلين من أمثلتنا التي أخذنا بها نفوسنا لنفع أمتنا وتسديد خطواتها في طريق السعادة الحقيقية والخير العميم

أيها السادة :

ان الاصلاح الاجتماعي غايتنا التي طوينا فيها أمانينا ،وعلقنا عليها كل مانسعى الى تحقيقه في اسعاد الامة وإبلاغها أعلى درجات العزة والرفعة ، وان الدعاية للاخلاق الفاضلة هي أهدى سبيل يصل بنا إلى تلك الغاية المنشودة التي تعلقت بها آمالنا ووقفت عليها جهودنا

على أن الطرق المؤدية إلى ذلك المقصد الشريف ، وتلك الغاية الموجودة لتختلف وإن كانت لا تتناقص ، والوسائل التي يتوسل بها المصلحون والدعاة إلى الاخلاق لتتعدد وإن كانت تجتمع آخر الامر وتأتلف تحت راية واحدة . فما أجدر الدعاة إلى الاخلاق والمصلحين أن يجتمعوا في أول الطريق صفاإلى صف ماداموا يعلمون علم اليقين أنهم متلاقون ومجتمعون آخر الامر في الغاية والهدف

لقد نشطت في هذه الايام جماعات من الشباب الناهض يروجون لأغراض اصلاحية شريفة بوسائل شريفة ، وأخذت تعقد اجتماعاتها في مختلف الاندية ، وتلقي خطبها في شتى المنابر ، وتنشر آراءها على صفحات الصحف ، وقد التفت الجمهور لها ، وأنصت لقولها . فأوشكت هذه الجماعات المتباينة أن تتبوأ مقاعدها اللائقة بشرف أغراضها ، ونبل مقاصدها ، ولقد ظللت أتتبع أخبار تلك الجماعات بعين الرضا ، مكناً لها في أعماق قلبي أكبر الترحيب ، غير ضان عليها بكل ما أملك من جهد ، رغبة في تشجيعها وتقويتها ، مردداً قول شاعر انكليزي ساغه الاديب كامل كيلاني في شعر عربي :

قطرات المياه منها محيط وصغار الحصى تكون أرضا
ودقيقاتنا تؤلف جيلا بعد جيل في إثره يتقضى
وقليل الجنان والحب مما يجعل الارض جنة الخلد خفضا

ثم جعلت أنعم النظر وأطيل التأمل في هذه الجماعات المتشعبة التي اختلفت أسماؤها وأنصارها ، واتفقت أغراضها ووسائلها ، فوجدت أن لا مندوحة من تضافر هذه القوة المشتتة ، وجمع تلك الروابط المتعددة لتنضوي جميعها تحت لواء واحد ، فيتكون منها اتحاد قوي يوحد طريقها ويلائم بين خطاها ، ويرسم لها أعلام الطريق وسواه فتمضي على اسم الله راشدة موفقة الى الخير

ولست أبغي بذلك أن تتفرق هذه الجماعات ثم تندمج في هيئة واحدة باسم واحد ، فان هذا الاندماج يحد من نشاطها الفردي ، ويفتر من عزيمتها ، ولكنني أريد أن يكون الاتحاد لها بمثابة الاب أو القائد الاعلى ، وتبقى هي على حالها ، فلكل جماعة نظامها ، ولها استقلالها ونشاطها

وان ذلك ليذكي في هذه الجمعيات روح التقدم والنجاح بفضل ما ينشأ بينها من التنافس والتسابق ، وهما دائما أكبر دواعي النشاط والاقدام، وأقوى مشجع على الاضطلاع بأنبل الفروض، وأعظم الواجبات

ذلك أيها السادة رأيي وتلك هي أمنيتي ، ولست أرى هـذا اليوم السعيد الذي تتحقق فيه هذه الامنية ببعيد ، وما ذلك على اخلاص الشباب بعزيز

أيها السادة :

ان جميع الامم التي تقدمت في طريق الحضارة والحرية أشواطا بعيدة لم تصل الى ماوصلت اليه من الرفعة ،ولم تبلغ مابلغته من المجد الا بفضل نجاحها الاجتماعي الذي تأسس على قوى متينة من الاخلاق ، وارموا بأنظاركم نحو أية أمة من كبريات الامم تروا أن التفاضل بينها وبين غيرها في القوة والمنعة يمشي جنبا الى جنب مع التفاضل في الرقي الاجتماعي ، فاذا كانت أمنيتنا أن ننهض بهذه الامة نهوضا حقا فلنا بالامم أسوة حسنة ، وماعلينا الا أن نسعى لاصلاح كياننا الاجتماعي اصلاحا تقر به عين الخلق القويم

أيها السادة : ان وجوه الاصلاح الاجتماعي شتى ، وليس من همي أن أفصل القول فيها تفصيلا بعد أن أجملته فقد قام بذلك حضرات الاماثل الاعلام الذين أخذوا على عاتقهم - متفضلين أن يحاضروكم الليلة في كثير من نواحي الاصلاح الاجتماعي ، وستكون هذه البحوث القيمة مع غيرها محل تمحيص وفحص لتكون نواة للنهضة التي نسعى لتحقيقها ما وسعنا الجهد

وقد عنيت في خطابي هذا أن أوجه أنظاركم الى وجوب تنظيم جمعيات الاصلاح التى نشطت في هذه الايام ووجوب اشتراك كبار القوم في العناية بها وتشجيعها والاخذ بناصرها حتى تؤتي أكلها وترجع على الامة بأبرك الثمرات

ويسرني أن لا أختم كلمي قبل أن أشكر لحضراتكم تفضلكم باجابة دعوتنا لكم لحضور هذا المهرجان وأن أشكر حضرة الشاب النشيط سيد افندي مصطفى سكرتير رابطة الاصلاح الاجتماعي فلقد كان له أكبر الاثر في تهيئة هذا المهرجان والله أسأل أن يهبنا الرشاد في القول والعمل والسلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لابد منها

رأيت أنه لابد من إصدار « المنار » ذلك الأثر الخالد الذي دوى صوته أربعين عاما في العالم مجاهداً في نشر الاصلاح ، ومحاربة البدع والخرافات . فتوكلت على الله وطلبت تجديد الرخصة باسم أكبر نجلي الفقيد « السيد محمد شفيع رضا » حرسه الله ، وبما أن سنه وعمله المدرسي لايسمحان له بأن يكون رئيسا للتحرير مسئولا تقدمت أنا لهذا

وإني أعاهد الله سبحانه وتعالى أن أبذل ما أستطيع من مالي ووقتي في هذا العمل الجليل ، وأدعو محبي فقيدنا العزيز من اخوانه وتلاميذه ومريديه إلى شد أزري وارشادي ومعاضدتي كل بما يدخل في طاقته والله ولي التوفيق

ويرى القراء أن فقيدنا رضي الله عنه قد كتب أهم أبواب هذا العدد : التفسير والفتاوى فهما آخر ما خطه قلمه وسيرون في الاعداد القادمة كثيراً من مذكراته وآثاره

وإني لأشكر سعادة رجل مصر والاسلام محمد طلعت حرب باشا فانه حفظه الله قدم للمجلة مساعدة يشكر عليها

محيي الدين رضا

الوهابيون

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[١]

همس في أذني بعض الحجاج المصريين ونحن في الباخرة «كوثر» في العام الماضي أثناء تأديتي فريضة الحج أن الوهابيين يمنعون الناس من الصلاة على النبي وإذا صلى أحدنا عليه أمامهم أنزلوا به عقابا شديداً . فقلت له هذا وهم يودإذاعته بعض رجال السوء من القائلين للوهابيين . فقال : بل هو عين الحقيقة وسترى الامر بنفسك

ولما قابلت جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في يوم ١٢ مارس الماضي لأول مرة وكان أحد العلماء يتلو على مسامعه تفسير القرآن فلما انتهى المفسر من التلاوة أخذ جلالته في سرد طائفة من فضائل الدين الاسلامي الحنيف وكان إذا ذكر النبي ﷺ يتبع اسمه بالصلاة عليه ولا يغفل عن الصلاة عليه مرة مطلقا .

وقابلت بعد ذلك حضرة العالم النجدي المشهور الشيخ عبد الله بن بليهد فقدم إلي رسالة اسمها «جامع المسالك في أحكام المناسك» وضعها في مناسك الحج توزعها الحكومة مجانا كما توزع رسالة أخرى وضعها الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأشرف الشيخ ابن بليهد على طبعها فتصفحت الرسالة الاولى فلحظت أن الشيخ ابن بليهد يلتزم ذكر الصلاة على النبي ﷺ في كل مرة يرد اسمه فيها فقلت له إن بعضهم يتهم الوهابيين باهمال الصلاة على النبي ﷺ ومع ذلك أراكم التزمتم إيراد الصلاة عليه في كل مرة يرد اسمه الشريف فيها بينما نرى غيركم لا يلتزم ذلك وبعضهم يضع حرف (ص) أو حروف (صلعم) فقال : إن وضع هذه الحروف قبيح والواجب أن يتبع اسم النبي بالصلاة عليه كما التزم ذلك العلماء الموثوق بهم وأورد أسماء طائفة من العلماء

---

(١) فصل من كتاب «رحلتي إلى الحجاز» بقلم محي الدين رضا وقد أتمت طبعه مطبعة المنار ويطلب من مكتبتها وثمنه خمسة قروش صاغ وعدد صفحاته ١٦٠ بقطع المنار

المتقدمين وما قالوه في هذا الباب مما لا يحضرني الآن لأنني أكتب هذه الكلمة بعد مضي نحو ثلاثة أشهر على المقابلة.

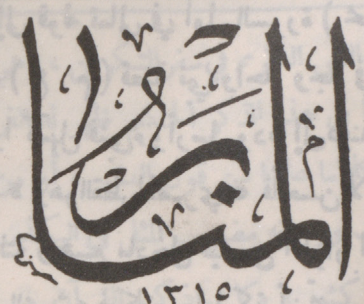
ولما قابلت جلالة الملك في قصره بمكة في يوم ١٩ مارس الماضي مع وفد الصحافة وتحدثنا مع جلالته ، وكنت أطرح الاسئلة عليه . قلت لجلالته : انني ألحظ أنكم تصلون على النبي في كل مرة يرد ذكره فيها ومع ذلك نرى بعضهم يتهم الوهابيين بعدم الصلاة على النبي ، فقال جلالته :

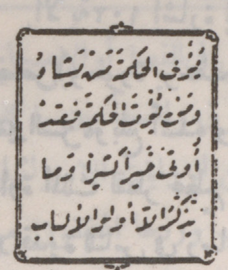
هذا أمر غريب جداً ، كيف لا نصلي عليه ؟ ومن الذي نحبه بعد الله أكثر من نبينا ﷺ ، فوالله إنه أحب الينا من كل شيء ، وإنا نغار عليه وندافع عن دينه كما نغار على حريمنا وأكثر بل اننا نحب خلفاءه الراشدين ، ونحب كل خادم للاسلام ولا سيما الأئمة الاربعة ، ونحن طلاب حق نتبعه أينما وجدناه ونأخذ الصحيح في أي مذهب كان أو على يد أي عالم أتى به لا نفرق بين أحد ، وها نحن نحب تفسير ابن كثير ونعنى به كثيراً وصاحبه شافعي ، واذا نحن جنحنا الى مذهب الامام أحمد رضي الله عنه فلأنه يعنى بحديث رسول الله ﷺ أكثر من غيره من الأئمة كما هو معلوم . فهل بعد ذلك يقال عنا اننا لا نصلي على النبي ﷺ وهو الذي جاء بالدين الحق الذي ندين الله به ، وتوسع جلالته في ذلك كثيراً وكانت أمارات التأثر بادية على محياه بجلاء تام.

وفي المدينة المنورة قابلت حضرة الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم أمير المدينة ولحظت أنه يلتزم الصلاة على النبي أيضا فنوهت باتهام بعضهم للوهابيين بترك الصلاة عليه فانطلق يسفه مزاعم أولئك ويفصل القول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ ، ومما قاله : اننا معشر الوهابيين نعتبر الصلاة والسلام عليه في الصلاة ركنا من أركان الصلاة لا تتم إلا به بينما بعض المذاهب لا يعتبرها ركنا، وهذه حجة دامغة للمزاعم الباطلة

فهذه أقوال ثلاثة من أقطاب الوهابية بل هي أقوال جلالة الملك المعظم محيي المملكة وحامي الجزيرة العربية كلها تقريباً ، وأكبر علماء مملكته ، وحاكم أشرف إمارة من إماراته أجمعت قولا وكتابة على أن مارميت به الوهابية محض افتراء وإفك وبهتان

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى و « منارا » كمنار الطريق

٨ محرم سنة ١٣٥٤ هـ   ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي أدبي

بقلم العالم السلفي الكبير

الشيخ محمد بهجت البيطار

جرى فيه على نهج فقيد الاسلام والعرب

منشئ المنار

السيد محمد رشيد رضا

(١٠٢) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٣) وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

الآية ١٠٢ إشارة إلى قوله تعالى في أول السورة (نحن نقص عليك أحسن القصص) وسورة يوسف (ع . م) قصة نبي واحد وجد في غير قومه قبل النبوة صغير السن ، وبلغ أشده واكتهل فنبىء وأرسل ودعا إلى دينه وكان مملوكا ، ثم تولى إدارة الملك لقطر عظيم « وهو القطر المصري » فأحسن الادارة والتنظيم ، وكان خير قدوة للناس في رسالته وجميع مادخل فيه من أطوار الحياة ، وأعظمها شأنه مع أبيه وإخوته آل بيت النبوة ، فكان من الحكمة أن تجمع قصته في سورة واحدة وهي أطول قصة في القرآن افتتحت بثلاث آيات تمهيدية في ذكر القرآن وحسن قصصه ، ثم كانت إلى تمام المائة في تاريخ يوسف ، وختمت باحدى عشرة آية في الاستدلال بها على ماأنزلها الله لأجله من إثبات رسالة خاتم النبيين ، وإعجاز كتابه ، والعبرة العامة بقصص الرسل (ع . م) (*)

١٠٢ ﴿ ذلك ﴾ أي نبأ يوسف ووالده يعقوب وإخوته وكيف رفعه الله عليهم ، ومكن له في الارض ، وجعل له العاقبة والنصر ، والملك والحكم ، مع ما أرادوا به من السوء والهلاك ﴿ من أنباء الغيب ﴾ أي من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ولم تعاينه ، ولكنا (نوحيه إليك) ونعرفكه لنثبت به فؤادك ، ونشجع به قلبك ، وتصبر على مانالك من الأذى من قومك في ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله لما صبروا على مانالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالعرف ، وأعرضوا عن الجاهلين فازوا بالظفر ، وأيدوا بالنصر ، ومكنوا في البلاد ، وغلبوا على من قصدوا من أعدائهم ﴿ وما كنت لديهم ﴾ حاضراً عندهم ولا مشاهداً ﴿ إذ أجمعوا أمرهم ﴾ أي اتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم ، أو عزموا عزما إجماعيا لا تردد فيه ، على أن يلقوا يوسف في غيابة الجب ، وذلك مكرهم الذي قال تعالى ﴿ وهم يمكرون ﴾ به ، ولكنا أعلمناك به وحياً إليك ، وإنزالا عليك ، وقد تقدم الكلام على إجماع الامر عند قوله تعالى (٧١ فأجمعوا أمركم وشركاءكم) من سورة يونس ، وعلى لفظ المكر أيضا (ج ٣ ص ٣١٥ و ج ٨ ص ٣٣ من تفسير المنار)

(*) راجع تفسير المنار ج ١٢ ص ٢٥٠

ثم إن من قرأ قصة هذا النبي الكريم في سفر التكوين ، وهي في الفصل أو الاصحاح ٣٧ وما بعده ، ثم تلاها في هذا الذكر الحكيم ظهر له الفرق واضحاً بين ما كان وحياً معجزاً وما كان كلاما عاديا من قول البشر ، أو من الروايات الاسرائيلية التي جعلها نقاد الحديث ورواته مضرب المثل في الكذب وردها المحققون من المفسرين كالحافظ ابن كثير ، وكل ماذكره القرآن من قصص الرسل فهو من أنباء الغيب الدالة على نبوة محمد ﷺ (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم) وقال سبحانه (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الامر) الى قوله (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) الآية ، وقال (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ، إن يوحى إلي إلا انما أنا نذير مبين)

أما وقد أصاب بعض الكتب الالهية ما أصابها من التحريف والتبديل «كالتوراة والانجيل» وحجبت أنوارها ومقاصدها عن العقول البشرية ، فمن رحمة الله بعباده أن لا يدعهم يتخبطون في ديجور الضلالة ، ويتيهون في أودية الجهالة ، بل يجدد لهم وحيه ، ويعيد على أسماعهم قوله ، بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل يحفظه الله تعالى بحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) . فالقرآن هو المعجزة العظمى التي تدل على أن موحيه هو الله وحده وليس من قول البشر ، والدليل على ذلك أنه جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتابة ، ولم يطالع الكتب ، ولم يذاكر العلماء ، أليس من البراهين القطعية على صدق نبوة محمد ﷺ أنه كان أميا نشأ بين قوم أميين ، ثم أخبر بمثل ما أخبرت به الانبياء من الشؤون الغيبية دون أن يتعلم من بشر ؟! بلى . وهو كما قال تعالى في سورة هود بعد ذكر قصة نوح (ع.م) (١١ : ٤٩ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) وقد سمع كفار قريش هذه الآية وسائر

سورتها ولم يقل أحد منهم بل كنا فعلها ، ولما ادعى بعض الجاحدين أنه يعلمه بشر إذ رأوه يقف على قَيْن «حداد» رومي بمكة رد الله دعواهم بقوله (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي . هذا لسان عربي مبين) من ألحد فلان إذا مال عن الحق

١٠٣ ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ يقول جل ثناؤه وما أكثر مشركي قومك ولو حرصت على أن يؤمنوا فيصدقوك ويتبعوا ماجئتهم به من عند ربك ، بمصدقيك ولا متبعيك (*) وذكر الفخر الرازي في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ﷺ على سبيل التعنت ، فلما ذكرها أصروا على كفرهم فنزلت هذه الآية ، وكأنه إشارة إلى ماذكره الله تعالى في قوله (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) . ويرى السيد الامام أن الحكم في مثل هذه الآية عام ، وأنه من دقة القرآن في الحكم على الامم والشعوب إذ أنه يحكم على الكثير أو الاكثر بعدم الايمان كما في الآية المتقدمة ، وقال (وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وكقوله (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) والقرآن لم يحكم على أمة بالضلال والفسق بنص عام يستغرق جميع الافراد ، بل تارة يعبر بالكثير وتارة بالاكثر ، وإذا أطلق أداة العموم يستثني بمثل قوله في بني اسرائيل (ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) وقوله فيهم (فلا يؤمنون إلا قليلا) أو يحكم على البعض ابتداء كما قال فيهم وفي النصارى (منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون) فقد أثبت لبعضهم الايمان والاقتصاد أي الاعتدال في الدين ، والهداية بالحق والعدل ، وقال (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) فجمل أهل العلم الذين يفهمون الدلائل والبراهين ، وأهل الايمان المخلصين الذين يتحرون الحق هم الذين

(*) كذا قال ابن جرير والمراد من عاشوا منهم وماتوا على الشرك جحودا واستكبارا ، ومن فوائد هذا البيان إراحة قلب الرسول (ص) منهم وتوجيه دعوته الى أولي البصيرة والاستعداد

يقبلون دعوة النبي ﷺ لقوة استعدادهم . قال السيد الامام قدس الله روحه : إن القرآن يبين حقائق ماعليه الامم في عقائدها وأخلاقها وأعمالها ، يزن ذلك بالقسطاس المستقيم ، والدقة التي نراها في القرآن لم نجدها في كتاب عالم ولا مؤرخ ، فاذا نحن جمعنا ماحكم به على أهل الكتاب وغيرهم ، وعرضناه على علمائهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم فانهم يذعنون بأنه لباب الحقيقة ، بل هم يصرحون بأنه لولا غلبة الضلال والفسق والكفر عليهم في عصر ظهور الاسلام لما انتشر ذلك الانتشار السريع ، ولكن وجد فينا « معشر المسلمين » من طمس هذه المزية وجعلوا كل ما ينكره القرآن من فساد لأمم من قبيل هجو غير المسلمين ، وكل مايحمده هو خاص بالمسلمين ، حتى كأنه شعر لا يقصد منه إلا مدح أناس وذم آخرين ، وبهذا ينفرون غير المسلمين من الاسلام ، ويحولون بين المسلمين وبين العبرة والاتعاظ ، وفهم الحقائق اهـ

١٠٤ ﴿ وما تسألهم ﴾ أي وما تسأل هؤلاء الذين ينكرون نبوتك يارسول الله ﴿ عليه ﴾ أي على هذا القرآن الذي أمرت أن تدعوهم اليه ، وتذكرهم به أو على ما تدعوهم اليه من إخلاص العبادة لربك ، وهجر عبادة الاوثان ، وطاعة الرحمن ، وكلاهما مفهوم من السياق ﴿ من أجر ﴾ من ثواب وجزاء منهم ، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله ، أي ما تسألهم على ذلك مالا ولا غيره من المنافع فيقولوا لك إنما تريد بدعاتك إيمانا إلى اتباعك لننزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك ، كما أن جميع من قبلك من الرسل لم يسألوا أقوامهم أجراً على التبليغ والهدى ، وذلك مصرح به في قصصهم من سورة هود وسورة الشعراء وغيرهما ، وإذ كنت لا تسألهم ذلك ، فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم اليه اتباعا منك لأمر ربك ، ونصيحة منك لهم ﴿ ان هو إلا ذكر للعالمين ﴾ أي ماهذا الذي أرسلك به ربك إلا تذكير وموعظة لارشاد العالمين كافة ، لا لهم خاصة ، وهو نص في عموم بعثته ﷺ

١٠٥) وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٦) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٧) أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٨) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٩) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ

---

١٠٥ ﴿وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ (كأين) بمعنى كم الخبرية وفيها لغتان فصيحتان ، كائن بوزن فاعل ، وبها قرأ ابن كثير ، وكأين وبها قرأ الباقون . يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه سبحانه في السموات والارض فيقول عز وجل كم من آية في السموات والارض لله وعبرة وحجة ، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، وكالجبال والبحار والنبات والاشجار وغير ذلك من آيات الارض ، يمرون عليها معرضين عنها لا يعتبرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربها ، وأن الالوهة لا تنبغي إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء فدبرها

قال السيد الامام في تفسيره : قد يتفكر المرء في عجائب السموات والارض وأسرار ما فيهما من الاتقان والابداع والمنافع ، الدالة على العلم المحيط ، والحكمة

البالغة ، والنعمة السابغة ، والقدرة التامة وهو غافل عن العليم الحكيم القادر الرحيم ، الذي خلق ذلك في أبدع نظام ، وكم من ناظر إلى صنعة بديعة لا يخطر في باله صانعها اشتغالا بها عنه ، فالذين يشتغلون بعلم ما في السموات والارض وهم غافلون عن خالقهما ذاهلون عن ذكره ، يمتعون عقولهم بلذة العلم ، ولكن أرواحهم تبقى محرومة من لذة الذكر ، ومعرفة الله عز وجل . فالفكر وحده وان كان مفيدا لا تكون فائدته نافعة في الآخرة إلا بالذكر ، والذكر وان أفاد في الدنيا والآخرة لا تكمل فائدته إلا بالفكر ، فياطوبى لمن جمع بين الامرين ، فكان من الذين أوتوا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ونجوا من عذاب النار في الآخرة ، فتلك النعمة التي لاتفضلها نعمة (واجع ص ٢٩٩ ج ٤ من تفسير المنار) .

قرىء (والارض) بالرفع على الابتداء و (يمرون عليها) خبره ، وقرأ السدي (والارض) بالنصب ، ويطؤون الارض يمرون عليها ، وفي مصحف عبد الله : والارض يمشون عليها برفع الارض وهي قراءة تفسير ، والمراد مايرون من آثار الامم الهالكة ، وغير ذلك من العبر . ومن مباحث اللفظ أن (كأين) اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة ، ولذلك جاز الوقف عليها بالنون ، لان التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الاصلية ، ولهذا رسم في المصحف نونا ، ومن وقف عليها بحذفه اعتبر حكمه في الاصل وهو الحذف في الوقف ، ومميزها مجرور بمن غالباً نحو قوله تعالى (وكأين من نبي - وكأين من آية - وكأين من دابة)

ثم قال تعالى ١٠٦ ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال الامام ابن جرير : وما يقرأ أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الاوثان والاصنام واتخاذهم من دونه أربابا ، وزعمهم أن له ولداً ، تعالى الله عما يقولون ، وقال الحافظ ابن كثير : من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم من خلق السموات ومن خلق الارض ومن خلق الجبال ؟ قالوا الله وهم مشركون به ، وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وفي

الصحيحين أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، وفي صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا : لبيك لا شريك لك ، قال رسول الله ﷺ « قد ، قد » أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا ، وقال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) وهذا هو الشرك الاعظم ؛ يعبد مع الله غيره كما في الصحيحين عن ابن مسعود قلت يارسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك »

وقد سبق القول بأن القرآن يزن بالقسطاس المستقيم عقائد الناس وأعمالهم ، ويميز بين أصناف موحديهم ومشركيهم ، فلا يحكم عليهم في الدنيا حكما واحداً عاما ، ولا يجعلهم في الآخرة مستوين في منازل الكرامة أو الندامة (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار ؟) (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون) ، وقد تقدم كلام السيد الامام في دقة القرآن في الحكم على الامم والشعوب إذ يحكم على الكثير أو الاكثر بالشرك ، أو بعدم الايمان بالله تعالى وحده ، ومن درس تاريخ الامم السابقة واللاحقة ، ونظر في أحوال أهل الملل السماوية وغيرها ، عرف كيف طرأ الشرك على الامم ؛ وسرى في عباداتهم سريان السم في الدسم ، وما زال الشيطان - كما قال ابن القيم في إغاثة اللهفان الكبرى - يوحي إلى عباد القبور منهم أن الدعاء عندها مستجاب ؛ ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والاقسام على الله بها ، مع أن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه ، فإذا تقرر ذلك عندهم ، نقلهم منه إلى دعائه - أي الميت - وعبادته ، وسؤاله الشفاعة من دون الله ، واتخاذ قبره وثنا تعلق عليه القناديل والستور ، ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، فإذا تقرر هذا عندهم ، نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته ؛ واتخاذه عيداً ومنسكا ، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخراهم «قال» وكل هذا مما علم بالاضطرار من دين الاسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد ، وأن لا يعبد إلا الله فإذا تقرر ذلك عندهم ، نقلهم منه إلى أن

من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العلية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لاحرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون)» وما ذكره هذا الامام المحقق رحمه الله من التنقل في تعظيم الصالحين إلى عبادتهم هو حال أكثر الامم من عرب وعجم، في كل زمان ومكان، طبقا لما أخبر به الله في القرآن (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

أما التوسل الخلافي المشهور بين العلماء، المحصور في دعاء الله وحده مع التوسل اليه بصالحي عباده، كقولهم: اللهم بجاه فلان عندك، أو بحق فلان، أو بحرمته، أسألك أن تفعل كذا فهو يتوقف على السماع والنقل بمثل هذه الالفاظ، ولم ينقل عن الصحابة والتابعين وسلف الامة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، وقد يظن بعض الناس أن دعاة التوحيد وحماته ينكرون حرمة الرسل أو جاههم أو كرامتهم على ربهم، في حياتهم أو بعد مماتهم. والجواب أن هذه تهمة باطلة وظن آثم (إن بعض الظن اثم) كيف وجاه الرسل صلوات الله عليهم ثابت بالقرآن، قال تعالى في حق موسى «ع م» (وكان عند الله وجيها) وقال في حق عيسى «ع م» (وجيها في الدنيا والآخرة) فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بفخر هذا العالم، وسيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ؟ لاشك أن جاهه أعظم، ولكن جاه المخلوق عند المخلوق ليس كجاهه عند الخالق، فانه تعالى لايشفع عنده أحد إلا باذنه قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال سبحانه (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه ولغير من ارتضاه. وأما ماأخرجه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم من حديث فاطمة بنت أسد. والشاهد منه «بحق نبيك والانبياء الذين

من قبلي » وما رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري في « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي اليك » الحديث ، فهذان الحديثان على كونهما متكلما فيهما ليس فيهما إلا توسل بحق النبيين فحسب ، وحقهم هو ما فضلهم الله به على غيرهم من النبوة والرسالة ، وما خصهم به من الخصائص والمزايا ، كاجتبائهم واصطفائهم ، وما وعدهم به من النصر والتمكين ، والعز والتأييد ، وقبول شفاعتهم إذا شفعوا بعد الاذن والرضاء فهذا توسل اليه تعالى بأفعاله ، وأفعاله سبحانه ليست من مخلوقاته ، بل هي من مقتضى أسمائه وصفاته .

فقد علمت من هذا أنه ليس الخلاف في جاه الرسل الثابت لهم عند ربهم ، وإنما الخلاف في فهم المراد من التوسل بالجاه والحرمة والحق ، وهل جعله الله سبباً شرعيا في إجابة الدعوات ؟ فان كان المراد منه معنى يرجع إلى أفعاله تعالى وصفاته ، كاصطفائهم واجتبائهم ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة فبه نقول :

بيد أن ههنا مسألة مهمة ، وهي أن حقوق الرسل عليهم السلام وصلاح الصالحين ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة تربطها باجابة سؤاله ، فاذا قال السائل أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي لي حاجتي ، فمعنى ذلك : اقض حاجتي لكون فلان صالحا ، فأي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ؟ وإذا قلت بجاه فلان اغفر لي ، كان المعنى أطلب المغفرة لكون فلان ذا جاه ، وأي ملازمة بين جاهه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جاهه ليس منفيا عنه لا في حياته ولا بعد مماته ولا هو محل نزاع ، ولكنه ليس من عملك ، الذي تستفيد أنت منه وتستحق الجزاء عليه ، وإنما العامل هو الذي يجنى ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) ، فلو كان التوسل بصلاح الصالحين وعمل العاملين يفيد المتوسلين الجاهلين العاطلين عن العمل في دينهم أو دنياهم ، لهان الامر علينا

معشر المسلمين ، ولنلنا كل خير من ذلك ، إذ كان يمكننا أن نقول مثلا : اللهم حقق آمالنا ، وأنلنا وحدتنا واستقلالنا ، بجاه سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، ففتحت لهم فتحا مبينا ، ونصرتهم نصراً عزيزاً ، ربنا إننا نتوسل إليك بفتوحهم وعلومهم وأعمالهم ، أن تهب لنا من الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والحضارة والعمران ، مثل ما وهبت لهم ، فهل تفيدنا هذه التوسلات الدنيوية ، بجاه أسلافنا وما ملكوا من قوة وثروة ، وسعة سلطان ، واستبحار عمران ، ونحن قد تداعت علينا الامم ، فجعلتنا مغنما أو نهبا مقسما ؟! كلا إنما يجب علينا أن نعمل كما عملوا لنكون لهم من الوارثين ، وهكذا شأن التوسل الديني الاخروي ، فمن وفقه الله وألهمه رشده يتقي عقاب الآخرة بما شرعه الله لاتقائه من التوبة والايمان والاعمال الصالحة ، فرب الدارين واحد ، وحكمته واحدة ، لا يناقض بعضها بعضا ، ولا يبطل بعضها بعضا . هذا وان القرآن الكريم وكتب السنة طافي بالادعية والاذكار التي تعبدنا الله بها ، وقد جمعت في كتب خاصة ، فليت مشايخ الطرق يرشدون مريديهم اليها ، ويقصرون أنفسهم ومريديهم عليها ، فهي هي المنقذة من الضلال ، والموصلة إلى ذي العزة والجلال ، لا تلك التوسلات المبتدعة التي يشرعونها ويدعون الناس اليها ، ويضللون من ينكرها عليهم ، وهم يعلمون أن الله تعالى قد أكمل دينه ، وأتم نعمته (قل أأنتم أعلم أم الله ؟)

---

١٠٧ ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ؟ ﴾ يقول عز من قائل : أفأمن هؤلاء الذين لا يقرون بأن الله هو ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ، أن تأتيهم غاشية من عذاب الله تغشاهم من عقوبة الله ، وعذاب الله على شركهم بالله ، أو تأتيهم القيامة فجأة ، وهم مقيمون على شركهم ، وكفرهم بربهم ، فيخلدهم الله عز وجل في ناره ، وهم لا يدرون بمجيئها ، وقيامها « ابن جرير » ومعنى (غاشية من عذاب الله) أي نائبة تغشاهم وتجللهم ، و (هل أتاك حديث الغاشية ؟) كناية عن القيامة وجمعها

غواش ؛ وغشي « كرضي » فلان أصحابه إذا تام ، وغشي الشيء الشيء إذا لحقه وغطاه ، ومنه في التنزيل غشيان الموج والنجم والدخان والعذاب للناس ، وهذه الآية كقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ؛ أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم؟) وقوله (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ؟ أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ؟ أفأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ؟) . وقد فسر السيد الامام هذه الآيات الاربع من سورة الاعراف وقال إنها إنذار لأمة الدعوة المحمدية عربها وعجمها من عصر النور الاعظم إلى يوم القيامة لتعتبر بما نزل بغيرها ، كما ترشد إليه الرابعة منها «قال» رحمه الله : قد كان ينبغي للمسلمين وهذا كتابهم من عند الله عز وجل أن يتقوه تعالى باتقاء كل ما قصه عليهم من ذنوب الأمم التي هلك بها من قبلهم ، وزال ملكهم ، ودالت بسببها الدولة لاعدائهم إذ بين لهم أن ذنوب الامم لا تغفر كذنوب بعض الافراد ، وسننه فيها لا تتبدل ولا تتحول ، ولكنهم قصروا أولا في تفسير أمثال هذه الآيات المبينة لهذه الحقائق ، ثم في وعظ الأمة بها ؛ وإنذارهم عاقبة الاعراض عنها ، وترك الاتعاظ بتدبرها ، ومن يقرأ شيئا من تفسيرها فانما يعنى باعرابها ، والبحث في ألفاظها ، أو جدل المذاهب فيها ، ثم إنهم يجعلون معانيها خاصة بالكافرين ، ويفسرون الكافرين بمن لا يسمون أنفسهم مسلمين ، «قال» وطالما أنكر علينا بعض أدعياء العلم والدين ، أننا جعلنا الآيات التي نزلت في الكفار شاملة لأهل الاسلام والايمان ، مأفوكين عن تدبر المراد منها ، جاهلين للسنن العامة فيها ، وكذلك كان يقول أهل الكتاب من قبلهم ، فظنوا كما ظنوا أن الله تعالى يحابي الأمم والأقوام لأجل رسلهم ، وأنه يعطيهم سعادة الدنيا والآخرة بجاههم لا باتباعهم ، وقد راجت هذه العقائد في

المسلمين ، وكانت تجارة « باسم الدين » للدجالين الضالين المضلين (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) اه

ومعنى إتيان الساعة بغتـة ، مجيئها فجأة على حين غفلة ، من غير توقع ولا انتظار ، ولا إشـعار ولا إنذار ، وقد تكرر هذا القول في التنزيل ، وجاء في حديث أبي هريرة من الصحيحين ، واللفظ للبخاري « ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته (الناقة ذات اللدر) فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه - من ألاطه : طلا حجارته بالطين أو غيره كالجص ليمسك الماء ويحفظه - فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها » والمعنى أنها تبغت الناس وهم منهمكون في أمور معايشهم المعتادة فلا يشعرون إلا وقد أتتهم ، وقد قال تعالى في سورة الاعراف (١٨٧ : ٧ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ قل إنما علمها عند ربي ، لايجليها لوقتها إلاهو ، ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قال السيد الامام في تفسيرها مبينا الحكمة في إبهام أمر الساعة على الناس . وفيه إيذان بأن ماهو من شأن الرب لا يكون للعبد - أي وإن كان نبيا - فهو تعالى قد رباه ليكون منذراً ومبشراً ، لا للاخبار عن الامور بأعيانها وأوقاتها ، والانذار إنما يناط بالاعلام بالساعة وأهوالها ، والنار وسلاسلها وأغلالها ، ولا تتم الفائدة منـه إلا بابهام وقتها ، ليخشى أهل كل زمن اتيانها فيه ، والاعلام بوقت إتيانها وتحديد تاريخها ينافي هذه الفائدة ، ثم قال : فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم ، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى في أعمالهم فيلتزموا فيها الحق ، ويتحرروا الخير ، ويتقوا الشرور والمعاصي ، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدال ، والقيل والقال . اه كلام السيد

« قلت » ومن أراد استيفاء المباحث على الساعة أو القيامة للافراد وللأمة

أو الدولة والعالم ، وما ورد في قرب الساعة ، والروايات في عمر الدنيا ونقدها ، وتفنيد كلام السيوطي في عمر الدنيا ، وتخطئة المحققين له ، وكلام الامام ابن حزم في جهل من حدده ، ثم تحقيق ماورد في أشراط الساعة وعلاماتها والبحث في رواياتها ، وعللها وإشكالاتها وتمييز ماصح من غيره فليراجع تفسير المنار ، فقد أطال السيد الامام النفس في ذلك كله ، فراجعه فانك لا تظفر في غير تفسيره بمثله (ج ٩ ص ٤٦١ — ٥٠٧

١٠٨ ﴿ قل ﴾ يا رسول الله ﴿ هذه ﴾ الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، دون الآلهة والاوثان ﴿ سبيلي ﴾ سنتي ومنهاجي ، وقال مقاتل : ديني ، والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث ﴿ أدعو إلى الله ﴾ وحده لا شريك له ﴿ على بصيرة ﴾ يقين ، والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل ، أدعو ﴿ أنا ومن اتبعني ﴾ أي ويدعو اليه أيضا من اتبعني وآمن بي وصدقني ﴿ وسبحان الله ﴾ أي تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه ، أو معبود سواه في سلطانه ، ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ أي وأنا برىء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني ، تعالى الله عن شركهم علوا كبيرا (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفوراً) . دل قوله تعالى (على بصيرة) على مزية هذا الدين الحنيف ، ونهجه الذي انفرد به ، وهو أنه لم يطلب التسليم لمجرد الادعاء بحكايته ، ولكنه ادعى وبرهن ، وذكر مذاهب المخالفين وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وعرض نظام الاكوان ، وما فيها من الاحكام والاتقان على أنظار العقول ، وطالبها بالامعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا اليه (رسالة التوحيد)

نقل ناصر السنة البغوي عن عبد الله بن عباس (رض) أنه فسر قوله تعالى (ومن اتبعني) قال : يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة

وأقصد هداية ، معدن العلم ، وكنز الإيمان ، وجند الرحمن ، وقال عبد الله بن مسعود : أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولاقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فانهم كانوا على الصراط المستقيم .

«أقول» بعد أن سمعت قول هذين الصحابيين الجليلين ، تعال فانظر ماقاله في تفسير هذه الآية أشهر المفسرين المتكلمين الفخر الرازي « ر.ح » فقد فسرها تفسيراً جعل به الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من محترفي صناعة الكلام المبتدع ، والمشتغلين بعلم الاصول المستنبط المكتسب ، فاقرأ وتعجب (قال) في (ج ٥ تفسير الرازي ص ١٧٢) وهذه الآية (قل هذه سبيلي) تدل على أن حرفة الكلام وعلم الاصول ، حرفة الانبياء عليهم السلام ، وأن الله مابعثهم للخلق إلا لأجلها . «وأقول» لقد علم بالضرورة أن الانبياء عليهم السلام قد أوحي اليهم أنما الله إله واحد ، وقامت الآيات الحسية والعقلية في الآفاق وفي الانفس على أنه لارب غيره ولا معبود سواه ، وجاءت الكتب الالهية كلها ناطقة بذلك ، وقد عرف بالاضطرار من دين الاسلام أن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وهم خير الأمة لم يسلكوا طريق هؤلاء المتكلمين الذين أوجبوا النظر فيما ابتدعوه ، ولم يأخذوا معرفة الله سبحانه وتوحيده مما نصبه فلاسفة اليونان ومن دانوا ببدعتهم ، مما سموه الادلة العقلية ، والموازين الكلامية ، زاعمين أن قوانين المنطق هي القواطع العقلية ، وأن ماجاءت به الكتب ، وأخبرت به الرسل من صفات الله معدود من متشابه الكلام ، مصروف عن حقيقته . ولاشك أن أصحاب النبي ﷺ الذين هم صفوة هذه الأمة وخيارها ، المتبعون للرسول علما وعملا ، كانوا يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والبراهين والادلة التي بعث الله بها رسوله ﷺ والى تدبر القرآن وما فيه من البيان ، والقرآن قوله سبحانه الذي جاء فيه (أفلم يدبروا القول ؟) فأين كانت هذه المذاهب الكلامية الجدلية ، التي تضاد صريح اللغة وفقه القرآن وأساليب البيان، وحسبك

عن انحرافها أن جمهور المتكلمين من أهلها قد فسروا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي هي ركن الدين وأساسه الاعظم بغير ماتدل عليه لغة وشرعا ، ومنهم الامام الرازي في مواضع من تفسيره : فهو يفسر لفظ (الاله) بمعنى الخالق المدبر كما نجده في تفسير قوله تعالى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) ولم تكن العرب تعتقد أن آلهتها قد خلقت شيئا من العالم ، أو تدبر أمراً من أموره ، بل كانوا يعرفون ويعترفون بأن الله تعالى وحده الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور كما ثبت ذلك بنص القرآن العظيم قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال عزت كلمته (قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟)

أما آلهتهم فقد كانوا يتقربون بعبادتهم إلى فاطر السموات والارض كما أخبر تعالى عنهم بقوله (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فجاءت كلمة التوحيد تلقف ما يأفكون ، وتنفي مايثبتون ، فكلمة « لا إله » نفي لكل معبود في الوجود ، وإبطال لعبادته ، وكلمة « إلا الله » إثبات لعبادة المعبود بحق وحده (ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) إذاً فمعنى كلمة « إله » في لغة العرب والقرآن هو المعبود بحق أو بغير حق ولفظ الجلالة « الله » علم على المعبود بحق وهو الله عز وجل وحده ، وبين تعالى أن من تفرد بالايجاد والامداد ، هو الذي يستحق العبادة دون غيره ، وأقام عليهم الحجة بما أقروه من توحيد الربوبية ، على ما أنكروه من توحيد الالوهية

بعد أن فرغت من بيان ما في تلك العجيبة الجريئة التي جاءت في تفسير الفخر عن الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أوجه نظر القارىء الكريم إلى ما كتبه السيد الامام عليه الرحمة والرضوان في الامام الرازي وتفسيره الكبير وعلماء الكلام ومذاهبهم المتناقضة ، ثم رجوعهم عنها ، وهي القول الفصل في الموضوع ، وإني ألخصها بما يلي : وأدع استيفاءها بطولها لمن يحب وهي في [ج ١١ ص

حفلة تأبين فقيد الاسلام

المرحوم السيد محمد رشيد رضا

في يوم الخميس ١٠ محرم سنة ١٣٥٥

قالت جريدة « الجهاد » الغراء في عددها الصادر بتاريخ ١١ المحرم : —

اقيمت بعد ظهر أمس بدار جمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين المرحوم فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا برياسة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفي المراغى شيخ الجامع لازهر . وحضر الحفلة جمهور غفير من رجال العلم والفضل والادب واعتذر صاحب السمو الامير عمر طوسون لتغيبه وصاحب المعالى وزير المعارف لارتباطه بموعد آخر وصاحب السعادة محافظ العاصمة وغيرهم . وتلقت اللجنة برقيات وخطابات كثيرة من الاقطار العربية وافتتحت الحفلة بآى الذكر الحكيم ووقف فضيلة الاستاذ الاكبر والقى كلمة الافتتاح وتعاقب بعده الخطباء على الترتيب الآتى :

الاستاذ حبيب جاماتى : حياة السيد محمد رشيد رضا

فضيلة الاستاذ الشيخ على سرور الزنكلوني : السيد رشيد المفسر (ألقاها فضيلة الشيخ محمود شلتوت)

الاستاذ محمد لطفي جمعه : السيد رشيد رضا واتصاله بالمستشرقين

الاستاذ الحاج محمد الهراوي : قصيدة

فضيلة الشيخ محمد العدوي : السيد رشيد رضا والاصلاح الديني

الاستاذ عبد السميع البطل : السيد رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والارشاد

الدكتور عبد الرحمن شهبندر : الرابطة الشرقية

الاستاذ عبد الله عفيفي : قصيدة

كلمة الاسرة : القاها نجل الفقيد

خطبة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الالباب)

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الحكمة هي الفقه في القرآن . وروى ابن جرير عن ابن عباس انها معرفة القرآن : ناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه — وهي تفصيل للرواية الاولى عنه . وروي عن مجاهد انها الاصابة في القول والعمل ، وعن غيره انها معرفة ما في القرآن من عجائب وأسرار .

ونحن نضم هذه الروايات بعضها إلى بعض فنقول : ان الحكمة هي الفقه في القرآن ، وذلك لا يكون إلا بمعرفة ناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وحلاله وحرامه ، وما اشتمل عليه من عجائب وأسرار ، وعبر وعظات ، ونظم صالحة للاجتماع ، ومعان سامية للاخلاق ، وهذا محتاج إلى وسائل أولها العقل الراجح والبصيرة النافذة ، ودقة الملاحظة ، وسعة الاطلاع على سنة الرسول صلوات الله عليه ، وأقضية الصحابة رضوان الله عليهم ، وآراء السلف الصالح ، ومذاهب الأئمة ، ومعرفة أحوال المجتمع الانساني ، وأسرار تطوره ، وخصائص البيئات المختلفة ، وروح العصور السابقة ، ونتيجة ذلك كله هي الاصابة في القول والعمل أو خلق يوجه الارادة إلى أعمال الخير طبقا للعلم الصحيح فيصدر العمل نافعاً موصلا إلى سعادة الدنيا والآخرة

وقد كان فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا محيطا بعلوم القرآن ، وقد

رزقه الله عقلا راجحاً في فهمه ومعرفة أسراره وحكمه ، واسع الاطلاع على السنة وأقضية الصحابة وآراء العلماء ، عارفا بأحوال المجتمع ، والادوار التي مر بها التاريخ الاسلامي . وكان شديد الاحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه ، خبيراً بأحوال المسلمين في الاقطار الاسلامية ، ملما بما في العالم من بحوث جديدة وبما يحدث من المعارك بين العلماء وأهل الاديان . فهو ممن أوتي الحكمة ورزق الخير الكثير

وقد كان — بلا شبهة — أكبر المدافعين عن قواعد الاسلام وأشدهم غيرة عليها ، فنى في خدمة دينه وجاهد في الله حق جهاده وأوذي في سبيل مبادئه وصبر وصابر إلى أن توفي رحمة الله عليه

كان خصوم السيد رشيد ثلاث فرق : فريق الملحدين الذين لا يؤمنون بدين . وفريق أهل الكتاب من غير المسلمين . وفريق من المسلمين الذين جمدوا على أقوال الناس وابتعدوا عن معرفة السنن وعن هدي القرآن ، وقد جاهد هذه الفرق جميعها ، ولقي من الفريق الثالث أشد العنت وأشد المقاومة ، لان بيده سلاحا من أشد الاسلحة خطراً أمام العامة هو سلاح اتهام السيد رشيد بالكفر والزندقة في الاسلام ، والدليل بيد هذا الفريق قائم وهو عدم موافقة السيد رشيد لمن يعتقدهم العامة ويقدسونهم ، وكيف يكون السيد رشيد على الحق مع أن فلانا وفلانا لا يقولون قوله ولا يعملون عمله ؟ وإقناع هؤلاء يحتاج الى زمن طويل أطول من عمر السيد رشيد ، لكن الحق الذي يؤيد السيد رشيداً أقوى من هؤلاء جميعهم

لذلك ظفر السيد رشيد وكثر أنصاره ومريدوه بعد أن كان قليل الانصار قليل المريدين ، ووجد في الاوساط العلمية من اتخذ مبدأه وقفى على طريقه ، ووجد في العامة من تفتحت أعينهم للنور ، وزالت عن قلوبهم غشاوات الجهل والباطل

ولم يكن للسيد رشيد مبدأ جديد في الاسلام حتى يصح أن يقال ان له مذهبا ينسب اليه ، بل كان مبدؤه مبدأ جميع علماء السلف : التحاكم إلى الله ورسوله عملا بقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف أيضا تخير الاحكام المناسبة للزمن والنافعة للامم في مواضع الاجتهاد وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف في كل مايتعلق بذات الاله سبحانه وصفاته وكل

مايتعلق باليوم الآخر ، فهو رجل سني سلفي يكره التقليد وينادي بالاجتهاد ، ويراه فرضا على نفسه وعلى كل من قدر عليه

من الحق أن نعد السيد رشيدا من المجددين وان نعده من المجاهدين في احياء السنة . ومن الحق إن تعتبر بما كان للسيد رشيد من اناة وصبر في البحث والقراءة والتأليف والفتوى والمناظرة ومن الحق أن نذكر أن هذه الاعمال الصالحة التي قام بها احتسابا وأداها في سبيل الله

فرحمة الله على السيد رشيد وجزاه الله عن الاسلام احسن مايجازى به رجل وهب حياته للعلم وللدين

تعزية ملك العربية السعودية

وولي عهده

الرياض في ٢٠ جمادي الاول سنة ١٣٥٤

حكومة الحجاز :

المنار محمد شفيع رضا — القاهرة

اسأله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاءكم بفقيد الاسلام والمسلمين وان يعوضه عنا بجناته ورضوانه وان يعوضنا في الله من يقوم مقامه في خدمة هذا الدين والدعوة الى الله .

عبد العزيز

...

جده في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٥٤

المنار محمد شفيع رضا — القاهرة

ان مصابنا ومصاب الاسلام بفقد والدكم السيد رشيد عظيم جدا أسأله تعالى ان يتغمده برحمته وان يعوضنا عنه خيرا بفقده .

سعود

قصيدة الاستاذ الهراوي

أي صرح هوى وحصن حصين ولواء طوته ايدي المنون
وكتاب في الرشد يهدي إلى الر شد وسيف مهند مسنون
مات رب المنار والامر لله ، وما مات غير داع أمين
عاش لله مخلصا في جهاد نصف قرن مبارك في القرون
ومضي باليراع يدعو إلى الحـ ق وبالقلب واللسان المبين
لا يطيق السكون في حرج الديـ ن ويمضي يرح أهل السكون
لم يدع راحة له أي حين وهو في حاجة لها كل حين
طاح بالقلب حين أودي به الجهـ د وجهد الغيور نار اتون
فقد العلم منه أي كتاب فقد الدين فيه أي معين
شعر الناس باحتياج اليه بعد ان لم يروا له من قرين

***

عز عن صاحب المنار حمي الشـ ام وعز الاحساب في «قلمون»
بلدة في ذرى طرابلس قرت من طرابلس غرة في الجبين
بلدة أنجبت إلى الشرق قوما هم نجوم الهدى وأسد العرين
غاب عنها منارها فتوارت من جوى الحزن بالسحاب الجون
بعثتني جماعة الفضل في مصـ ر رسول القريض في التأبين
بعثتني لاندب العلم والدين وابكيهما بدمع سخين
بعثتني وساقها حسن ظن في ضعيف ينوء تحت الظنون
ولعمري لو لم تكن بعثتني لرأتني بالدمع غير ضنين
فلقد كان لي حفيا وكانت بيننا عروة الوداد المتين (١)
عقدت بيننا المودة قربى زاد توثيقها توالي السنين

(*)

(١) كان انفقيد يلقب الناظم بشاعر الشرق والاسلام

شيبتني مواقف الحزن تترى ورثاء الخدين اثر الخدين
ووقوفي على الربوع الخوالى وبكائي المكان بعد المكين
والتباعى على أيامى تخلت عن حماها يد الكفيل المعين
ويتامى تذوق في العيش بؤساً بعد خفض من الزمان ولين
برح الحزن والجوى بفؤادي فرح الدمع والبكا من جفوني
من مجيري من بعدها ومقيلي من وقوفي بطرف باك حزين

«*»

ياغريب الديار لم تفقد الاهـ ل فما مصر غير أم حنون
جئتها عالما وطالب علم فتلقتك في الحشى والعيون
ياربيب الامام في مجلس العلم وفي موطن الهدي واليقين
كنت أوفي بنيه حفظا لذكرا ه وابقى على الوفاء المصون
لم تفارقه في الحياة وميتا لم تفارقه في الثرى السكون
فسلام عليك حيا وميتا وسلام على الامام الدفين

الحاج محمد المراوي

خطبة الاستاذ الشيخ على سرور الزنكلونى

أيها السادة:

كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوي، وشخصية بارزة، امتد صوتها الى الأقطار العربية والاقطار الشرقية بل كان لهذا الصوت أثر في بعض الامم التى ليست شرقية ولا اسلامية، لان الابحاث التى تعرض لها صاحب المنار وإن اتصلت بالشرق وبالاسلام اتصالا قويا، فانها متصله بالغرب

ايضاً ، لان عيون الغرب لاتنام عن المسلمين ولاعن الشرقيين

اشتغل صاحب المنار طوال حياته بقضية الاسلام وقضية العرب ، وبما يتصل بالاسلام من امر الخلافة ، وبما يتصل بالعرب من هجمات الاستعمار ، ولم تحرم مصر من زعامة السياسة في ظروفها المختلفة فكان بهذا كله لمصر ، وللشرق وللاسلام والمسلمين .

أيها السادة :

ليس في وسعى أن أوفي صاحب المنار حقه في مثل هذا الموقف ، ولكني أردت أن أساهم مع المساهمين ، وفاء لحق الصداقه ، وتقديراً لتلك الشخصية النادرة.

عرفت المغفور له صاحب المنار منذ أبتدأ الاستاذ الامام — رضوان الله عليه — دروسه في الازهر ، ولم يكن صاحب المنار في ذلك العهد يدهشنا وجوده العلمى ، لان طلاب الشيخ جميعا كانوا يغترفون من بحر واحد ، وأن تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم

ولم يكن لصاحب المنار ميزة في ذلك الوقت سوي انه كان يكتب مايلقيه أستاذنا علينا ، وقد كان مثل هذا العمل في نظر الازهريين عملا عاديالا أثرا لموهبة خاصة ، ولا لنبوغ ممتاز

تآخينا وتآخي معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة ، وبقدرها ، وكان هذا لايمنع بعضنا من توجيه النفس الى السيد رشيد ، توجيها خاصا كلما ظهر السيد رشيد بموهبة ممتازة ، قد يطول الحديث عنها ، حتي هوجم الاستاذ الامام في آرائه الدينيه والاصلاحية ، مهاجمة عنيفة ، من كل القوى التي توفرت لهاعوامل الكيد والاستبداد ، واذا بالسيد رشيد يبرز في وجوده القوي لمناصرة الحق ، والوقوف في وجه هذه الجيوش الحاشدة ؛ فاخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمه ولسانه ، وينشر في مجلة المنار آراء استاذه واتجاهاته ، وما كان يتلقاه من دروس شيخه وكان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمال الفهم واستقلال الفكر ، وكذلك كان أمر السيد رشيد في كل ماكان يكتب من مقالات

وما يدون من ابحاث لأن أسلوب الاستاذ الامام خلق ممتازا ، وسيبقى ممتازاً مات الاستاذ الامام ، وللسيد رشيد فى نفوس اخوان الشيخ وابنائه منزلة سامية ومع سمو هذه المنزلة لم يخطر ببال أحد أن السيد رشيدا سيرث الشيخ فيما كان يدعو اليه ، وانه سير تفع صوته في بلاد الاسلام النائية ، ولكن ابي الله سبحانه الا أن يسير السيد رشيد بخطى واسعة الى الامام وقدر الله لصوته وهو على منبر مناره أن يدوي في بلاد الاسلام والشرق ، ولم يعتر جهاده في سبيل العلم والدين بعد وفاة شيخه مع كثرة المخاطر شيء من الوهن والفتور

ولاجرم ان هذه الميزة هبة الهية لاتمنح الا للقليل من افذاذ الرجال ، لان حياة الاستاذ الامام كانت قوية في مصر وفي غير مصر

لهذا كان بقاء صاحب المنار ثلاثين عاما بعد وفاة شيخه في وجوده القوى يصدعادية جيوش الباطل التى لم تفتر ولم تنم ، دليلا ملموسا على أنه من الافذاذ الذين يحل التاريخ بالكثير من أمثالهم ولعل أكبر شاهد على ذلك ان مهمة السيد رشيد العلمية لم يستطع الى الان ان يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين

أيها السادة :

ان لصاحب المنار — رحمة الله عليه — من حياته العلمية آثارا كثيرة وجوانب قوية ، لااستطيع ان أوفيها حقها .

وقد اردت ان تكون كلمتي فيه الآن مقصورة على علمه بالقرآن وبأسرار القران ، لأن صلتي به لم تتأكد الا من درس التفسير على الاستاذ الامام ، ولان آثاره في تفسير القرآن هى اقوى الاثار واظهرها في الاقناع والالزام ، ولان مفسر القرآن اذا أخلص وصدق ! استحق الثناء الخالد لأنه بصدقه واخلاصه يشرف عقله على الوجود ، وعلى ماوراء الوجود ، وقد تحقق ذلك للسيد رشيد رحمة الله عليه

فالقرآن كتاب الوجود ، وكتاب ماوراء الوجود ، وكل من جهله واتجه الى غيره مهما كان قويا في نظر نفسه ، وفي نظر أمثاله ، فحياته غير صادقة وسعادته لاضمان لها ، ولااستقرار ، بل المسلمون اذا أخلصوا للقرآن فهما وعملا

وعرضوا جواهره السماوية على عقول البشر ، فقد ملكوا كل شيء ، لان العقول من مادة السماء ، ومادة السماء اذا تركزت في الارض محال ان تطغى عليها شهوات النفس الترابية .

والانسان اذا أهمل فهم القرآن والتبصر فيه وقد أحاط بما في الارض علما ، فليس من الله ولا من الوجود الحق في شيء ، لحصر العقل في جزء صغير من الوجود يستخدمه في حياته المادية لا بصور الحقيقة ، ولا يحقق معنى الحياة والسعادة ، اذ الحياة الانسانية مسبوقة بوجود لانهائي وبعدها وجود لانهائي .

ومن حق العقل أن يفكر طويلا في ذلك الوجود اللانهائي ، هذا لا يتم الا بفهم القرآن ، ومن أجل ذلك يقول الله تعالى : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) ويقول : (وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون)

أيها السادة

ان لاهل القرآن وأنصاره مرتبتين : المرتبة الاولى — في فهم معانيه الصحيحة وامتزاجها بالعقل والروح والنفس ، فيشع منها النور والقوة بحيث يعملان عملهما في الوجود بقدر الطاقة البشرية ، وهذه هى مرتبة النبى ﷺ ومرتبة الصديقين من أصحابه وأمته الى يوم الدين

المرتبة الثانية — هى فهم معانيه فهما صحيحا ، وامتزاجها بالعقل ، و بالنفس في أغلب أحوالها ، وهذه هي مرتبة كبار العلماء والصالحين مع ما في كل من المرتبتين من المنازل المتفاوتة بتفاوت الاستعداد ، وصفاء الجوهر

واني أومن ايمانا قويا بأن السيد رشيد قد تمت له المرتبة الثانية في أرقى منازلها وارجو ان يكون له نصيب من المرتبة الاولى

أيها السادة

اذا علمتم ان القرآن هو كلام الله ، وانه كتاب الوجود ، تعلمون مقدار ما بذلته وتبذله العقول في استخراج جواهره منذ أنزل الى اليوم ، ولا يتم للعقل استقصاء كل ما فيه وتحديده بالدقة مادام الوجود قائما ، ولكن العقل

يأخذ منه ما يستكمل به وجوده ، وطمأنينته في الدنيا والآخرة على قدر فهمه ومن هنا تعددت آراء المفسرين لاختلاف وجوه النظر ، ولذلك كان تفسير القرآن في أكثر العصور فن علم وجدل ، مع أن التفسير يجب أن يكون زبدا مستخلصا بالمقاييس العلمية الصحيحة المستمدة من الفن والبحث ، كما أن التفسير الذي لا يعتمد على مقاييس العلم والعقل ، لا يسمى على الحقيقة تفسيرا للقرآن الكريم . ويجب أن يدخل في مقاييس العلم ما يستظهره العقل من أسرار الوجود بالدلائل القاطعة ، وليس من التفسير مظاهر الحياة التي تعتمد على نزعات النفس في انسانيتها الضعيفة المضطربة .

وهذا هو ما وفق اليه الراحل الكريم في تفسيره للقرآن ، وفي علاجه للابحاث الدينية ، فقلما كان يتعرض السيد رشيد لبحث لا يتصل بالقرآن اتصالا جوهريا الا بقدر ما تمس اليه الحاجة .

وكثيرا ما كان يتعرض لاقوال المفسرين ، وما يستدلون به ، ولكنه لم يترك القرآن في المكان الذي تتجاذبه فيه الآراء كما فعل أكثر المفسرين ، بل كان في تفسيره يستخلص القرآن للعقل مؤيدا للغة وبالشواهد والادلة من ظواهر الوجود .

وأول من فتح هذا الطريق وعبده الاستاذ الامام رضي الله عنه ، وقد سار فيه تلميذه صاحب الذكري شوطا بعيدا انتهي فيه الى آخر سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ، وقد فسر من القرآن على هذا المنوال الحكيم اثني عشر جزءا وهي أصعب أجزاء القرآن فهما واستنباطا وكان آخر آية فسرها من سورة يوسف ومات على أثر تفسيره لها قوله تعالى : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السموات والارض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلما ، والحقني بالصالحين » .

ولقد فاجأته المنية . والمؤمنون الصادقون ، والعلماء المخلصون المستمدون لفهم القرآن على وجهه ، وتذوق حلاوته وتلمس بعض وجوه اعجازه هم وحدهم الذين يقدرون خسارة العلم والاسلام الفادحة بفقد صاحب المنار

وإذ كانت هذه هي منزلة السيد رشيد من تفسير القرآن الحكيم ، وهو غاية الغايات والشغل الشاغل للملأ الاعلى في السماء وفي الارض ، فماذا يبتغي آل السيد رشيد له وأصحابه له من المنزلة الرفيعة ؟

رحم الله السيد رشيدا بقدر ما ضحي وبذله من جهوده ، وأفاض عليه من كرمه الواسع ما يفيضه على المخلصين من حفظة كتابه ، وأسكنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

فقيد الإسلام السيد محمد رشيد رضا

ومدرسة دار الدعوة والارشاد

كلمة الاستاذ عبد السميع البطل في حفلة تأبين الفقيد

إن طريقة الوعظ والارشاد ، ليست من الصناعات التى يستطيع كل انسان أن يزاولها في مهارة وحذق ، ولكنها ملكة من الملكات التي قد يحسنها قليل العلم ، ويتخلف عنها أكثر الناس تحصيلا ، وقد نشأ فقيدنا ونشأ معه الميل إلى وعظ العامة وارشادهم ، بما كان يتصدى له أولا في صدر شبابه من قراءة الدروس في قريته القلمون من أعمال طرابلس الشام ، ثم بما كان من انشائه المنار ثانيا ، واستهدافه بالاجابة عن الاسئلة التي كانت تتحدر اليه كالسيل من الشرق والغرب ، فى المسائل المنوعة ، وجرأته وصراحته في تقديم النصيحة للملوك والامراء وكبار الحكام والعلماء — إحياء لسنة السلف — مما جعله أندي العلماء صوتا ، وأبعد المصلحين صيتا ، وأسير المجددين ذكرا ، وأكثر الكتاب أثرا .

وقد قويت رغبته في أن يتولى هو نفسه تربية طائفة من الشبان يصنعون على عينه ، يقوم بعضهم بواجب الدعوة الى الاسلام ، ورد شبهات المعترضين عليه ، متسلحين بما يتسلح به أمثالهم من رجال الدعوة في الامم الراقية ، من الجمع بين علوم الدين ، وما لا بد منه من علوم الدنيا ، ويقوم الفريق الاخر بارشاد المسلمين الى ما هو أجدي عليهم في دينهم ودنياهم ، مع خبرة بحال العصر ، وما ينبغي أن يكون عليه المرشد من مسايرة الزمن .

كانت هذه أمنية تعتلج بنفسه منذ كان يتردد وهو طالب بطرابلس على مكتبة

المبشرين الامريكيين ، يقرأ جريدتهم الدينية ، و بعض كتبهم ورسائلهم ، ويجادل قسوسهم .

وفي سنة ١٣٢٧ كان الخلاف بين الترك والعرب مستمرا ، فرأى أن يشخص إلى الاستانة ليقضي على عقارب الفتنة ، متوسلا إلى ذلك باتصاله بكبار الدولة هناك ، و بما كان يكتبه من مقالات في جريدة اقدام وجريدة كلمة الحق ، ثم في جريدة الحضارة ، ولشيء آخر شغفه حبا ، وكان مستهاما به صبا ، وهو تأليف جماعة لانشاء مدرسة للدعوة والارشاد .

اختار إمامنا أن تكون الاستانة مشرق ذلك النور ، ومبعث هذا الاصلاح ، وقبلة التأليف بين العرب والترك ، ليكون المشروع بنجوة عن مهاب السياسة وأعاصير الفتنة ، وفي الاستانة سلخ عاما كاملا ، يروج للمشروع ، ويقنع به كبار المسئولين ، فلقي أولا ترحيبا به ومعاضدة ، وتقرر أن تكفله وزارة الاوقاف ، وتألفت الجماعة من كبار رجال الدولة للعمل واعداده في تفصيل واسع لا محل لبيانه هنا ، ولكن بعض الايدي كانت تعمل من وراء الستار للنهي عنه ، والنأي عنه ، فقضي عليه وهو جنين ، وعاد فقيدنا من الاستانة — كما كان يعود منها كل مصلح — ساخطا ناقما ، ولكنه لم ييئس من روح الله ، فجدد المسعى هنا بمصر ، وألف الجماعة ، واختير أعضاؤها من أهل الفضل والغيرة ، ووضع لها قانون من أدق القوانين ، وعلم بالأمر الخديوي عباس الثاني فأكبره ، وأظهر رضاه عنه ، وارتياحه له وأمدته الاوقاف بلغ من المال ووعدت بمضاعفته ، وتبرع له كثيرون من ذوي الاريحية ، وأجمع العقلاء على استحسانه — بله وجوبه — وفتحت المدرسة أبوابها في ١٢ من ربيع الاول سنة ١٣٣٠ تيمنا بعيد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان السيد وكيل الجماعة وناظر المدرسة ـ بل كان عقلها المفكر ، وروحها المدبر .

نجحت الفكرة اذا بمصر ، ولقيت معاضدة الأمير واستحسان العقلاء ، ولكنها لم تنج من ارجاف المرجفين ، وأذى المفسدين ، فلبس لها بعض الجرائد جلد النمر وترصدها دعاة النصرانية ، وأنذرت القناصل دولها عاقبتها ، ان مدرسة أنشئت بمصر سيكون لها من الاثر في تنبيه المسلمين ما سيكون خطره عظيما .

كانت المدرسة ملتقى الطلبة من جميع الاجناس الاسلامية ، التقى فيها المصري والمغربي ، والشامي والفلسطيني والعراقي ، والتركي والداغستاني ، والهندي والجاوي والسومطري . وكان يفضل الاجنبي لحاجة بلاده إلي المتعلمين أكثر .

كان الطلبة فريقين ، ففريق منتسب يحضر من الدروس ما يشاء ، ويتخلف عما يشاء ، وفريق يحتم عليه حضور الدروس كلها ، ويبيت في المدرسة مكفي الحاجة من مطعم ومسكن وكتب ، وكان لهذا الفريق نظام خاص يستمسك في معيشته وتربيته ، منه أن يستيقظ طلبته قبيل الفجر للصلاة وتدبر القرآن ويؤدوا الفرائض كلها في جماعة خلف امام واحد ، ويكثروا من التنفل في الصلاة والصوم ويروضوا نفوسهم على آداب الاسلام بقوة فيتحرجون من فعل خلاف الأولى ؛ ومن ثبت عليه الكذب كان الطرد جزاءه ، وكانت المدرسة في قصر شريف باشا بالمنيل على ضفة النيل الغربية عند قنطرة الملك الصالح فكان الطلبة لا ينزلون الى مصر الا باذن كتابي من الفقيد ، بعدان يذكر طالب النزول كتابة سبب نزوله وموعد غدوه ورواحه وكان يقول (ان الذي يكثر الاختلاف الى القاهرة تبطل الثقة به) لذلك كنا نظل الاسبوع والاسابيع لا نغادر جزيرة الروضة وكان المجتمع بالامس غيره اليوم ، بل فوق ذلك كان يكلف كل طالب ان يحمل في جيبه مذكرة يدون فيها اعماله حسنها وسيئها ليكون على نفسه حسيبا ولاجل ذلك كان لابد ان يجتاز الطالب سنة تسمي السنة التمهيدية لاختبار أخلاقه وتزويده بالعلم والعمل وكانت اللغة الفصحي هي لغة التخاطب كما كانت لغة الدرس ، ومن وصاياه ان التزام الفصحي يوما واحدا خير من قراءة كتاب

مضي على انشاء المدرسة ثلاث سنين الا قليلا ، ثم اشتعلت نار الحرب الكبرى وكانت ايامها النحسنات ، فابعد الخديوي اوكار لها ضدا ، فغلت الايدى الى الأعناق وجمدت الاكف عن العطاء واعطت الاوقاف قليلا واكدت ثم شحت بالصبابة واعتذرت عندئذ اضطرت المدرسة ان تكتفى بمن فيها من الطلبة ولم تقبل جديدا وألجأتها الضرورة الملحة اخيرا ألا تلتزم ما كانت تلتزمه من نفقة المأكل والكتب وظلت تجاهد هذا العنت نحو ضعف سنتين ، ثم ودعت الحياة تاركة آثارا حسانا وميراثا عظيما ممن تربوا فى احضانها وعملوا جهدهم على

تحقيق بعض اغراضها ، وما أسف العقلاء على شيء اسفهم على حرمان الامم الاسلامية من ثمرات هذه المدرسة التى كانت موضع الرجاء في انتياش المسلمين مما تهوكوا فيه من مفاسد البدع والخرافات والتقاليد والعادات حتى لقد كان استاذنا يقول (لو انني كتبت تاريخا للمدرسة لكان فضيحة للامة كلها) يريد ان الامة الاسلامية المنبثة في الشرق والغرب لم تحسن احتضان هذا العمل المجيد ، والاضطلاع به في حين تنفق الامم الاخرى ملايين الجنيهات على جماعات الدعاة بسخاء واغتباط .

ولعلكم تحبون أن تعرفوا عمل السيد في المدرسة ، ولقد كان فيها معقد الأمل ، وقطب الرحي والقبلة التى تولى الوجوه شطرها ، كان لدروسه أعظم الأثر في إصلاح النفوس ، وتثقيف الألسن ، كان يدرس التفسير ، فتتجلى روح الالهام الصادق ، والبصيرة النيرة ويدرس الحديث والتوحيد والكلام وحكم التشريع ، وتعلم الانشاء ، ويمرن على الخطابة الارتجالية ، ويبصرنا بالاساليب الصحيحة وما يهجنها من دخيل أو سوقي أو مبذول أو وضع للمفرادات في غير موضعها ، وقرأ قدراً من البلاغة ، وكنا نطالع أمامه في مقالات العروة الوثقى ، ولشد ما كانت دهشتنا أول العهد به حين سمعنا لأول مرة لغة فصحية عالية الاسلوب مرتجلة وغوصا على معانى المفرادات في دقة ، والتقاطا لفرائد البلاغة في دروس التفسير وغيرها واستخراجا لكوامن العبر من ثنايا الآيات البينات ، بل لشد ما كان عجبنا حين كنا نراه يبكي في المواضع التي تستدر الدمع ، والذين عاشروا السيد يعلمون أنه كان أسيفا رقيق القلب ، سخيا بالدمع ، سخاءه بالمال ، وكان يقول ، وكتب في (المنار والازهر) انه كان يقرأ وردسحر أول اشتغاله بالتصوف فاذا مر ببيت المنبهجة (١)

ودموع العين تسابقنى تجرى من جفونك كاللجج

ولم يبك ، تركه ولم يقرأه لئلا يكون كاذبا فيخجل أمام ربه

كان السيد مغرما بالاستطراد الطويل فى غير ملل ، فبينا يكون موضوع

---

(١) وكنت أود في هذا المقام لو يتسع الوقت للكلام على السيد رشيد الأديب والسيد رشيد الصوفي الناسك

لدرس تفسيرا أو حديثا ، أو حكمة تشريع مثلا ، إذا به يحتال للدخول في باب السياسة أو الاجتماع أو تاريخ الفرق ومذاهب المبتدعين أو ما أشبه ذلك ، فنخرج من الاستطراد بكليات عظيمة تزيدنا بصيرة وثقافة .

وقد لا تعجب هذه الطريقة رجال التربيه الحديثة ويرونها معيبة بالمدرس مضيعة للطالب ، ولكن هذا يرجع فيما أرى إلى عدة أسباب ، فهو قد قرأ كتب المتقدمين ، وتغلغل فيها ، وهضمها ، وتمثلت فيه ، فتأثر بها ، وتلك كانت طريقتهم ، وكان ريان من العلم شبعان ، فكانت تتدافع المسائل في صدره فلا يستطيع لها كبحا ، وسبب ثالث كان أحيانا ما يصرح به ، وهو انه قليل الثقة بدوام المدرسة ويخشى أن يفوته شيء يريد أن يقوله فلا تواتيه الفرصة ، لذلك كان يتلمس الاستطراد تلمسا ، وأذكر أن بعض اخواننا من كبار علماء الازهر حملته مرة هذه الاستطرادات في مجلس معه — وكانت شفت كثيرا مما بنفسه — على أن يطلب اليه أن يعقد درسا خاصا في بيته ليلة في الاسبوع ففعل ، وكان يحضره كثير من أذكياء علماء الازهر وأساتذة المدارس العالية والثانوية والابتدائية .

ثم لعلكم تحبون أن تقفوا على شيء من حال طلبتها بعد أن آل أمرها الى ما عرفتم ، وأقول لكم إن منهم المشتغل بالتربية والتعليم ، والمشتغل بالصحافة والتحرير ، والمشتغل بالوعظ والارشاد ، والمتصل بالملوك ورجال السياسة وحسبكم أن تعلموا أن الناموس الخاص لجلالة ابن سعود أحدهم ، بل حسبكم أن تعلموا أن زعيم القدس الكبير السيد أمين الحسينى ممن يتشرفون بالانتساب اليها .

هذه لمحة خاطفة عن تلك المدرسة التى أصبحت كمنشئها في ذمة التاريخ وهناك مدرسة الفقيد الكبرى التى عكس مناره من أشعتها على العالم أربعين سنة ، تبوأ فيها بحق مقام الامامة ، وخلف ميراثا عظيما يشرع للناس طرق الاصلاح ، ويبصرهم بكتاب الله وهدى رسوله وقد أصبح له تلاميذ ومريدون يعدون بالالوف وصار له حزب قوى في الازهر ممن قبضوا قبضة من أثره ، وإنه لميراث

عظيم ، شغل فقيدنا حياته في جمعه وادخاره وترك ذرية ضعافاً لا سند لهم إلا الله وإخلاصه ، وأقول والألم يحز في النفس ، إن المنار قلو مات بموت صاحبه أو كاد ، ولا غرو فقد كان السيد أمة وحده في علمه ، ودينه ، وكفايته وصبره ، والثقة به ، والبذل في سبيل الله ، ولسنا بواجدين من علماء بعض فراغه في بعض ما تهدله ، وفي العالم الاسلامى علماء يعدهم الناس بالالوف ، فيالله للامة الفقيرة .

ولقد كان السيد جديداً دائماً ، غير آسن ، كما كان يتجلى ذلك في كتاباته وأحاديثه ، اتصلت به ما يناهز ربع قرن اتصالا وثيقاً ، طالباً وصديقاً . فما أذكر أني وردت شرعته يوماً - على كثرة الورود - الا وصدرت بجديد في العلم أو الأدب أو شئون الحياة ، أحسن الله عزاء الامة فيه ، وبوأه منازل الكرامة مع الذين انعم عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .



خطبة الاستاذ

محمد احمد العدوي

الاستاذ بكلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم .

يرحم الله مالك ابن أنس اذ يقول : (لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها) . ولقد كانت هذه الكلمة دستور أستاذنا الراحل فى الاصلاح ، آمن بها ايمانا خالط قلبه ، وتغلغل فى نفسه . سلف هذه الامة صلح بالعمل بدين الله ، بعيدا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين .

البدع والمحدثات

ومن أجل ذلك حارب البدع والمحدثات في دين الله ، ليبقى للدين جماله ، ويحفظ له عظمته وجلاله . وأي عاقل يرى ما عليه المسلمون وهم يزورون قبور الصالحين ، من تعفير للوجوه ، وتقبيل للاعتاب ، وطواف حول المقاصير كما يطاف بالبيت الحرام ، والتجاء الى صاحب القبر فى كشف الكروب ، وهداية القلوب ، والبركة في الرزق ، وما الى ذلك مما لا يتصل بالاسلام فى قليل أو كثير ؟ ؟ — أى عاقل يرى ذلك ثم لا يندى جبينه لهذه البدع فى دين التوحيد والفطرة ؟

وهذه بدع الموالد أصبحت معرضا من معارض الفسق ، وسوقا نافقة للتجارة فى الاعراض ! وانتها كالحرمة الدين ، وهذه بدع الاذكار ومعها الطبول والمزامير والرقص والطرب ، تصور الدين أمام الاجانب

بصورة تتقزز منها النفوس ، وتجعله الى الهزل أقرب منه الى الجد ! ! وهذه بدع الدجالين من محترفى الطرق ، يستغلون سذاجة الجماهير بضروب من التمويه والشعوذة : كأكل الثعابين والنار ، وطعن انفسهم بالسلاح وما الى ذلك !

ولا تنس فعل الكلشنى ، وعمود الحسين ، ومراغة المغاورى وقبر أبى السعود الجارحى ، ومغطس الطشطوشى وصناديق النذور التى لم يأذن بها الله ، دع كتب أدعياء التصوف وما شحنت به من أباطيل كايهام الناس أن هناك حقيقة تخالف الشريعة ، ووحدة الوجود التى سرت اليهم من ديانات الهند الوثنية

فاذا جاهد الاستاذ فى ذلك السبيل فانما يجاهد حماية دين الله من الشرك ، وذرائع الشرك ، وتطهيره من الجهالات ، ولا غنى لمصلح ديني عن خوض هذه المعركة التى خرج منها الفقيد ظافرا ، فكان سيفا من سيوف الله على رقاب المبتدعين والمضللين

دفع الشبهات عن الدين

وكذلك كان من أهم أغراضه أن يدفع عن الاسلام الشبهات التى يوردها أعداؤه عليه ، كما أفاض في دفع شبهات الماديين كنظرية دارون وهناك قسم من الشبهات منشأه الجهل بالاسلام ، وما انطوى عليه من حكم كشبهتهم على توريث البنت نصف اختها ، وتعدد الزوجات ، والرق فى الاسلام ، وقد تجلت عبقرية الاستاذ فى هذه المسائل ، فأبان حكمة الله العليا في هذا التشريع ووضع رسالة سماها (نداء للجنس اللطيف في حقوق النساء في الاسلام) وفيها تحقيق لكل هذه المسائل .

وكذلك عني بدفع الشبه التي تعرض بسبب تعارض بين نظريات العلم والدين ، وكبرى حسناته كتاب (الوحي المحمدي) الذي ألفه لمناسبة شبهة لبعض الغربيين ، على الوحي ، وهو خير مؤلف يدعى به ، إلى الاسلام ، ويدحض شبهات الماديين المعطلين ، قرظه علماء مستقلون ، وغرتها تقريظ أستاذنا الاكبر المصلح العظيم (الشيخ المراغي) يقول فيه :

صديقي الجليل الاستاذ محمد رشيد رضا

أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحي المحمدي) أن أقول : (انكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة الى الدين الاسلامي القويم ، فقد عرضتم خلاصة من ينابيعه الصافية عرضاً قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة ، وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لايقوى عليه إلا العلماء المؤمنون ، فجزاكم الله عن الاسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون ، ولكم مني تحية الاخاء ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكذلك عني الاستاذ بشرح المسائل التى أساء المسلمون فهمها ، كمسألة القضاء والقدر ، وله فيها تحقيقات علمية نفيسة تتفق وحكمة الله في تكليف الانسان وجزائه على الخير والشر . فما كتبه السيد في دفع الشبه التي منشؤها جهل أو تجاهل بالاسلام ، أصل عظيم في الاصلاح الديني ، ودعامة لا يستغني عنها عالم مصلح ..

(إحياؤه سنة العلماء)

من أبرز صفات الفقيد إحياؤه سنة علماء الصدر الاول الذين كانوا يصدرون في فتاواهم عن كتاب ناطق ، أو سنة ماضية ، أو قياس على أحد هذين الاصلين ، واهتدى بهديهم الائمة الاربعة ، فسدوا المن بعدهم طريق الاستدلال ، ولم يقنعوا بذلك ، فنهوا عن التقليد في دين الله ، وبالغوا في ذلك ، وإن شئت فقل : وأسرفوا .

نقل عن أبي حنيفه (رض) لايحل لأحد أن يفتي بقولنا مالم يعلم من اين أخذناه ، وقيل له : إذا قلت قولا و كتاب الله يخالفه ، قال اتركوا قولي لكتاب الله ، قيل إذا كان خبر الرسول (ص) يخالفه ، فقال : اتركوا قولي لقول رسول

الله (ص)، فقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه، قال اتركوا قولي لقول الصحابة ونقل مثل هذا أو ماهو أشد منه عن بقية الأئمة.

نهى الأئمة عن التقليد، لأنهم أدري الناس بمقدار ضرره على الدين، وأنه شلل يحول دون النشاط العلمي، وهو إلى ذلك كله امتهان لقيمة الحجة، وتعطيل لموهبة العقل، ويرحم الله من قال «التقليد ابطال لفائدة العقل»

كانت هذه سنة العلماء، لان الذي في كتب الاصول: (إن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم)

ثم خلق من بعد الائمة خلق أغلقوا باب الاستقلال في فهم الدين، وقصروه على طائفة يحصيها العد، وكأن القرآن الكريم والسنة المطهرة لا يصبحان عندهم شريعة دائمة!!

ولما كان أستاذنا الراحل من أئمة الاصلاح الديني، لم يكن له بد من تحطيم السلاسل التي وضعت أمام ذلك الباب، وقد وضع كتابا نافعا سماه «الوحدة الاسلامية» على شكل محاورة بين مصلح ومقلد وله في أوله كلمة جديرة أن تحفظ «لا إصلاح إلا بدعوة، ولا دعوة إلا بحجة، ولا حجة مع التقليد»

لم يقف الاستاذ في احياء هذه السنة عند ذلك الحد، بل كان دائما ينوه بشأن العلماء الذين لهم محنة وبلاء في ذلك السبيل كشيخ الاسلام بن تيمية الذي قال فيه أحد الائمة «مارأيت مثله، ولا رأي هو مثل نفسه، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لهما منه» وشى به العلماء لدى الملوك وولاة الامور، ورموه بالالحاد فسجن أكثر من مرة، ومات سجينا بدمشق وكتلميذه ابن قيم الجوزية، كان على أخص أوصاف شيخه، امتحن في سبيل دعوته، وأوذي مرات، وحبس مع شيخه بقلعة دمشق بسيد امنية

فاذا كان للاستقلال السياسي شهداء يصرعون في ميادينه، فان الاستقلال الديني العلمي له شهداء شهداء، وفي مقدمتهم ابن تيمية وابن قيم الجوزية

أما إحياؤه لذكرى موقظ الشرق «السيد جمال الدين» «والاستاذ الامام» فحدث عنها، ولا حرج فقد أحيا سيرتهما قولا وكتابة وعملا، وكان

أظهر شيء فيه شغفه بتلك السيرة حتى لا نكاد نجلس اليه مجلسا بدون أن يسمع ذكرى للامامين أو أحدهما ، فان المصلح هو الذي يعني بسيرة المصلحين فهو يعتبر بحق محيي سيرة المصلحين ، ورفع لواء المجددين على أساس كتاب الله تعالى وسنة خاتم النبيين

* * *

دراساته العميقة

لقد عكف أستاذنا الراحل على دراسة القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، دراسة واسعة النطاق ، فكان بذلك متمكنا من علوم القرآن الكريم ، كمعرفة المكي والمدني منه ، وتاريخ المصاحف ، وأوجه القراءات ، وماصح من أسباب النزول ومالم يصح ، وما دخل على المفسرين من إسرائيليات على تفاوت بينهم في القلة والكثرة ، حتى شيخهم بن جرير فكان من أجل ذلك تفسير أستاذنا الراحل نسيج وحده في سلامته من الروايات الضعيفة في أسباب النزول ، ومن الاسرائيليات التي شوهت جمال القرآن ، كما عكف على دراسة علوم الحديث ولا سيما علم تاريخ الرجال الذي عز في هذا العصر ، فكان من السهل عليه الوقوف على درجة الحديث في سرعة مدهشة ، وما احوجنا الى امام له تلك الخبرة الواسعة كفقيدنا الراحل .

* * *

امراض المسلمين

وكذلك كان من أهم أغراضه بحثه عن أمراض المسلمين الخلقية والاجتماعية وفساد تربيتهم الدينية والمدنية ، فكنت تراه باحثا منقبا عن كل أولئك الأمراض ، وطرق الوقاية منها ، وهذا كتابه « الوحدة الاسلامية » يطلعك على كثير منها ، وإن أخذ الدين من طريقه الصحيح ، خير علاج لها ، وقد أعانه على ذلك خبرته الواسعة ، ورحلاته المتكررة ، فمن رحلة إلى الهند ، إلى رحلة للاستانة إلى رحلة لأوروبا ، وذلك عدا رحلاته الثلاث إلى سورية التي اختير في آخرها رئيسا لأول مؤتمر عربي ، وهو الذى نودي فيه بالامير فيصل ملكا على سورية

ثم رحلته الى الحجاز مرتين ولا شيء اعون للمصلح الديني من دراسة لاحوال المسلمين، مع ان دار المنار كانت دائما غاصة بالزائرين من كبار العلماء. فكان ذلك كله خير معين له على القيام بمهمته كمصلح ديني، فاذا دعا الى الاصلاح، فانما يدعو على بصيرة، واذا وصف العلاج، فانما يصفه بعد أن عرف المرض.

إصلاح الازهر

هو المعهد الديني الذي مضي على تأسيسه عشرة قرون، كان فيها مشرق الثقافات الدينية والعربية. غير انه قد طرأ على هذه الجامعة من أعراض الشيخوخة ماجعلها غير وافية بحاجيات العصر من تسليح طلابها بما يكسح جماح الملحدين، ويصد شبهات المادين، والدعوة إلى الاسلام في الشرق والغرب واعداد طائفة لهذه الدعوة مزودة بالعلم والدين.

ومن أجل ذلك كان في حاجة كبرى إلى أصلاح طرائق التعليم ومناهج الدراسة.

وقد كان أول من أيقظ الافكار لذلك الاصلاح (السيد جمال الدين الافغاني) حينما وفد على مصر في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة، واستفاد منه بعض شبان الازهر، وتولى السعى لذلك الاصلاح مريده الاكبر وخليفته (الاستاذ الامام) وغرضه الاسمى تخريج نشء جديد من جميع الشعوب الاسلامية جامع بين التقوى والاخلاق الفضلى، وبين العلم الاستقلالي المثمر لترقية اللغة واحياء علوم الدين، والتمكن من الدفاع الاسلام والدعوة اليه

ثم جاء الاستاذ (المراغى) وأمضى في الازهر خمسة عشر شهرا، شيخا له ورئيساً لمجلسه الاعلى، فكان محط الرجاء ومعقد الآمال، ورجل الساعة، وقام في ذلك الوقت القصير بعمل الجبابرة ثم شاء الله ان يدع الازهر قبيل أن يتم الاصلاح الذى اراده، فاضطرب الحال، واختل أمر القائمين عليه من رجال الادارة وروعت العلماء بما لم يروع به قطاع الطريق، وساعد على ذلك السياسة الدكتاتورية حتى أذن الله أن يعود للسفينة ربانها. وللاصلاح رجله. فعاد إلى

الازهر أستاذنا (المراغي) موفور الكرامة . وضاح الجبين . ففتح لطلاب الاصلاح باب الأمل على مصراعيه

أما فقيدنا الراحل . فقد كان خير نصير لكل أولئك المصلحين . كان نصيراً للسيد جمال الدين . ونصيراً للاستاذ الامام . ونصيرا أي نصير للاستاذ المراغي أبلى في سبيل هذه المناصرة بلاء حسنا . وقام باوفر نصيب في ذلك الجهاد اقرأ مجلة المنار منذ أنشئت . ثم اقرأ كتاب « المنار والازهر » الذي الفه السيد في آخر حياته . وفيه أربعة وأربعون شاهدا من دعوته الاصلاحية . الى عشرة مقاصد اتبع الازهر اكثرها . ومقدمة في ماضي الازهر وحاضره ومستقبله وجناية العهد الماضي عليه

تلك نواح لفقيد الاسلام والمسلمين في الاصلاح الديني

أسأل الله تعالى أن يعوض المسلمين فيه خيرا . وأن يوفقهم لسير على نهجه وتقدير جهاده وبلائه . وأن يجزيه عن دينه كما يجزي المجاهدين الصابرين



خطبة الاستاذ حبيب جاماتى

على مقربة من مدينة طرابلس الشام قرية صغيرة تدعى القلمون ، تشرف عليها قمم لبنان الشامخة ، وتكتنفها صخوره البارزة ، وتنشر عليها أشجار الزيتون نفحات من عبيرها المنعش ، ويخيل اليك أن القرية تزحف ببيوتها وحدائقها ، من سفح الجبل الى شاطىء البحر ، لكي تغتسل فى مياهه الزرقاء ،سعيدة بأن تنعم بكل ما يمكن أن تجود به الطبيعة علي بلدة بالجبل والسفح والسهل والبحر .

واذا مررت بتلك القرية الجميلة السعيدة ، وكنت غريبا عن الديار، فان جميع الذين يقابلونك فى طريقك يمسكون بك ويلحون عليك بان تحط الرحال ، فتأخذ نصيبك من الراحة ان كنت متعبا ، أو تأخذ مؤونتك منها ان كنت قادما على تعب ولا يسعك إلا أن تنزل على رغبتهم ، حينذاك يسير بك القوم الى بيت المشايخ . لى بيت آل رضا الى بيت الفقيد الذي نحيي ذكراه .

وكلمة «شيخ» ليست فى لبنان لقبا يطلق فقط على رجال الدين المسلمين ، بل هى نقب وراثي ، يطلق أيضا علي من بايعهم الشعب بالرياسة والزعامة ، فلا فرق مين رجل الدين ورجل الدنيا ،وبين المسلم والمسيحي ، وبيت آل رضا من البيوتات القليلة فى لبنان ، التى تحمل أبناؤها لقب المشيخة مزدوجا . أى انهم من رجال العلم والارشاد ؛ ومن رجال الرياسة والزعامة .

وفى قرية القلمون ، ولد محمد رشيد رضا ، من أسرة تنتسب الى الاسرة النبوية الشريفة .

فلا غرابة فى أن يكون الراحل قد اصطبغ بصبغة ذلك الوسط ، وأن تكون تلك الطبيعة التى ترعرع فى أحضانها قد فرغت فيه الشيء الكثير مما اغدقته على بلدته فجاء شامخ الرأس كجبال القلمون صلبا فى عقيدته كصخورها ، فياضا فى علمه كذلك البحر الزاخر الذي كان يجلس على شاطئه فى ريعان شبابه ، حتى اذا ما جاء الى مصر ، أخذ من فضائها الواسع الصافى سعة الصدر وصفاءه فلعبت السياسة دورها البشع ، وأعاد التاريخ نفسه ، حقا فزحف على الدولة الفتيـة غزاة من الغرب وهرع الاحرار المجاهدون للقاء المعتدين

وفي ٢٤ يوليه سنة ١٩١٩ كانت موقعة ميسلون ، التي كتب فيها العرب بدمائهم الزكية صفحة جديدة من صفحات التاريخ الاسلامي المجيد ، ولسان حالهم يقول :

عش كريما أو مت عزيزاً   تحت ظل القنا وخفق البنود

وبعد أن دفن الاستقلال السوري في ميسلون إلى حين — قفل السيد محمد رشيد رضا رجعاً إلى مصر حيث استأنف جهاده المزدوج في سبيل الدين وفي سبيل الوطن ، إلى أن توفي وهو في حوالي السبعين من عمره .

أيها السادة :

إن حياة الفقيد الذى اجتمعنا اليوم لاحياء ذكره ، لسفر ضخم يصعب على مثلى أن يختصره لكم في سطور . فكل مرحلة من مراحل تلك الحياة الحافلة بالاعمال الجليلة ، والجهاد المستمر جديرة بأن يقف المرء أمامها خاشعاً مفكراً . وكل مرحلة من تلك المراحل سيتناولها أحد الخطباء الاجلاء بالبحث والتحليل والخطب التي ستسمعونها هى الحلقات التي تتكون منها تلك السلسلة الذهبية المتماسكة التى نسميها حياة الامام السيد محمد رشيد رضا

وإن نس لا أنس ذلك اليوم من أيام أغسطس الماضي الذى سافرنا فيه معه إلى السويس . في معية صاحب السمو الامير سعود . كان السيد محمد رشيد في ذلك اليوم شديد الفرح ، يكثر من الحركة والكلام والضحك ، وكنا نتساءل قائلين « ماسبب ذلك ياترى ؟ » وما كنا ندرى انه رحمه الله يودعنا ويودع العالم قد توفي فجأة في الطريق ، في ذلك اليوم ، قبل أن يصل إلى القاهرة كما تعلمون

والآن أيها السادة ، إن ما قلته عن حياة السيد الامام محمد رشيد رضا ليس كل ما يجب أن يقال عن حياته ، ولكنني أديت واجباً عن نفسي وعن أخواني المسيحيين ، نحو الراحل الكريم ، ويشرفني أن يكون صوتي قد ارتفع في هذا الجمع الاسلامي الحافل ، كما ترتفع الآن رنات الاجراس والنواقيس الشرقية العربية ، في الاقطار الشرقية العربية فتمتزج بأصوات المؤذنين ، داعيه إلى التآخي ، إلى التضامن ، إلى التكاتف ، إلى التعاون . في سبيل القومية العربية .

في سبيل الاوطان الذبيحة !

ومن نيلها المبارك الوفي ، الوفاء بكل مافيه من قدسية وروعة فعاش طول حياته وفياً لدينه ، وفياً لاساتذته وتلاميذه ، وفياً لاهله وعشيرته واصدقائه ، وفياً لوطنه الاول والثاني

تلقى رحمه الله علومه في مدارس طرابلس الشام وكان أشهر اساتذته الشيخ حسين الجسر ، من كبار العلماء السوريين في ذلك العهد .

وفي سنة ١٨٩٧ نال شهادة العالمية ، وقدم الي مصر في تلك السنة ، أي في شهر رجب عام ١٣١٥ هجرية ، تحدوبه الرغبة الملحة في لقاء الامام محمد عبده رحمه الله .

وصلات السيد رشيد رضا بالامام معروفة مشهورة ، وقد ظلت وثيقة لم تعتورها شائبة الى أن توفي الامام في سنة ١٩٠٥

وكان المرحوم السيد رشيد رضا قد أنشأ « المنار » في شوال سنة ١٣١٥ أي في مارس ١٨٩٨ .

ومنذ أن وطئت قدماه أرض مصر الى أن توفاه الله فيها ، ظل يجاهد ويناضل في سبيل دينه ، دون أن ينسى وطنه الاول : فقد عاد الى سورية بعد الحرب العظمي مباشرة ، ونظرا الى مكانته السامية في النفوس، انتخبه السوريون رئيسا لمؤتمرهم الوطني ، الذي اجتمع في دمشق ، سنة ١٩١٩ ، وقرروا اعلان استقلال سوريا كدولة عربية ، ونادى بالمغفور له فيصل ابن الحسين ملكا على السوريين وكان لآراء السيد محمد رشيد رضا ، ونصائحه ، وارشاداته ، فضل كبير في نجاح تلك الحركة المباركة .

ولكن الاقدار لم تلبث ان قلبت لسورية المجاهدة الناهضة ظهر المجن ،

قصيدة الشيخ اسماعيل الحافظ

في تأبين السيد الامام

محمد رشيد رضا رحمه الله

داع الى الحق غالت صوته النوب ... أصيب في فقده الاسلام والعرب
وكوكب من سماء الفضل حين هوى ... هوى منار الهدى وانثالت الكرب
وأصبح المجد مهجور الحمى وبكى ... من ثكله شرف الاعراق والنسب
قضى الامام فوجه الحق مكتئب ... مما دهاه وطرف الهدي منتحب
والحزن مستعر النيران متصل ... والصبر منقطع الاوصال منقضب
والزهد والرفد والارشاد في ترح ... والبر والدين والاخلاق والادب
ومعقل العلم والعرفان مضطرب ... يكاد من برحاء الهول ينقلب
والشرق يندب والاقطار واجفة ... كأنما دب فيها الويل والحرب
يا ناعي الحبي حق ما رويت لنا ... ان الامام حواه الترب ام كذب
ويح الردى كيف أخنى نجمه ومتى ... كن المنايا من الافلاك تقترب
كادت تضل عقول فيه من جزع ... تقول: هل مات أم دارت به الشهب
أم راح يبغي سماء عن سماوته ... أم استسر فقامت دونه الحجب
لا تنكروا رقدة الهادي الرشيد فقد ... اعيا وقد يستريح الدائب الدرب
دعاه ومذ لبت الالباب دعوته ... هفا بها لمغاني قدسه ارب
والبدر مهما تناهى في تنقله ... في الفلك فهو الى مغناه منقلب
لئن طوت فضله أيدي الردى فطوت ... مساعيا لم تزل ترجى وترتقب
فرب ليل طواه كله نسك ... ورب يوم قضاه كله قرب
ورب خافية الاعلام نائية ... يعيى بها الفكر ادراكا ويضطرب
ألقى عليها شعاعا من بصيرته ... بدت به وهي في عين النهى كثب

ورب سنة هدى قد تكنفها	وهم ورانت على انوارها الريب
أعادها برزة للناس هادية	كما انجلت عن سنا اقمارها السحب
ورب آيات تنزيل سرائرها	ظلت زمانا عن الالباب تحتجب
سما اليها وعاني سترها فبدا	للمستريبين من تفسيرها عجب
يعنوا لها العلم منقاداً ويأخذه	من روعة الحق سلطان فيتئب
وغارة في سبيل الله ظافرة	يهفو لها المجد والاسلام والحسب
قد شنها منه ماضي العزم ينجده	من حزمه وحجاه جحفل لجب
دارت علي محور البرهان دورتها	حتى انجلت وهو في ارحائها قطب
ثم انثني وهو مخفوض الجناح تقي	والحق مرتفع الرايات منتصب
في ذمة الله نفس ما ألم بها	رضى لغير رضى الخلاق أو غضب
وهمة ما نأي عن باعها أمل	ولم يفتها من العلياء مطلب
خفي على القائم الهادي اذا خفيت	معالم الحق أو ضلت به العصب
ومن اذا نابت الاسلام نازلة	غلا به الجد والاقدام والدأب
وان دجا الخطب واسودت جوانبه	بدت لنا فيه من آرائه شهب
القانت العف والاطماع دانية	والمقدم الندب والاهوال تصطخب
والمؤثر الجد يقضي ليله سهداً	فيه اذا جد بالمستهتر اللعب
والقائل الصدق لا يدنو به رغب	في قوله لا ولا ينأى به رهب
فما اطبت قلبه الدنيا بزخرفها	ولا ثنى عزمه مال ولا نشب
غايات مبدئه الايمان في عمل	وروح نهضته الاقدام والغلب
سائل به الليل هل شقت غياهبه	عن جاهد مثله لله يحتسب
وسائل العلم والعرفان هل رفعت	لمثله في ذرى عليائهما الرتب
وهل شكا الوطن المحزون نكبته	الا ولباه ذاك المشفق الحدب
ياصاحب القلم السكافي بفتكته	يوم التناضل ما لم تكفه القضب
اذا انبرى فهو طورا في الحشا ضرم	وان جرى فهو حينا في اللها ضرب
(أما وقتك ظبى الاقلام مشرعة)	اما توافت لك الآثار والكتب

اما اقالتك أيام محجلة ... يبلى المدى وهي في آثارها قشب
لك المواقف يختال الزمان بها ... والباقيات على الايام ، والخطب
السائرات مسير النيرات هدى ... والساطعات وآفاق النهى كهب
والخالدات فما أن فاتها زمن ... والدائبات فما أن مسها نصب
والملقيات على سمع الورى عبرا ... تمشي على ضوئها الاجيال والحقب
منار هديك برهان تقوم على ... اشكاله عمد الاصلاح والطنب
وغيث تفسيرك المأثور سلسلة ... من منبع الوحي والالهام ينسكب
ذخران للدين والدنيا اذا جليا ... للناس حفهما الاعجاب والعجب
قم وانظر الشرق يصغي السمع ملتمسا ... هداهما وعيون الدهر ترتقب
هيهات قد خمد النور الذي ارتقبوا ... وقد مضى ذلك العهد الذي طلبوا
تبكيك أبناء عدنان واخوتهم ... والمسلمون اذا مستهم النوب
كنت الرجاء لهم ان اعوزت عدد ... تحمي العقيدة والاخلاق أو أهب
وكنت سيفا على الالحاد ذا شطب ... من الجهاد على أفرنده ندب
يبكون سعيك في تأليف وحدتهم ... تقم في نظمها طورا وتقترب
ركبت في مبتغاهم كل سابقة ... واليوم بعدك لا سرج ولا قتب
فدتك من عثرة الايام شرذمة ... راموا علاك فما نالوا ولا قربوا
جروا وراءك حتى جزتها رتبا ... أوفت سموا على هام السهى انقلبوا
مقصرين فلم يقضوا حياتهم ... كما قضيت ، ولم تذهب كما ذهبوا
ذهبت كالغيث ولى بعدما رويت ... منه البطائح واهتزت به الهضب
ذهبت برآ بأوطان وفيت لها ... تكاد إثرك عن أوطانها تثب
غادرتها وهي أوزاع ممزقة ... يعيث منتدب فيها ومغتصب
تدعوك للنجدة الغراء رازحة ... يؤدها المضنيان الهم والوصب
اذا رأت بعدك الآمال مخفقة ... طغى من الوجد في احشائها لهب
تؤم قبرك مثوى رحمة وهدى ... للبر في لحده مغنى ومضطرب
كنز من الحكمة العلياء قد ضربت ... من الجلال على أركانه قبب

يكاد حين تحييه ضمائرنا يصبو اليها صدى منه وينجذب
اذا أطافت به أوحى لها مثلا من الثبات وشملا ليس ينشعب
وان شكت خطبها كادت جوانبه تئن للخطب اشفاقا وتنتحب
يا أكمل الناس ايمانا وأخلصهم ودا وأكرمهم جذما اذا انتسبوا
من لي بأيامك اللاتي نعمت بها دهرا يظللني من دوحها عذب
أيام أرشف من صفو الرسائل أو نجوى الحديث كؤوسا مابها لغب
واهًا لها ، قد مضت فاليوم لا رسل تفي امانة نجوانا ولا كتب
أحس أن غير الماء في كبدي يحيله الحزن جمرا فهو ينتهب
وان سوداء قلبي حين أذكرها تفور من مقلتي دمما وتنسرب
سأحفظ العهد ، فاحفظه ، وانثر من فيض الشؤون رثاه ليس ينقضب
ولو نظمت الثريا في رثائك ما قضيت لحق إلا بعض ما يجب

في ٢١ رمضان سنة ١٣٥٤ اسماعيل الحافظ

تاريخ هذا العدد

الحق اننا طبعنا هذا العدد في أوائل ربيع الاول سنة ١٣٥٥ وأواخر شهر مايو سنة ١٩٣٦ وذلك لنعوض للقراء ما فاتهم من أعداد لاكمال المجلد الخامس والثلاثين .

العدد القادم

سنجعل العدد القادم خاصا ببحث اسلامى عظيم هو « المستشرقون والاسلام » وقد تولى تحريره حضرة النطاسي البارع الدكتور حسين الهراوي مفتش صحة مصر القديمة وهو المسلم العالم الغيور . وسيصدر نعدهذا العدد بعشرة أيام باذن الله .

فقيد العرب والاسلام — ١ —

المرحوم السيد محمد رشيد رضا

كلمة سريعة [1] بقلم ابن أخيه الحزين

سألنا كثير من الاصدقاء والمحبين من مريدي فقيدنا الكبير أسئلة شتى فرأيت أن أكتب مايلي رداً على ماحضرني من تلك الاسئلة حتى يطلع عليه الجميع ولايزال القلب كسيراً والحزن عاما فمعذرة من القراء الكرام إذا وجدوا شيئاً غير ممحص والله يتولانا برحمته ويحسن عاقبتنا جميعاً أنه خير مسؤول وأكرم مجيب

كيف بلغت الخبر

قرع باب مسكني في نحو الساعة ٣٫٣٠ بعد ظهر يوم الخميس ٢٢ أغسطس الماضي وكنت ممدداً في سريري بعد ماتغديت ففتحته القرينة وسرعان مادخلت علي تقول قم حالا وكلم عبده فظننت انها تقصد ابن عمي السيد عبد الغني رضا فقلت ولماذا لم تدعه للدخول علي فقالت قم فكلمه . فنهضت مسرعا إلى الباب فوجدت عبده بواب دار المنار فاخذتني رعشة الوجل لانه حضر في ساعة غير مألوف حضوره فيها وقد سبق أن حضر في مثلها يوم أخبرني بوفاة جدتي ؟! فقلت ماذا تريد ياعبده قال السيد عبد الغني عاوزك ورأيت دموعه تترقرق في مقلتيه وصوته يتهدج فقلت له قل واسرع مالذي حصل فقال « مات السيد !»

وهنا انهمرت دموعه وأصبحت أنا بذهول فدخلت غرفة النوم لألبس فقالت القرينة : ماذا حدث؟ قلت « مات عمي » وصرت لا أعرف ماذا أصنع فاردت التوضؤ فصرت ابحث عن القبقاب وهو أمامي فلاأجده، وبعد ما توضأت صرت انتقل في المنزل مفتشاً فيه عن الذي البس واين أجد البذلة والحذاء وما اليهما ولقد لقيت في ذلك عناء كبيراً

وفي اثناء ذلك كانت القرينة فهمت من عبده أن الوفاة حدث وهو عائد من

(١) نشرت في جريدة (ألف باء) الدمشقية ١٧٫١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٥

السويس وأنه لايزال في مصر الجديدة . سرت في الشارع وأنا أحس انني على وشك السقوط اتهادى يمينا وشمالا.

في دار المنار

صعدت إلى الدور العلوي في المنزل فقابلت قرينة عمي ، قلت لها نحن اخوتك واولادك فصبري نفسك وأرسلت على أثر ذلك تلغرافات للسيد محمد شفيع نجل الفقيد وكان لايزال في سوريه وجب حضوره حالا واخبرته الخبر وأرسلت تلغرافا الصهري محمد افندي السيد بالاسماعيلية ليحضر للمساعدة في الامر وأرسلت رسولا إلى الاستاذ عبد السميع افندي البصل فسرعان ما حضر وحضر صهري في الليل ومعه الصديق مصطفى افندي ابراهيم حمد . وانتشر الخبر بسرعة مدهشة في القطر المصري فحضر بعض الاصدقاء من طنطا وغيرها وانهالت علينا البرقيات

وفي الساعة ٧٫٣٠ أذاع الراديو النعي في العالم كله فقوبل الخبر بذهول ولم يستطع الناس تصديقه بسرعة فشرعوا يستفهمون تلفونيا من دار المنار.

في مصر الجديدة

عندما حضرت إلى دار المنار كان ابن عمي السيد عبد الغني لايزال في مصر الجديدة منتقلا مابين الاسعاف والقسم لاجراء اللازم بنقل جثمان الفقيد وحضر فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية إلى دار المنار فجلس منتظراً وأمارات الحزن بادية عليه وهم بالذهاب إلى مصر الجديدة ولكننا لما اتصلنا تليفونياً بمصر الجديدة فهمنا أن كل الاجراءات تمت ولم يبق على الحضور إلا القليل من الزمن .

وصول الجثمان

جلسنا نتكلم في وقع مصيبته واستغراب ما حدث إلى أن وقفت أمام دار المنار سيارة من سيارات نقل الموتى وحمل الناس نعشاً فيه جثمان ذلكم العالم الكبير الذي طبقت شهرته العالم أجمع فانهمرت الدموع من العيون وكان يرافق

النعش جمهور من المحبين ويتقدمهم فضيلة السيد محمد الغنيمي التفتازانى وكانت دموعه قد بللت لحيته وعيونه قد احمرت من شدة البكاء والنحيب واشتد البكاء من جميع الحاضرين ولاسيما فضيلة المفتي

فضل التفتازانى

وللسيد التفتازاني أفضال كثيرة فهو الذي حمل معظم المصاب على اكتافه فقد أسرع إلى دار الاسعاف وإلى القسم وبذل مجهودا عظيما في كل منهما ، ولما وصل إلى دار المنار عمل كل مافي قدرته للحصول على الاذن من ورثة المرحوم الشيخ محمد عبده بدفن عمي بجواره ففاز وسرعان ما أحضر التربية والحانوتية واتفق معهم على بناء التربة في الليل حسب الشريعة الاسلامية وفاز أعظم فوز وبالجملة فالسيد التفتازاني أسدى لصديقه الراحل أعظم خدمة بعد وفاته ولا يزال يعمل لخدمة أولاده بصدق وقوة مما يسجل له بمداد الشكر الجزيل . حفظه الله وابقاه عونا للمنهوف فهو أهل خير وفضل ومعدن معروف (١)

الاستاذ الطاهر

وفي أثناء ذلك كانت حديقة الدار قد امتلأت بالكراسى وازدحمت بالزوار وحضر الاستاذ محمد على الطاهر على غير علم بالذى حصل فظن نفسه اخطأ المنزل ولما أخبره بعضهم كاد يصعق واخذ يقول لقد جئت لأزور رب الدار محدثا نفسي أنه إذا قدم إلى الشاي فانى سأعتذر عن شربه وانه على أثر ذلك سيقوم إلى الثلاجة فيحضر لي فاكهة من التي تعود أن يتعشي منها

وبعد ذلك أخذ يحوقل ويتأسف ثم انصرف إلى التليفون يخبر الذين يرى انه يحسن أخبارهم بالفجيعة فجزاه الله خيراً

الميت المجهول!!

ومما يصح التنويه به هنا أن المرحوم كان يركب سيارة مع تركيين في عودته من السويس لايجيدان العربية وفي الطريق كان يحمل مصحفا صغيرا يتلو

(١) وقد توفى رحمه الله ولا بد لنا من كتابة كلمة عنه والله الموفق

آيات الله طول الطريق الى ان أحس بتعب فطلب من السائق ان يوقف السيارة فاوقفها وقاء بعد ماوضع المصحف في جيبه واستسمح اللذين معه بالاضطجاع قليلا لانه متعب فاضطجع ولما وصلت السيارة إلى مصر الجديدة حاولا إيقاظه فوجدا جسمه لا حياة فيه وكانت روحه صعدت إلى الملأ الاعلى فعاجا به على الاسعاف ثم ذهبا إلى دائرة البوليس فكتب البوليس محضراً بوفاة «شخص مجهول» في أول الامر ثم تدارك الخطأ

ماذا وجد معه ؟

وكتب البوليس محضراً بالذى كان معه وسلموه إلى حسين رضوان الموظف في مطبعة المنار وقد حضر وسلمنى ماأمضى على تسلمه وهو محفظة فيها جنيه واحد ونظارتان ونظارة كبيرة مقربة وعمامته ومصحف وفك اسنانه ولم تصل يد البوليس إلى كيس نقوده ولا إلى قلمه ففقدا ولسنا ندري اين كان فقدهما ؟

وقع المصيبة على حرمه

ويظهر انى كنت سريعاً في اخبار حرم عمي بالمصاب وكنت أظن أنها علمت به من ابن عمي قبل وصولي وكان غرضي أن أصبرها وبعد ما كلمتها بما قدمت نزلت لارسال التلغرافات ولتدبير مايلزم فحضر إلي الخادم وقال إن الست أغمي عليها فوقعت في مشكلتين ، ولما صعدت وجدتها في حالة حزن شديد وبكاء وليس ثمة إغماء والحمد لله فهدأت نفسها بما حضرني من كلمات وكانت عندها الغسالة وقد تركت الغسيل وهى تنتحب وعلى أثر ذلك حضرت قرينتي فاشتد البكاء منهما فزجرت قرينتي وقلت لها يجب أن تتحملا المصيبة بصبر عملا بوصايا الفقيد وتركتهما ونزلت لعمل مايلزم

سمو الامير سعود

وكان عمي رحمه الله قد دعا سمو الامير سعود الى دار المنار فى مساء يوم الاربعاء ٢١ اغسطس الماضى لشرب شيء من المثلجات لما لم يتيسر ان يقبل الامير دعوة للغداء أو العشاء لارتباطه بمواعيد سابقة. وقد خاطبه فى ذلك عند سفره الى أوربا ويوم حضر منها وكان فى طريقه

الى فلسطين والشرق العربي فوعده بالقبول وترك التدبير لسيادة الشيخ فوزان السابق معتمد المملكة العربية السعودية في مصر

ولقدعني رحمه الله باصلاح مكتبه ومدخل داره استعداداً لاستقبال الامير والح على أولاده بسرعة الحضور من سورية لاستقبال الامير ولكن مرض ابنه المعتصم أخر حضورهم . وقد عاد من سورية قريباً وهو في دور النقه والحمد لله

وحب عمي لآل سعود يعرفه كل الذين يترددون على دار المنار وحبه للامير سعود عظيم جداً فقد كنت كلما ازوره يحدثني عن مقابلته للامير وشغفه بادبه وخلقه وحيائه وصلاحه وتقواه وجمال وجهه، واذا سمعته يتحدث عن كل ذلك احسست بأن لعابه يسيل متحركا بالشهد ولاسيما اذا حدثك عن الحفاوة التى لقيها الامير فى أوربا وجوبته لملوك أوربا ورؤساء جمهورياتها وكبار رجالها وكيف كان يفاخر بالاسلام وماامتاز به من المزايا

يود الانفراد بالامير

وكان رحمه الله يود الانفراد بالامير للتحدث معه فى بعض الشؤون ولكن الامير اعتذر بضيق وقته وبانه يود سرعة العودة لتغيير ثيابه والوضوء والصلاة ثم هو يود حضور حفلة وفاء النيل تلبية لدعوة سعادة المحافظ . وعلى ذلك قال للسيد : اذا بقيت مصمما على السفر غداً فتحضر الى الذهبية في الساعة الرابعة صباحا ونجلس معاً في تلك الساعة الهادئة وسارسل اليك سيارة خاصة

لم يذق طعاما

وقد جرت عادة المرحوم ان يستيقظ قبل الفجر للتهجد ثم يصلي الصبح في اول وقته وينام بعد ذلك قليلا ولكنه فى صباح الخميس انتظر السيارة بعد الصلاة فحضر الشيخ فوزان السابق فركب معه

الى الذهبية وخرج ولم يذق طعاما في داره

ولما اختلى بالامير وافضى اليه بما رآه لازما طلب منه . الامير ان لايسافر معه الى السويس وطلب مثل ذلك من السيد محمد الغنيمى التفتازاني والح فى طلبه حتى كاد رحمه الله يغضب منه ولكن ذلك كله لم ينفع وركب السيارة الى السويس وفى السويس اختلى مع الامير مرة ثانية مدة طويلة وبعد تحرك الباخرة فضل الرجوع حالا الى عمله فى دار المنار وفعلا ركب السيارة عائداً فوصل الي داره محمولا على النعش ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم .

استأذن القرينة

ولايفوتني ان أقول إنه استاذن قرينته بالسفر فاذنت له في ذلك ولو استأذن طبيبه الدكتور أحمد عيسى بك لما أذن له لانه يعلم أنه مصاب بتصلب الشرايين والروماتيزم وضعف القلب وكان قد نهاه عن اجهاد نفسه مدة طويلة ولكنه سمح له بالعمل بعد ذلك ، اما السفر بالسيارة عن طريق السويس فانه ماكان يأذن له به ولكن هكذا شاء الله ولا راد لمشيئته

كيف قضى ليلته

ولما حضر الى الدارجثة هامدة وأنزلناه من النعش في الدور العلوي رأيته كأنه لا يزال حيا ومددناه فى غرفة الاستقبال وكنت أظن أنه ربما يستيقظ قريباً لأن شكله لم يتغير مطلقاً وفى الليل دعوت حضرتي الدكتورين الفاضلين الدكتور شهبندر والدكتور حسنى أحمد لفحصه ولما فحصاه نصحا لنا بوضع الثلج حول جثته خشية الحر ورفع السجاجيد التى تحته وحوله فصدعنا بالامر حالا وياسبحان الله لقد كتب له ان يحاط بالثلج وهو الذى كان يحب الثلج حتى فى الشتاء !!

الديون باهظة

ولقد تبين أن الديون التى عليه باهظة وكان الناس يظنون أنه غني جداً وكنت انا أيضا أظن فيه ذلك ومجال الظن متسع فكتبه رائجة

وهذا كتاب « الوحي المحمدي » طبع ثلاث مرات في عام واحد ولقد نفد من طبعته الاخيرة نحو الفي نسخة فى زمن وجيز وهكذا الحال فى كتبه وكتب الاستاذ الامام رحمهما الله . واذا راجت الكتب فان دخلها لا يستهان به ولكن يظهر أن عدم توفقه في الادارة وكثرة كرمه أفضى به الى هذه الحالة . هذا اذا لم نقل غير ذلك . فاللهم وفقنا لوفاء دينه وألهم الذين له عليهم ديون وفاءها سريعا

دعاء مستجاب

ولقد أتم رحمه الله تفسير سورة يوسف الى نهاية الآية ١٠١ التى هى خاتمة القصة وهي قوله تعالى علي لسان سيدنا يوسف عليه السلام (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين) فقال رحمه الله :

« تحول عليه السلام عن خطاب والده فى بيان هذه العاقبة المثلى ، في مقام الشكر لربه وحمده وبما يناسب المقام من صفاته ، الى مناجاة ربه فى الاعتراف بها والشكر عليها ، وسؤاله حسن الخاتمة في الدنيا الرافعة الي منتهى السعادة فى الآخرة : لشعوره بان ماخلقه له من الخير والنعمة قد تم كما فهمه أبوه ، وكل شيء بلغ حده في هذه الحياة انتهى . فقال :

(رب قد آتيتني من الملك) اقصى ما ينبغى لمثلي ويصلح له في غير قومه ووطنه ، فجعلتنى متصرفا فى ملك مصر العظيم بالفعل ، وان كان لغيري بالاسم والرسم ، فكان تصرفى مرضيا له ولقومه . . ولم يؤثر على حسد حاسد ولا بغي باغ بما ذقت مرارته بمجرد تصور وقوعه علي تقدير صدق الرؤيا الدالة عليه ، (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) ما أعبر به عن مآل الحوادث ومصداق الرؤى الصحيحة فتقع كما قلت (أنت وليي) الذى توليت ولا تزال تتولى أموري كلها فى الدنيا وفى الآخرة لاحول لي في شيء ولا قوة (توفني مسلما) لك اذ تتوفاني بما تم لي وصية آبائي وأجدادي

وهي المشار اليها بقوله تعالى(ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون)(والحقنى بالصالحين) منهم واحشرنى معهم ، فهذا الدعاء العظيم ، بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم)أي من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، فنسأله تعالى ان يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الاسلام

انتهى كلامه رحمه الله واجيبت دعوته فظل يتلو القرآن الى آخر نسمة تنسمها من الحياة

المنار

وهذا آخر مانشره فى الملازم التى طبعت من الجزالثانى من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار التى نرجو الله ان يوفقنا لاصدارها ثانية ذكرى لعلمه وآثاره

فقيد العرب والاسلام

— ٢ —

كان دائم العمل

ان كثيرين من شبان اليوم وغير اليوم أيضا يكثرون من التحدث عن كثرة أعمالهم اذا كان للواحد منهم عمل منتظم في الحكومة أو في دائرة من الدوائر الاهلية وقد لا يتجاوز عمل الواحد منهم ست ساعات يعمل فيها ببطء وتؤدة وهو يستطيع انجاز عمله كله في نصف هذا المقدار من الزمن اذا أجهد نفسه قليلا .

وأما السيد رشيد فقد عرفته من عام ١٩٠٧ وكنت مقيما في منزله الى أواخر عام ١٩٢٢ فكنت أدهش من عمله المتواصل يستيقظ في الصباح مبكرا جداً فيصلي الصبح حاضراً ويكون قد تهجد قسما من الليل قبل حلول وقت الصلاة ثم يستريح قليلا وبعد ذلك يجلس في مكتبه فيقرأ ويكتب ويظل على ذلك الى

أن يحضر له الفطور فيجلس الى المائدة وفي أثناء الفطور تتاح له فرصة قراءة الصحف الصباحية و بعد ذلك يرجع الى مكتبه الى أن يحين وقت الغداء فيتغدى ثم يأوي إلى فراشه قليلا و بعد ذلك يصلي العصر ثم يذهب الى مكتبه للعمل وقد يستمر في عمله الى ساعة متأخرة من الليل وفي اثناء الليل يصحح كثيراً من المسودات التي جمعت من مجلته (المنار) او مؤلفاته المختلفه أو ما يطبع في مطبعة المنار من كتب المجددين او ماشابهها مما يحتاج للدقة في المراجعة من جهة سند الاحاديث أو صحة النقل أو وجاهة الرأي

قلت إنه ينام بعد صلاة الفجر والواقع أنه ينام احيانا وأحيانا يخرج الى النزهة في تلك الساعة الهادئة وكثيراً مايذهب الى مسافات بعيدة جداً ويصل احيانا الى الاهرام والناس نيام ثم يعود ماشيا أو راكبا وقد اتخذ هذه الخطة ولا سيما عندما سكن بجوار كوبري الملك الصالح ويسير في تلك الساعة حاسر الرأس وقد يكون الجو باردا

وفي نزهته هذه يصطحب معه مصحفا أو مسبحة فيتلو ما تيسر له من القرآن أو يسبح الله كثيرا . ولقد اشتهرت فسحته هذه وجعلت كثيرين من أهل الاحياء المجاورة يقلدونه فيها .

ولقد كان نشيطا في عمله في مكتبه وفي نزهته وكان يسير بقوة يعجز عنها الشبان، وأذكر أنني كنت اسير معه أحيانا وهو في الكهولة وانا في أول مراحل الشباب فما كنت استطيع السير بجواره فكنت اسير وراءه بكل مشقة وعناء ولو أنه رحمه الله نظم عمله ووظف من يريحه من قراءة المسودات واشتغل في الوقت الذي كان يشغله بالمسودات بالتأليف لزاد عمله نحو النصف ولكان محصوله العلمي أكثر مما خلفه مع كثرته وعظيم فائدته العلميه وحسن تنظيمه واتقانه وابداعه .

الاتقان فى العمل

وله ذوق مشهور في اتقان كل شيء ويتجلى ذلك في مؤلفاته وحياته العامة

والخاصة . وقراء مجلته المنار يعرفون له الفضل العظيم في وضع تلك الفهارس المتقنة للموضوعات والاعلام ولم يقصر فهارسه المنظمة على المجلة بل وضعها لتفسيره فوضع لكل جزء من التفسير فهارس منظمة تسهل على الباحث العثور على طلبته بسرعة

وعمل هذه الفهارس يأخذ قسما كبيرا من وقته لو يتيسر له العثور على من يعملها له لوفر جزءا من وقته

واذ كراني عندما كنت في داره في شارع درب الجماميز و كنت لا أزال مراهقا كنت اساعده في عمل تلك الفهارس مساعدة آلية فقد كان رحمه الله يكتبها متتابعة وكنت أتسلمها منه واقصها ثم أضع ظروفا عليها حروف الهجاء فأضع في كل ظرف الموضوعات التى تدخل في حرفه ثم أرتب كل حرف ترتيبا منظما والصقها مرتبة ثم نقدمها للطبع

وقبيل وفاته اراد أحد الاصدقاء عمل فهرس لمجلد المنار الاخير وعمله بالفعل ولكنني سمعت المرحوم ينتقد عمله بانه غير واف بالموضوعات المهمة كلها ولذلك لم يعتمد عليه فلم يطبع

هذا ولكثرة عمله كانت الفهارس تتأخر لانه ما كان يعتمد على أحد في عملها وهذا يرجع الى عظم دقته واتقانه في عمله رحمه الله

ولم تقتصر دقته على أعماله العلمية بل انه كان يحب الاتقان والدقة في ما كله ومشربه وملبسه الى درجة يعرفها كل من خالطه عن قرب أو بعد وأما إتقان مطبخه فذلك حديث الجميع حتى ان السيد محمد الغنيمي التفتازاني طالما كان يتفكه بقوله : ان الواجب على وزارة المعارف العمومية ان تعهد الى بعثة من البنات بالتخصص في فن الطبخ في منزل السيد رشيد رضا .

وكان كرمه مضرب المثل ولا يزال كذلك في جميع البلدان الشرقية فقد كان حريصا علي اضافة كل قادم الى مصر ، واما اصدقاؤه فقد كانوا يذهبون الي داره من غير كلفة غير أنه في أواخر أيامه كان يواظب على صيام أيام مخصوصة منها الايام البيض ولذلك كان أصدقاؤه يعنون بمعرفة أيام صيامه حتى

ذا ماحضر و استطاعوا أن يأكلوا معه فيشبعوا أجسامهم بطعامه وأنفسهم بعلمه و معارفه عطفه وكرمه

ولازلت اذكر عندما كنت يافعا و كنت في داره بشارع درب الجماميز وكان الوقت وقت شهر رمضان فكان اذا أحس ان الوقت أشرف على الفجر ولم يبق مجال للأكل فكان يسرع الى ايقاظي ويحضر لي اللحم الحمر وما أشبه ويقف فوق رأسي يحثني على الاكل بسرعة فقالت مرة جدتي والدته: ان محيي الدين يجزع من رمضان كثيرا فقال لها ضاحكا: الله يحفظك ياوالدة أنت سمينة تتغذين من شحوم جسمك وأما هو فنحيف يحتاج للغذاء حتى يستطيع النهوض والعمل

وكان كريما جداً بالمال ولا سيما في الاعياد والمواسم فكان يعطيني في العيد مالا يقل عن نصف جنيه ذهبا طبعا عندما كنت صغيرا فلما كبرت صار ينفح أولادي بالنقود وكنت أراه يعطي كثيرين من الشبان الشرقيين وطلاب العلم نقودا ولا زلت اذكر مرة أنه دفع لشاب عراقي جنيها ذهبا في أيام الحرب وكان بائسا فامتنع عن الاخذ فألح بقوة وقال له انني لا أتصدق عليك وانما عكنك أن تحسبه سلفة من محيي الدين وعند ماتوسر ترده اليه وبذلك أخذ الجنيه وهو الان محام وكان موظفا بالحكومة العراقية في بغداد

ولطالما مد اليه كثير من العظماء أيديهم فردها مملوءة ولم يكن يذكر ذلك لاحد وانما سمعت هذا من الخادم الذي كان واسطة الدفع وهنا انقل للقراء كتابا ورد الي من الشيخ محمد بن سياد امين مكتبة الحرم المكي قال حفظه الله:

عزيزي السيد محيي الدين

حزني على الاستاذ السيد مثل حزن الولد على الوالد فانا لله وانا اليه راجعون كان سمع نبأ وفاته رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة التي قبض فيها في جده في الراديو وبلغنا الخبر الاخ محمد افندي نصيف صباحا بالتلفون فاحسست بالمصيبة ودب الحزن في نفسي غير أني كابرت الناس فيه وانكرت وقع ذلك الخبر وكذبت الخبر بادىء بدء ثم جعلت أتمنى ان يكذب الناس معي هذا

الخبر وهيهات ان يفعل الناس ماتمنيته وقد أرغمتهم الحقيقة على الاعتراف بالواقع فاذاهم يكتبون به في جرائدهم ويتحدثون في انديتهم ويصلون على المرحوم في مساجدهم فانا لله وانا اليه راجعون فاعظم اللهم لنا الاجر واحسن لنا العزاء والهمنا السلوان ياسيد محي الدين في هذا العالم الكبير والاستاذ الجليل والمرشد العظيم وتغمده الله واخاه الوالد المرحوم برحمته وقابلهما برضوانه وجعلهما في فسيح جنانه

اذكره رحمه الله حين كان يمدني وأمثالي من طلبة العلم المنقطعين فى أثناء الحرب العمومية بشيء من ماله الخاص وكان رحمه الله يمثل بعمله الصالح هذا ماقيل في جده الاكبر صلى الله عليه وسلم : «إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم» وأذكره رضي الله عنه حين انقذني من السجن بكفالته الشخصية ونعمت) يوم اعتقلني الانكليز في اوائل الحرب العمومية اعتقالا سياسيا ولو لاه رضي الله عنه لامتد اعتقالي لى أواخر الحرب كما وقع لكثيرين امثالى وكذلك كان يمثل بعمله الصالح هذا ماقيل في جده الاعظم صلى الله عليه وسلم «وتعين على نوائب الدهر» وكان رحمه الله يعمل حسبة لله لاعن ايعاز من احد ولا عن مسألة وتعرض فواحسرتاه على هذا البر المجسم الذي فقدناه وواحسرتاه وكان رحمه الله ذا الجناحين يعلم علوم الدين ويفقه في أمور السياسة وما أعظم فقر العالم الاسلامي الى مثله وما أشد الخطر علي الثغر الذي كان رحمه الله مرابطا عليه يدافع عن بيضة الاسلام بعد فقدانه

***

هذا ما كتبه عالم صوفي جليل وهو يكشف لنا عن ناحية كانت مخفية من نواحي عظمة فقيدنا وما انشاء دار الدعوة والارشاد الاغرة في جبينه رحمه الله فقد جمعت طائفة من طلاب العلم من بلدان الشرق أحدثوا أثراً محموداً في النهضة الاسلامية العربية

القاهرة الحزين

محي الدين رضا

قصيدة الاستاذ

عبد الله عفيفى

مكانك لا يلج بك العثار ... تراخى الليل وانطفأ (المنار)
وغابت في مغاربها الدراري ... وحجب طلعة القمر السرار
أردد في ديار الحي صوتي ... وقد اعييت فلم تجب الديار
أطاف بأهلها الساقي فمالوا ... واذن فيهم الحادي فساروا
وفرق بينهم صدع الليالى ... وليس لصدعة الزمن انجبار
أخلاي الذين سروا تباعا! ... أما لليل بعدكم نهار
برغمي أن يهز الشوق جسمي ... وقد عز المزار فلا مزار
فراقد عالم كانت مناه ... أحالت نورها البيد القفار
نعمر ما نعمر ثم نطوى ... واهون ملبس ثوب معار
ونسلك للغنيمة كل صوب ... ونخرج لا شعار ولا دثار
رويدك يازمان وما رويد! ... تهاوى الدوح وانتهت الثمار
ثوت بالكوكب الهادي العوادي ... وطال بكاتب (الوحي) السفار
فوالهفاه هل بين الحنايا ... وبين حماة هذا الدين ثار ؟

***

رشيد ! وكنت اذ تدعى يلبي ... يراع فيضه نور ونار
حسام من سيوف الحق تلقي ... اليه قيادها البيض القصار
من الفردوس يسطع من شباه ... سنا ينهل أو نقع يثار
كريم لا يجور ولا يماري ... رشيد لا يحور ولا يحار
تجرد للجهاد فلم ترعه ... كتائب للضلالة تستثار
تلقاها بعزم أحوذي ... فلا وهن ولا قلب مطار

فصال موفقا ومضى حميداً ولم يلحق به دنس وعار

***

رشيد تفجع الاسلام حزنا وناحت يعرب وبكت نزار
قوى قد كنت من أمضى شباها وكان لها بمغناك ازدهار
اذا جئت (الامام) فقل سلام من القوم الذين عليك ثاروا
همو عرفوك بعد هوى مضل وهم بعد الثلاثين استناروا
ومن تثبت شريعته تساوى لدعوته التلبث والبوار
وأفضل مصلح رجل حلاه بلاء واصطبار وانتظار
ومن راض السريرة لا يبالى أقبل الموت أم بعد انتصار
وما يخزى المجاهد أن يجازى بسوء انما العار الفرار
سلام يامحمد من وفي له من ذكرك النخب المدار

تعزية الجمعية السورية العربية

بسان رفائيل – ولاية مندوسه الارختنين

لقد شق على هذه الجمعية خبر وفاة العالم العلامة الشيخ محمد رشيد رضا فكان لهذا الخبر المشئوم أشد تأثير في نفوس كافة مناحيها ، لما كان للفقيد من المنزلة السامية في عالم الثقافة والادب العربي . إن هذه الخسارة أحدثت فراغا قل أن يسد . نظراً لعلو المقام الذي كان يتسنمه الفقيد بين ابناء أمته . بناء عليه فان جمعيتنا هذه تقدم تعزيتها الحارة إلى كافة ابناء العرب في جميع الاقطار ، وبقلوب مملوءها الأسى نشاطر عائلة الفقيد بهذا المصاب الفادح . سائلينه تعالى أن يعوض على الامة العربية ما فقدت ويسكن الراحل الكريم فسيح جنانه .

رئيس الجمعية السورية العربية

سان رفائيل « الارختنين »

مصاب المسلمين

في

أعظم علمائهم وأعقل حكمائهم

أمات السيد رشيد أفضى نحبه وتولى ، أتزلزل ذلك الطود الراسخ، أطوي ، ذلك العلم الشامخ ، أيموت العلم وتتضاءل الحكمة ؟ أتدرى أيها الناعي من نعيت؟ أتعلم انك تنعي حجة الاسلام وعلامة الزمان وفخر الامة المحمدية بين الانام ، يالهول المصاب ويالفداحة الخطب فقد جار الزمان واستبد ، وعبثت الايام بهذه الامة التي اناخت عليها الويلات بكلاكلها ، أفي كل يوم تنى برزء جسيم وبموت رجل عظيم ، أفي كل يوم نصاب في الصميم ؟

أيها الدهر الخؤون لقد جرت في حكمك اليوم واشتدت قسوتك ، أطفأت سراجا وهاجا كان يهتدي به المسلمون في ظلمات هذه الحياة ، ويسيرون على ضوئه في دياجي الليالي الحالكات ، أتعمد الى ذلك النور فتخمد أواره وتشاهد هذا الحال فتهتك أستاره ، تول أيها الموت كيف تجاسرت على اختطاف تلك الروح الكبيرة والاقتراب من ذلك الجسم المتأجج بحب الاسلام ، ألم يخيفك ذلك الاشتعال ، ألم تقف ولهانا حائرا أمام تلك النفس التي تسيل جزعا على تقطع المسلمين أوصالا فتنفث في كل طرفة عين من الحكم البالغة مالووعاه المسلمون لاستعادوا مجدهم الداثر وحظهم العاثر ، ألم تستهوك تلك الحكم النيرات ألم تتريث لتأخذ درسا في الرحمة والاخلاص ، ألم ترهبك تلك النفس التي كانت تغلي مراجلها في ذلك الصدر الرحب الفسيح الذي لم يتسع لغير الدين الصحيح فوعى أصوله وضبط فروعه ، ألم تفزعك تلك الحشرجة وكلها نبرات ألم وصدى أوصاب على تقهقر المسلمين وتأخرهم ، ماقه كيف استطعت أن تحمل تلك الروح وقد ناء بحملها العالم الاسلامي بأجمعه ؟ تالله اني لم أكن يومالاشعر بفراغ في جانب

المسلمين لا أرى من يسده كما أشعر في هذه الساعة ، وكل من يعرف الى أي درك وصل المسلم اليه في الانحطاط الديني والاخلاقي والادبي والسياسي وكيف أضاع حيثيته ومركزه يدرك أن السبب الجوهرى في هذا التأخر المشين انما هو جهل المسلم بحقيقة دينه القويم ، ويفهم أن العالم الاسلامي لم ينجب عالما دينيا منذ أربعين سنة يصل الى درجة حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا ولذا فلا بدع أن تتقرح الجفون حزنا وتسيل الدموع أودية على نبراس الفضائل وسراج المعرفة ومنار السنة ونصير الحقيقة والصادع بالحق في وجه الباطل وستثبت الاجيال القادمة من هو السيد رشيد رضا لا أدري من أين أبدأ في سرد أعماله الخالدة، ولا ماذا أقول واني لفقير من المعاني وعاجز عن التعبير أن يوفي الفقيد المظيم حقه غير أن الواجب يقضي علي أن أقول كلمتي التي إن دلت على شيء فلا تدل سوى على تقديري لخسارة العالم الاسلامي بموت هذا العلامة القدير والحبر الجليل

ولا استطيع أن أحدد أعظم عمل قام به الراحل الكريم وكل أعماله عظيمة، فالمنار مجلة العلم والدين والحكمة ، والاخلاق والارشاد والسياسة، والتاريخ والاصلاح والدفاع عن حقوق المسلمين المهضومة والادب ، مجلة كافحت تيارات الزمان واستمرت تفسر من القرآن ما أشكل على المسلمين من آياته وتحلل من حكمه وبيناته، وتنشر إعجازه وغريبه وتقرر أحكامه التي وضعها الله لعباده. وتأتي بفصول من أحاديث القرون الغابرة للذكرى والاعتبار ، كم استورى الناس زنادها فأورت وطلبت الارتشاف من معينها فأروت، أفادت جميع المسلمين لا فرق بين العرب والهنود والايرانيين والاتراك والجاويين والافريقيين والافرنج والصينيين ، عرفتهم أصول دينهم وافهمتهم واجباتهم، وأنارت طرقهم ومهدت لهم السبل للسير في نور الهداية، وذكرتهم بعظمة رجالهم، وترجمت حياة الكثيرين منهم فخدمت العالم الاسلامى من أول يوم صدورها إلى اليوم الذى أغمض الموت فيه عيني صاحبها فمن لنا بمن يستمر في اصدارها ؟ أليس الخطب بربكم جسيم ، من سيدافع عن المسلمين إذا ما وصمه أعداؤه بالتعصب الذميم ونسبوا إليه السخافات المرذولة والخرافات المشئومة ، من سيحيى لنا ذكر عظماء المسلمين

ويحل مشاكلنا الدينية من غيران يعتصم بمذهب دون مذهب ويتقيد برأي دون رأي ؟ من هو المفتي اليوم وقد تولى رشيد وانقضت أيامه وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر ؟

لا أدري — أأبكي موت رشيد أم أندب إيصاد أبواب المنار فقد مات بموت السيد رشيد علمان ، ورشيد عالم يتدفق علما كالسيل الجارف في اندفاعه من أعالي الجبال وقد وعى كتاب الله وفهم أسراره ودرس درساً تحليليا سنة رسول الله ﷺ فعرف صحيحها ونبذ غثها،فشرع يبحث عن أمراض المسلمين حتى شخصها وأخذ يصف لهم الادوية،فمنهم من واظب على الدواء فشفاه الله، ومنهم من أهمل فأخزاه ، كم ناضل وجاهد،كم جالد وكابد، وأخيراً مات فقيراً لم يأخذ من هذه الدنيا الفانية سوى الذكر الخالد والعمل الصالح ولكنه خلف للمسلمين تركة كبيرة وتراثا ثميناً ضخما،خلف لهم أعداد المنار لجميع ما مضى من سني حياتها،وخلف لهم تفسير القرآن،ذلك التفسير الذى اتبع الفقيد في أبحاثه القيمة فيه أساليب العلم الصحيح،فاثبت أن القرآن صالح لكل زمان ومكان،وماتفسير عبده إلا نتيجة البحث والتنقيب في معاجم العلوم وكتب المعارف واستنتاجات العلماء الدينيين في جميع العصور الماضية مقرونة بالآراء القويمة والافكار السليمة حذف منه الاسرائيليات وأثبت المحمديات وأحيا به سنة سيد المرسلين فاستوجب من الله الرضوان وفسيح الجنان .

ياليت شعرى أي تلميذ في هذا الوجود أخلص لاستاذه كما أخلص السيد رشيد للشيخ محمد عبده ؟فلم تكن تخلو رسالة من رسالاته من نسبة الفضل فيها إلى الاستاذ الامام حتى توج كل ذلك في تاريخ حياته في كتابه الضخم الذي سيطفى على الايام ويجتازها إلى القرون القادمة شاهدا الى الابد على مروءته النادرة واعترافه بالفضل والجميل ،وأين التراجم التى عهدناها من ترجمة السيد رشيد لحياة أستاذه الامام!،فليست هذه الترجمة بتاريخ حياة فرد من أفراد الامة ولكنها خلاصة لتاريخ أمة بأسرها تمثلت في شخص الشيخ محمد عبده خاض فيها فقيدنا البحث وطرق المواضيع العلمية والاخلاقية والفلسفية والدينية والتاريخيه وأتى

في القدمة بكلمة عن موقظ الشرق أستاذ أستاذه السيد جمال الدين الافغاني وكأنه وضع للناس حديث النهضة الحديثة في الشرق ورجالها وأسبابها وصورها في شخص الرجل الذي لا يفتر عن ذكره، ولا يمل التفكر في آرائه الصائبة، واستنتاجاته الباقية ببقاء الزمان، ولقد كنت اقرأ هذا التاريخ يوما في بربرة — الصومال وعندي صديق يستمع فوقفت فجأة وانحدرت دموع عيني كالوابل الهاطل وبعد لحظة سألني الصديق عن سبب بكائي فأجبته « انما بكيت » كيف تصل يد الموت إلى عالم كهذا لا يستطيع الزمان أن يبقى حتى تنفد مادته، اقرأ بربك كتابه « نداء الجنس اللطيف » فتعرف عظمة الفقيد - إذ اثبت ما للمرأة في الاسلام من مركز ومقام، وأفهم العالم أن الاسلام لا يهضم حقوقها بل جعل لها من حماية الرجل وحماية الشرع ما تستطيع أن تعيش معهما سعيدة موفورة الكرامة، يالك من كاتب قوي الحجة، سريع الخاطر، حاضر الذهن، لا تعييك عن إثبات الحق البراهين المعقدة تدلي بالآراء القوية والحقائق العقلية والنقلية حتى ترجع النفوس الظامئة الى الحق وقد ارتوت مما أفهمتها من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والاستدلالات المنطقية التي لا تقبل الجدل ولا النقض، ولكن واهاً لك يا رشيد واهاً فقد ذهبت وأخليت الديار، وأصبحت مع الاخيار في دار الابرار، واين نحن منك وقد بعد الدار وشط المزار وأسفاه على ذلك الرجل العظيم، ذلك العلم الخفاق، فقد خفت ذلك الصوت الداوي الذي طالما رن رنينه في الآفاق، فاستفز الارواح بعد خمولها، وبث فيها نشاطاً وأوجد فيها حياة، ويشهد ابناء النيل أني في قولي لصادق، وتشهد الجزيرة العربية وتشهد جاوا والهند، ويشهد العالم الاسلامي بفضل عالم، قلمه السيال طالما صر فوق الطروس، فحفز النفوس، وزلزل العروش وهذب المبادي، وكون الاخلاق، وطيب الاعمال، وأرشد الى حسن المآل ولو لم يؤلف السيد رشيد الا كتابه (الوحي المحمدي) لكفاه ذلك فخراً واجياله الى الابد ذكراً، ولكن مؤلفاته أكثر من أن تحصى وهي أكثر من كثير أو تذكر في كلمة تأبين كهذه أكثر كلماتها زفرات، وجل جملها أنات من قلب حزين يندب حظ المسلمين، ويعرف أنه كما اختفت جريدة

المؤيد في مصر ستختفي المنار و كالم يقم أحد بديلا عن عبد الكريم الريفي ولا عن محمد عبد الله حسن الصومالي ولا عن المهدي ولا عن عرابي باشا ولا عن جمال الدين الافغاني ولا عن مصطفى كامل وسعد زغلول والشيخ محمد عبده، فكذا لن يقوم أحد مقام السيد رشيد رضا، ولست أقول إن العالم الاسلامي لا يكتف رجالا أعلاما ونباريس أولي فهم وادراك، ولكني أقول إن النفوس متضائلة والاحلام حقيرة، وأنه لا يوجد رجل يضحي بنفسه في سبيل مبدئه الديني ويعرض صدره لسهام الانتقادات المرة الكرة تلو الكرة كما فعل السيد رشيد رضا ونحن في عدن كنا نستنير بمناره ونسترشد بعلمه، وطالما كتب رحمه الله المقالات وحبر الفتاوي لارشادنا، ولا يسعنا الا ان نستمطر الرحمات من لدن العلي الاعلى على روحه الطاهرة آمين

محمد علي ابراهيم لقمان

رئيس نادي الاصلاح العربي بعدن

تعزية جمعية الرابطة العلوية

في بتافيا بجاوة

لقد انهلعت القلوب جزعا وامتلأت الجوانح أسى وحزنا، لما أن بلغنا نعي صاحب السيادة العلامة الكبير المرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فقد فقد العالم الاسلامي فيه علامته الكبير وحبره النحرير وحاميا عظيما عن ذماره، وذائداً عن حياض دينه وفناره، ومفخرة علمية كبرى بل تاج فخاره رحمه الله رحمة الابرار وأخلفه علينا بخير خلف وعليه فلا عجب اذا اهتزت البلاد الاسلامية أسفا وروعا وبكت الافئدة والعيون جمعا

وتقدم رقيق تعازينا في الفقيد لشعوب الاسلام والعرب عامة، ونخصص عائلة الفقيد الشريفة المصونة بأرقها راجين من المولى جل وعلا أن يعطر على ضريح الفقيد العظم شآبيب رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جنانه ويخلفه على العالم الاسلامي خلفا صالحا و يلهم الجميع لا سيما ذويه الصبر والسلوان

عن الهيئة المركزية للرابطة العلوية

الكاتب الاول : السيد احمد بن عبد الله السقاف

كلمة الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في حفلة التأبين

ابتدأت النهضة في سورية دينية كما ابتدأت في معظم الأقطار الاخرى بسبب بديهي - وهو اعتقاد الناس أن بلاءهم من أنفسهم فهم يخطئون ولكن دينهم الذي يقدسونه لا يخطئ، وهم ينحطون ولكن العقائد التي توارثوها عن أئمتهم لا تنحط، فلا بد لهم والحالة هذه من أن يرجعوا إلى دينهم إذا أرادوا أن يعودوا سيرتهم الاولى من الرقي والنجاح، ففيه الكنوز المخبوءة التي تحقق لهم رغباتهم.

وكانت الحلقة التي سارت أبعد شوط في هذا المضمار في سورية مؤلفة من الاساتذة المرحومين: الشيخ طاهر الجزائري، والسيد سليم البخاري، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ جمال الدين القاسمي، والسيد علي مسلم وغيرهم. وكان من حظي ومن حظ الاستاذ محمد كرد علي أن نلتحق بهذه الحلقة المباركة، وكان يطلق علينا للتشهير بنا أسماء مختلفة آخرها أننا (وهابية) وهي كلمة لا تعني في نظرنا يومئذ إلا ما تعنيه اليوم في كثير من الاوساط في أنها طريقة الرجوع إلى السلف والاعتماد على كتب المؤلفين أمثال ابن تيمية وابن القيم ومن حذا حذوهما من الأئمة.

معرفتي بالسيد رشيد رضا: وفي تلك الغضون طمت علينا من القاهرة مجلة (المنار) فعرفنا أن لنا في مصر أخوانا ينطق بلسانهم الراحل الكريم، فكنا ننتظر وصولها بلهفة وشوق لنطلع منها على أخبار الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وإخوانه السلفيين المجددين.

ومع كل المقاومات التي لاقيناها في الدولة العثمانية ولاقاها إخواننا في مصر فلا بد لنا من الاعتراف بأنها لم تكن شيئا مذكورا بجانب ما لقيه رجال الاصلاح الديني في أوربا، ولعل من أسباب ذلك أننا ليس عندنا «اكليروس» منظم له جيوشه وقواده ومصالحه الخاصة

أما معرفتي بالسيد رشيد عيانا فهي عقب الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ فقد جاء سورية زائراً بعد غيبة طويلة عنها ودعي الى القاء درس في الجامع الاموى فتآمر عليه الحاقدون على التجديد الديني والحرية والدستور وتألبوا عليه بصورة كادت تنتهي بسفك الدماء فما لفقوه واختلقوه عليه وزوروه انهم نسبوا اليه تحليل بعض المحرمات وتحريم بعض المحللات، ولولا تدخل كبار الاحرار لكانت ثورة رجعية حمراء، وهذا درس بليغ يجب الا ينساه من وضع الاصلاح الديني الاجتماعي نصب عينه مثلكم أيها السادة لانه يدل دلالة واضحة كيف أن اعداء الاصلاح لايتورعون عن الاختلاق والتزوير في سبيل مآربهم، وكيف انهم يتدرعون بالدين للوصول إلى شهواتهم، وعلى كل حال فليس من الضرورة في شيء أن يكون اكثر الناس تشدقا باسم الدين بافواههم هم أقرب الناس الى الله بقلوبهم

وعالج السيد رشيد رضا الشؤون السياسية في حياته، فكان في ابان الحكم العثماني من انصار اللامركزية، وقارع الاستعمار مقارعة يشهد له بها كل من عرفه معرفة صادقة، وإن الخدمات الجلى التي قدمها في الموضوعات الدينية متعدده وجوهرية فمنها سعيه المتواصل لاظهار الصلة القائمة بين المعقول والمنقول وأنهما حليفان لايجوز أن يفترقا، ومنها نشر الاخبار الصحيحة عن أخلاق السلف الصالح التى كانت سبب عزته ومناعته، أو نقص هذه الاخلاق في الخلف الحاضر. ومنها اهتمامه بالاخلاق الايجابية - وهى الامر بالمعروف كما كان يهتم بالاخلاق السلبية - وهى النهي عن المنكر. ومتى عرفنا أن هناك تفاعلا شديداً بين العقائد الدينية والعقائد السياسية واتصالا وثيقا أدركنا شأن الخدمات التي أداها السيد رشيد في النهضة العربية الوطنية، وستبقى مجلة المنار التى أنشأها بجده وغذاها بعقله وعقل اساتذته وإخوانه سجل النهضة الدينية الحديثة، واذا كان الموت درجات: موت يفرح له الناس وموت لا يتأثر به أحد من الناس فموت السيد رشيد رضا هو موت تهلع له قلوب الناس

تأبين الامام

السيد محمد رشيد رضا

بقلم سماحة السيد عبد الحميد كرامي زعيم طرابلس الشام .

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا كانت الاعمال مرآة تنعكس فيها صورة أصحابها

واذا كانت الآثار تنطق بقيمة أربابها

واذا كانت الصفات الحميدة والمبادىء السامية والعقيدة الثابتة والايمان الصحيح تدلك على الرجل الموهوب صاحب الشخصية البارزة والعظمة الحقيقية .

فان فقيد الامة العربية المرحوم الشيخ رشيد هو ذلك الرجل العظيم والموهوب الحكيم ، واني استشهد من الوقائع بأمرين

أما الاول فتلك الابيات التي تركت دويا في جميع الاوساط وقد نفثها صدر المجدد الكبير والفيلسوف الشهير الشيخ محمد عبده رحمه الله ومنها هذا البيت :

فبارك على الاسلام وامنحه مرشدا

« رشيدا » يضيء النهج والليل قاتم

فقالت جماعات ان الامام يعني بالرشيد فقيد اليوم

وقالت جماعات ان الرشيد تعود الاشتقاق العقلي فهى فعتل بمعنى الفاعل ، وكيف ما كان الحال فان الفقيد لو لم يكن ذلك الرجل لما تبادر إلى أذهان الجماعات أنه الرشيد المرجو !

وأما الامر الثاني فهو آثار الفقيد وتآليفه وإظهاره التعاليم الاسلامية الحقة بمظهرها الصحيح ووقوفه المواقف المشرفة في سبيل العروبة والاسلام ، فاذا ما كتب

في عقيدة وإذا جادل فليقنع او ليقنع ، فهو إذن رجل اجتمعت فيه مزايا الرجل وحلاها بغزارة العلم و نبالة الخلق وسمو المبدأ وشدة الاخلاص واصالة الرأي حتى كاد يتهمه البعض بالشدة، وماذلك إلا لعدم محاباته لاحد في ما يعتقد أنه حق.

وقد امتاز الامام الرشيد في ثقافته وعلمه، وتفوق بالوفاء والاخلاص، وكلكم يعرف أكثر مني كيف كان وفيا باراً أميناً لاستاذه الشيخ الامام محمد عبده على لاخص، فعنده يتلاقى العقل بالادب ويجتمع المنطق وسداد الرأي ، ويتفق العلم مع الدين، ويكفيه فخراً أنه وضع حداً لما علق من الريب في إذهان الناشئين، ولكل ماكان يلفقه الفرنجة خاصة من أعداء الدين، وأن السيد رحمه الله قد عرف وهو غريب الدار في مصر أن يحمل الامة المصرية الكريمة تجمع على حبه واحترامه وتقديره ، وهاهي حفلتكم اليوم ناطقة بذلك الاحترام ، معلنة هذا التقدير الذى أذكره بالخير والفخر لمصر قلب العروبة النابض ، مصر للضيافة الآخذة عن يهبط بها من رجال الادب ورجال السياسة الى الذروة العليا فتغذيهم وتقويهم وتلهمهم بما هو كامن فيها من سحر وقوة وجمال .

فاذا كان أبناء العروبة والاسلام مدينين للفقيد العظيم بما ألف وكتب ونشر فان السيد رحمه الله مدين بعظمته لمصر الخالدة العاملة على تشجيع ذوي الرغبة في خدمة أمتهم وبلادهم بما قدمت له وبما نفحته به ومدين أيضاً للعالم الاسلامى بما أحاطه به من رعاية وتقدير وبحسن استفادته من علمه وفضله .

إن العروبة والاسلام المفجوعين بفقيدهما الخالد وبولدهما الامين الابر ولكن تعزيتنا أيها السادة هي في بقاء رجالات مصر و كواكبها المنثورة في سماء العبقرية فذلك يخفف عنا أعباء المصيبة بفقيدنا الذى نسأل الله له الرحمة الواسعة ، والجنة اليانعة ، كما نرجو للبلاد العربية جمعاء وحدتها الشاملة ولمصر استقلالها الكامل لتعيد مجدها الغابر، وعزها الدابر، وفى ذلك أكبر عزاء، وأفضل رجاء ، والسلام عليكم ورحمة الله

طرابلس الشام عبد الحميد كرامي

عواطف ابن زيدان

نحو فقيد الفضل والعرفان

لقد فقد الهدى أسمى فقيد   بعصر ليس فيه سوى (رشيد)
فجاد لفقده الاسلامُ حزناً   وفقد (مناره) الزاهي المشيد
وودّ (فؤادُه) لو كان يفدى   فقيد بالطريف وبالتليد
ولو يعطى سواد العين فيه   ليرجع هان في حق الفقيد
فقيد ماله خلف يضاهي   جلالة علمه الهامي المديد
إمام كان منه الشرع يجلي   ودين الله يسمو في صعود
إمام شاد للاسلام حصناً   حصيناً صار رمزاً للخلود
إمام فاز بالقدح المعلّى   وخصل السبق والشأو البعيد
إمام لايجارى في المعالي   وماله في المعارف من نديد
لقد أحيا الامام رشاد قوم   وأرشدهم إلى القصد السعيد
(بذبل) علومه الفيض روى   عطاشاً في الصدور وفي الورود
فأصبحت المذاهب منه ثكلى   تقول لعينها بالدمع جودي
وتعلن أنه قد كان فرداً   يعز نظيره في ذا الوجود
وأن له على الفقهاء طرا   ايادي جددت خير العهود
وأن له على الافكار فضلا   يرد به أخا الفكر الشرود
وأن له لدى العظماء ذكراً   يرجع مثل ترجيع النشيد
اذا ذكرت ذوو الاصلاح يوما   فان فقيدنا بيت القصيد
رسا بثباته فوق الرواسي   وفي وثباته حتف العنيد
ولم يعبأ بما قد كان يلقى   من الازمات والدهر الشديد

أيجهل فضله في الناس يوما ... وفضله ما عليه من مزيد
وهل بعد الرشيد يطيب عيش ... ويفتخر المميز بالوجود
فآه ثم آهٍ ثم آه ... على طود تغيب في اللحود
ولكن لا مرد لحكم مولى ... مضى طبق المشيئة في العبيد
وهل يجدي سوى التسليم عبدا ... يفر لدى المصاب إلى السجود
ويرجع عند ذاك إلى التأسي ... بمثل فقيدنا الركن العميد
عليه رضى المهيمن ما تجلت ... على مثواه أنوار الشهود
وفي دار النعيم يقر عينا ... بما يرجوه من غانٍ مجيد
ورحمة الله ربنا تلقى عليه ... أتم مطارف الذكر الحميد

ابن زيدان

قاله وأمر بكتابته

خديم العلم والتاريخ

عن مكناس في ٢٥ رمضان عام ١٣٥٤ عبد الرحمن ابن زيدان

نقيب الاسرة المالكة في المغرب الاقصي

وصف المقطم لحفلة التأبين

أقيمت أصيل أمس فى دار جمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين المرحوم السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار برئاسة فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر

وكان في مقدمة الذين شهدوا هذه الحفلة أصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان والشيخ ابراهيم حمروش والشيخ علي سرور الزنكلوني والشيخ عبد الوهاب النجار وغيرهم من شيوخ الازهر ورجال الدين

وحضر الحفلة ايضا حضرات الشيخ فوزان السابق معتمد الحكومة السعودية وعبد القادر بك الكيلاني القائم باعمال المفوضية العراقية وحمد الباسل باشا والدكتور نمر والسيد الثعالبي والوجيه ميشيل بك لطف الله وانطون بك الجميل وخليل بك ثابت والدكتور خليل مشاقة والاساتذة خير الدين الزركلي وأسعد داغر وأمين سعيد وتوفيق بك هولو حيدر وغيرهم من أعيان السوريين واللبنانيين .

وجلس على المنصة فضيلة الاستاذ الاكبر رئيس الحفلة ومهدي بك رفيع مشكي سكرتيرها العام وبقية الخطباء مع آل الفقيد

كلمة رئيس المجلس الاسلامى الاعلى

بالقـــدس

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الوطنى المفضال الاستاذ محمد على الطاهر المحترم

القاهرة — مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد تلقيت كتابكم الكريم المؤرخ في ٢٤ رجب ١٣٥٤ وفق ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥ والمتضمن قيام فريق من اخواننا الاكارم بتأليف لجنة لتأبين فقيد الاسلام الكبير منشىء المنار المرحوم السيد محمد رشيد رضا

انى أشاركم فى القيام بهذا الواجب اعترافا بفضل الفقيد العظيم ومآثره الجليلة وجهاده المتواصل في سبيل الاسلام والعروبة.

وأشكر لحضرتكم اهتمامكم فى اقامة هذه الحفلة التأبينية الكبرى لايفاء الفقيد الجليل حقه من الرثاء والتأبين وتخليد ذكراه الحافلة بشتى المآثر والصفات.

واسأله تعالى أن يعوض الاسلام والمسلمين خير العوض ويجزي الراحل الكريم على ماقدم وبذل خير الجزاء:

وانا لله وانا اليه راجعون

والسلام عليكم.

رئيس المجلس الاسلامى الاعلى

٨ شعبان سنة ١٣٥٤ محمد أمين الحسينى

السيد رشيد رضا

كلمة الاستاذ محمد لطفي جمعه

كل من قرأ الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده تأليف المرحوم السيد محمد رشيد رضا ووصل الى صفحة ٧٩١ لا بد أن يكون اطلع على النبذة الآتية تحت عنوان (إحالة الاستاذ الاستاذ محمد عبده بعض المستفتين على مريده المؤلف) قال رحمه الله :

« واذكر من الاحياء المعروفين محمد لطفي جمعة كان كتب الى الاستاذ الامام وهو تلميذ في المدرسة الثانوية مكتوبات وأنه حضر ولقي الاستاذ واراد البحث معه في المسائل التي كانت تشغل باله وهو طالب ثانوي وقد وجدت كتابين للطفي جمعة رأيت أن أنشرهما لما فيهما من الدلالة على بحثه في زمن التعليم فى مسائل فلسفية وعلاقتها بالدين ومعرفته بمكانة الاستاذ وفضله والهامه الرجوع اليه فيما يهم، ووصفه التعليم في المدارس الثانوية، وقد قابلته ولا أذكر ما دار بيننا بالتفصيل »

وبرجوعي إلى الكتابين المذكورين رأيت تاريخهما ٢٤ فبراير سنة ١٩٠٤ وإذن تكون علاقتي بالمفتي الامام وتلميذه الرشيد ترجع إلى ٣٢ سنة، وفي الخطابين تصوير خواطري في عهد الدراسة الثانوية وفيهما بحث في الله والمادة والكون وخواطر في النفس البشرية وخلق آدم وحواء الخ

وإذن وجب على بوصفي من اسبق الاحياء إلى معرفته أن أفيه حقه من التأبين، وقد وقع حظي على موضوع علاقة المرحوم السيد رشيد بالمستشرقين وهو بحث غريب طريف لأن السيد لم تكن له علاقة حقيقية بأحد من علماء المشرقيات الا فيما يتعلق ببحثه أحيانا نادرة في آرائهم . وكان يقر بعضا منهم على النتائج الباهرة التي وصلوا اليها ولا سيما جولد زيهر في كتابته على السنة المحمدية، وأقول إن دراستي لمؤلفات معظم المستشرقين الذين كتبوا عن الاسلام والتقائي ببعضهم في أوربا ومصر جعلتني أكون عقيدة ثابتة في أن الذين بحثوا في الاسلام منهم أثناء القرون الوسطى أمثال أديسون وباكون كانت تتأجج فى صدرهم نيران الحقد والكراهية واستمرت هذه النار في صدور بعض الذين بحثوا منهم في جانب

كثير من أعوام العصر الحاضر وهم أهل تعصب وحقد على الاسلام. ثم استجد عهد ادعى فيه بعض المستشرقين التزام الحياد وفيما كتبوه وقالوا انهم خالو الغرض ويبحثون من سوء النية ولم يعودوا يوجهون الى الاسلام ونبيه شيئاً من الذي اثبته أسلافهم في كتبهم الخاطئة.

وينبغي ان اقول ان المستشرقين الحسني النية أدوا أعظم خدمة للاسلام والقوا بمؤلفاتهم وجهودهم أضواء جديدة على أصول الدين الاسلامي الذي قلب العالم رأساً على عقب. وفي مقدمة هؤلاء نولدكه وسنوك هيرجرونجيه وهما هولنديان ونيكلسون وادوارد براون الانجليزيان وجولدزيهر النمسوي وليون كايتاني الايطالي ورينان ودي ساسي الفرنسيان

اما الآخرون الذين لم تتوفر فيهم النية الحسنة ولا الغيرة الصادقة الواجبة على كل باحث علمي فقد اتاح الله اقلامهم لنشر فضائل الاسلام على الرغم منهم وفي مقدمة هؤلاء مرغليوث الذي لطخ وجه العلم والتاريخ والادب بكتابه في حياة النبي لما حشره فيه من الاكاذيب والباطل، ويسرني أن أذكر أن بعض المستشرقين أمثال موير وسبرنجر وكايتاني قد سلكوا في النقد العلمي طرقاً تختلف جد الاختلاف عن طرق البحث عند علماء المسلمين فوصلوا الى التسليم بصدق محمد وخلوص نيته والى التأكيد بصحة استعداده للوحي فعمدوا الى تفسير خفاياه ولكنهم عجزوا

أما المتأخرون من المستشرقين فقد استخلصوا اصول العقيدة الاسلامية وبحثوا اطوار نشوئها وترقيها وقالوا بأن بعض ما يعتقد المسلمون انه منزل من الله لم يكن غير نتيجة تطور بطيء أو تفسير لمسائل غامضة لم تكن واضحة في فجر الاسلام ونزعوا عن صورة النبي جميع ما أضيف اليها من الاساطير والروايات التي بدلت حقيقتها أو شوهتها

ثم تناولوا بالنقد الدقيق أقوال النبي وأعماله وحركاته وسكناته ووضعوا حداً فاصلا بين ما أوحي اليه وهو ثمرة الالهام وبين ما وصفوه بالمدارك التي نشأت في عقله على أثر اتصاله بالحياة اليومية وبعد أن استن السنن واشترع القوانين ووضع القواعد لتسيير الدولة الضخمة التي انشأها

فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم يفصلون العنصر الالآهي بمعناه الواسع عن العنصر الانسانى فقصروا العنصر الالاهي على أعمال لاتحتمل الشك ولا الجدل في نظرهم ورد العنصر الانسانى إلى أعمال الدولة وفى أثناء حياة المرحوم الاستاذ الامام كتب جبريل هانوتو مقالا في جريدة جورنال عن الاسلام فرد عليه المفتي رداً مفحما الزمه الحجة وارغمه على الاعتذار والتقلب في اعتذار كالافعى ثم نقل الاستاذ فرح انطون نبذاً من تاريخ ابن رشد من كتاب ارنست رينان ونسب فيها الى الاسلام أنه ضيق العطن حيال الفلسفة وأن غيره من الاديان أوسع صدراً للحكمة فانبري الشيخ محمد عبده للرد على رينان بادلة تاريخية وبراهين محسوسة حتى أزال أثر ما نسب الى رينان ومعظمه راجع الى اخطاء في الترجمة وقع فيها الناقل بحكم العجلة وقلة الخبرة . ومن غرائب المصادفات أن السيد رشيد و فرح كانا من بلد واحد وصلا إلى مصر في يوم واحد أما الموقعة الكبري بين المرحوم السيد رشيد رضا والمستشرقين فهى رده عليهم في درسهم للسيرة المحمدية وتفسير الوحي وهو يسلم بأن علماء الافرنج درسوا تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده على طريقتهم فى النقد والتحليل ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلوها فليا ونقشوها بالمناقيش وقرؤا القرآن بلغته وقرؤا ماترجمه به أقوامهم وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد وتاريخ الاديان ولاسيما الديانتين اليهودية والنصرانية وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من لافتراء على الاسلام والنبي والقرآن فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية:

أن محمداً كان سليم الفطرة كامل العقل كريم الخلق صادق الحديث عفيف النفس قنوعا بالقليل من الرزق غير طموع بالمال ولا جنوح الى الملك ولم يعن بما كان يعني به قومه من الفخر والمباراة في تحبير الخطب وقرض الشعر ، وكان مقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات كالخمر والميسر وأكل المال بالباطل ، وبهذا كله وبما ثبت بعد النبوة جزموا بانه كان صادقا فيما ادعاه بعد استكمال الاربعين من عمره من رؤية ملك الوحي وإقرائه القرآن وانبائه بانه رسول من الله لهداية قومه فسائر الناس .

أما المستشرقون الماديون فرأيهم أن الوحي الهام يفيض من نفس النبي الموحى اليه لا من الخارج وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس ، فان هذا شيء لم يثبت عندهم وجوده ، وهذا

وهذا التصوير الظاهر الوحي قد سرت شبهته إلى كثير من المسلمين المرتابين الذين يقلدون الماديين

وقد أخذ المرحوم السيد رشيد على عاتقه الرد على هؤلاء الماديين في الصفحة ٧٨٨ من المجلد السادس من المنار سنة ١٣٢١ أي منذ أربع وثلاثين سنة: فرد على من شبهوا النبي محمداً بالآنسة الريفية الجميلة جان دارك راعية الغنم بأنها لم تقم بدعوة الى دين أو مذهب وأنها كانت مصابة بنوبة عصبية قصيرة الزمن معروفة السبب وهو بغضها لاعداء وطنها الانجليز وتعيينها قائدة لجيش ملكها وهجومها بعشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانجليز الذين كانوا يحاصرون أورليان فدفعتهم عنها حتى رفعوا الحصار في مدة أسبوع وذلك سنة ١٤٢٩ ثم زالت خيالاتها الحماسية فهوجمت في السنة التالية ١٤٣٠ فانكسرت وجرحت وأسرت وحوكمت وأحرقها رجال الكنيسة الذين قدسوها بعد ذلك بخمسمائة سنة بالتمام فصارت سنة ١٩٣٠ القديسة جان دارك.

قال السيد جمال الدين الافغاني لبعض مجادلي النصرانية انكم فصلتم قميصا من رقاع العهد القديم والبستموها للمسيح عليه السلام وقال رشيد رضا للمستشرقين الماديين إنكم فصلتم قميصا آخر مما فهمتم من تاريخ الاسلام لامن نصوصه وحاولتم خلعها على محمد.

والف السيد رشيد كتاب الوحي المحمدي ليرد على موتيه ودرمنجهم واضرابهما فنفى اسطورة اجتماع النبي ببحيرا الراهب في مدينة بصرى بالشام الذي قيل انه علم النبي

واثبت ان محمداً لما خرج الى الشام مع عمه كان عمره تسع سنين وكل ماجاء فيها ضعيف الاسانيد الا رواية الترمذي.

وهذه ليس فيها اسم بحيرا وفيها غلط في المتن وليس في شيء منها ان النبي سمع من بحيرا شيئا من عقيدته او دينه

وتناول مسألة ورقه بن نوفل احد اقارب خديجة وحاول بعضهم إيهام القراء أن محمداً أخذ عنه شيئا من علم أهل الكتاب، والحقيقة ان ورقة كان عند بدء الوحي اعمى ولم ينشب ان مات، وتناول المرحوم هذه النقطة في تفسير آية

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهي الآية ١٥٧ من سورة الاعراف.

واسلام سلمان الفارسي وغيرها..

ولكن نار العقيدة ونورها تشتعل وتضيء في صدر المرحوم عند ما يرد على المستشرق الذي قال: إن محمداً كان يجد في التحنث طمأنينة لنفسه فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل أبي قبيس. وهذه النجوم في ليالي الصيف في صحراء كثيرة البريق حتى ليحسب الانسان أنه يسمع بصيص ضوئها وكأنه نغم نار موقدة.. ومحمد في ريب من حكمة الناس ويريد أن يعرف الحق الخالص قال: جولد زيهر في كتاب «السنة المحمدية» المكتوب باللغة الالمانية والمترجم الى معظم لغات أوربا.

ليس الاسلام سبب انحطاط الشعوب المتمسكة به، ولكن سبب انحطاطها ضعف عقولهم واخلاقهم وخطأهم في فهم احكام دينهم فقد أخطأ المسلم في فهم معنى التوكل والقدر فوكل الامور إلى الحوادث واخطأ علماؤهم في فهم ماجاء من انهم خير أمة أخرجت للناس فظنوا الخير مقرونا باسم الاسلام ولفظه لا بروحه ومعناه، وفي هذا مخالفة صريحة لأوامر الدين وأمثلة السنة المحمدية المفادة من أقوال النبي وأعماله.

وكذلك اخطأ المسلم في فهم معنى الطاعة لأولي الأمر والانقياد لهم فسلم جميع اموره للحكام وتركهم يتصرفون في اموره وظن ان الحكومة يمكنها القيام بجميع شؤونه بدون معاونته أو اشتراكه.

وهذه العيوب وغيرها راجعة إلى طبائع الشعوب التي تدين بالاسلام وما ورثته من الاجيال الوثنية السابقة، وقد مرت بها اليهودية أو المسيحية وتركت بعض آثار فيها.

وبالجملة فالأمة المنتسبة للاسلام وتكون منحطة أو مغلوبة ليست أمة مسلمة الا لفظا، وهي في الغالب وثنية تلبس ثوب الاسلام، لأن بحوثنا المستفيضة أثبتت لنا ان الاسلام يرفع شأن المنتسبين اليه ولا يمكن ان يخفضهم بل تخفضهم اخلاقهم وعقولهم.

كل مطلع على آداب الافرنج يعلم أن علماء المشرقيات عنوا بغرس دوحة يانعة للعلوم العربية فلما اينعت استثمرها النابهون منهم أمثال دي جوجيه ، وجريه ونولديكه ، وساسى ، ورينان ، وكايتاني ، ونيكلسون وبراون وجولدزيهر وويلهاوزن وقد شادوا للعلوم الشرقية والأدب العربية مجداً لا يدانيه في مجال التأليف الاجلال مباحثهم ، هؤلاء كلهم علماء انطوت مواهبهم العقلية على حذق النقاد ودقتهم ، وقد أطاف كل منهم سجية تطلعه حول جميع الامور من عال ودون حتى كشف لنفسه منها مبدأ .

واتفق نولدكه ، وليون كايتاني ، ودى جوجيه ، وويلها وزن ، وجولد زيهر وبيكلسون على صحة سيرة رسول الله التى الفها ابن اسحق ورواها ابن هشام ولم يكن هذا التصديق اعتباطا إنما نتيجة بحث واستنباط واستقراء . وقد ظهر لهم أن ابن اسحق المتوفى في منتصف القرن الثاني كان ثبتا في الحديث والمغازي ودرس على أعظم العلماء المعروفين في زمنه والف سيرته واتبع فيها طريقة الاسانيد

وقد رأينا كتابا خاصا باخبار الرجال الذين روى عنهم ابن اسحق مطبوعا في هولندا سنة ١٨٩٠ أما السيرة ذاتها فقد طبعت في أوربا سنة ١٨٦٠ وترجمت إلى بعض اللغات الأوربية ، وابن هشام الذي روى عن ابن اسحق كان مشهوراً بعلم النسب والنحو وتوفي بمصر في أوائل القرن الثالث

ان فريقا مهما من المستشرقين يستعملون علمهم وأدبهم لاغراض سياسية في الممالك الاسلامية والشرقية . فهم يتقنون اللغات ويندسون بين ظهرانيهم ويقفون على أخلاقهم وعاداتهم ونظمهم واسرار دولهم ، فمن هؤلاء هيرجرونجيه الذى أقام في مكة وفى جاوى مسلما وجورج سيل أقام في مصر ومكة مسلما ، وشارل بيرتون حج والف في كتاب العرب وشعائر الاسلام كتابا ، ولين مؤلف كتاب « المصريون المحدثون » .

وكانت الحاجة الى هؤلاء الناس ماسة وأعمالهم لأوطانهم مثمرة عندما كان أهل هذه البلاد الشرقية والاسلامية متمسكين بادابهم حريصين على حياتهم القومية .

أما الآن فقد أصبح كل شيء معروفا ومعهودا ومباحا بل أصبح المسلم في هذه الأيام حجة لغيره من أهل الأديان والملل الأخرى وفتنة له يضل بها عما أقام الحق من أعلامه. فاذا قيل ان الاسلام خير الأديان بل هو دين الله جاء في أكمل صورة ببعثة خاتم النبيين وأيدنا هذا القول بألف دليل — رأيتَ علة واحدة تهدم كل ما بني من الأدلة وهي «لو كان الاسلام دينا صحيحا ما وجدنا أهله المستمسكين به في زعمهم على ما نرى من فساد الأخلاق وسقوط الهمم وضلال العقول» حتى أصبحنا فتنة لغيرنا

فلما كانت سنة ٦١٠ كانت الحال النفسية التي يعانيها محمد على أشدها فتهيأت عاتقه العقيدة بأن مرآ جوهريا ينقصه ويتقص قومه. ونسي النهار والليل والحلم واليقظة وقضى ستة أشهر في هذه الحالة ثم جاءه الملك!!

وقد حنق المرحوم السيد رشيد على هذا التصوير لبداية الرسالة فقال: ان هذا المستشرق ارخى لخياله العنان ونزع من جواده اللجام، وخصه بالمهماز فعدا به سبحا، وجمح به جمحا، وقد حت حوافره له قدحا، واثارت له نقعا واذن لشاعريته أن تصف محمدا عند الغار بما تحدثه في نفسه مشاهد نجوم الليل. وكل ما كتبه أوجله غير صحيح وتصل حمية المرحوم وحماسته عندما يكتب

«فمن أين علم هذا الافرنسي أن محمدا نسي الليل والنهار، والحلم واليقظة، وأنه كان يقضي الساعات الطوال جاثيا في الغار او مستلقيا في الشمس وأنه قضى ستة أشهر في هذه الحال — قد افترى في الأخبار ليستنبط منها انه صلوات الله عليه مغلوبا على عقله غائبا عن حسه، وانا ننقل هنا أصح الأخبار في خبر تحنثه في الغار الليالي ذوات العدد من شهر رمضان في تلك السنة لا قبلها لتفنيد مفترياته وللاستغناء بها عما نقله من الخلط في صفة الوحي»

وخلاصة رأي الشيخ رشيد في الوحي وهو اهم مسألة عالجها في حياته حتى جعلها آخر ما ألف ونشر قال:

«ان استعداد محمد للنبوة والرسالة عبارة عن جعل الله روحه الكريمة كمرآة صقيلة حيل بينها وبين كل ما في العالم من التقاليد الدينية والآداب الوراثية والعادات المكتسبة الى أن تجلى فيها الوحي الالهي بأكمل معانيه، وأبلغ مبانيه لتجديد دين الله المطلق الذي كان يرسل به رسله الى أقوامهم خاصة بما يناسب

حالهم واستعدادهم وجعل بعثة خاتم النبيين به للبشر عامة دائمة لا يحتاجون بعدها الى وحي آخر، فكان في فطرته السليمة وروحه الشريفة، وما نزل عليها من المعارف العالية، وما أشرق فيها من نور الله، الذي تلوته عليك من آخر سورة الشورى . هو مضرب المثل في قوله تعالى في سورة النور (الله نور السموات والارض مثل نوره .)

فزيت مصباح المعارف المحمدية يوقد من زيتونة لا شرقية ولا غربية ، ولا يهودية ولا نصرانية بل هي الهية العلوية

كلمة المجاهدين السوريين

في الصحراء بوادى السرحان

أرسلها المجاهد الكبير سعادة محمد عز الدين باشا الحلبي من النبك

حضرات أصحاب السعادة رئيس وأعضاء اللجنة الموقرة لتأبين الاستاذ الكبير المرحوم الامام العلامة السيد محمد رشيد رضا — القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانا نشاطركم الأسى على رزء الفقيد العظيم العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله فلقد فقدنا به ركناً عظيما من أركان العرب والاسلام وعلماً فذاً من أعلام العلم والتقوى، وبطلا مقداما من أبطال نهضتنا الذائدين عن حياضها والمتفانين في سبيل اعلاء شأنها ورفع كلمتها وكيف لا يكون رزؤه عظيما وهو العلم المفرد بعلمه وصلاحه وأخلاصه لأمته ووطنه وهيهات أن يجود الزمان بمثله ، أن الزمان به لبخيل .

فلو يمكننا فداؤه لفديناه بالنفوس وبكل غال ورخيص وبكل جبان لم يحذ حذوه في الجهاد الوطني الصحيح ولم يكن على غراره بعزة النفس وحب الحرية والكرامة ولئن كرمته الأمة فانما تكرم به البطولة والصدق والاخلاص . رحم الله الفقيد رحمة واسعة وجعل خلفه خير خلف السلف والهمنا جميل الصبر والسلوان وحيا الله القائمين بحفلة تأبينه من عظماء الامة وكرامها الشاعرين بشعوره الحي وانا لله وانا اليه راجعون عن النبك — وادى السرحان ٧ و ١ و ٩٣٦

باسم مجاهدى الصحراء وأحد أصدقاء الفقيد : محمد عز الدين الحلبي

ة دائمة لا يحتاجون
ريقة ، وما نزل عليها
تلوته عليك من آخر
النور (الله نور السموات

ة لا شرقية ولا غربية

ريان

الحلبي من النبك
الموقرة لتأبين الاستاذ
القاهرة
م الأسى على رزء الفقيد
به ركنا عظيما من أركان
طلا مقداما من أبطال
ما ورفع كلمتها وكيف
خلاصه لأمته ووطنه

يص وبكل جبان لم يجد
النفس وحب الحرية
ق والاخلاص . رحم
جميل الصبر والسلوان
اعرين بشعوره الحي
مان ٧ و ١ و ٩٣٦
محمد عز الدين الحلبي

